Sociology

مجلة العلوم الإجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد 15 سبتمبر 2020

V.R33616
ISSN 2568-6739

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية
برلين-ألمانيا
ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

سبتمبر 2020

الــعــدد الخامس عشر (15)

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

تصدر من ألمانيا- برلين- عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ.عمار شرعان

رئيس التحرير

الدكتور بحري صابر

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 الجزائر.

هيئة التحرير

د. بضياف عادل، جامعة يحي فارس المدية، الجزائر.
د. بن عطية ياسين، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 الجزائر.
أ. شلابي وليد، جامعة بسكرة، الجزائر.
أ. شيخاوي صلاح الدين، جامعة بسكرة، الجزائر.
أ. طلعت حسن حمود، جامعة صنعاء، اليمن.
أ. طيبي عبد الحفيظ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف02، الجزائر.
أ. محمد عبد الحميد محمد إبراهيم، جامعة بني سويف، مصر.
أ. محمد محمود علي إبراهيم، مجلة الحدث الإقتصادي، مصر.

الهيئة العلمية والاستشارية.

- أ.د.أسعد حمدي محمد، جامعة التنمية البشرية، إقليم كردستنان، العراق.
- أ.د بوعامر أحمد زين الدين، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر.
- د.ادم محمد حسن ابكر كبس، جامعة نيالا، السودان.
- د.إسعادي فارس، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر.
- د.الواعر حسينة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، الجزائر.
- د.بن عزوز حاتم، جامعة العربي التبسي تبسة، الجزائر.
- د.بوعطيط جلال الدين، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر.
- د.بوعطيط سفيان، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر.
- د.تومي الطيب، جامعة المسيلة، الجزائر.
- د.جلال مجاهد، جامعة الأزهر، مصر.
- د.جهاد محمد حسن الهرش، جامعة الباحة، المملكة العربية السعودية.
- د.حازم مطر، جامعة حلوان، مصر.
- د.خرموش منى، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، الجزائر.
- د.رحال سامية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر.
- د.رشيدي السعيد، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، الجزائر.
- د.رمضان عاشور، جامعة حلوان، مصر.
- د.سامية ابراهيم احمد الجمل، جامعة مصراته، ليبيا.
- د.سليمان عبد الواحد يوسف، جامعة قناة السويس، مصر.
- د.صبري بديع عبد المطلب، جامعة دمياط، مصر.
- د.صيفور سليم، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر.
- د.عبد الستار رجب، جامعة قرطاج، تونس.
- د.عصام محمد طلعت الجليل، جامعة أسيوط، مصر.
- د.فاطمة المومني، جامعة قفصة، تونس.
- د.فكري لطيف متولي، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، مصر.
- د.قصي عبد الله محمود إبراهيم، جامعة الإستقلال، فلسطين.
- د.محمد حسين علي السويطي، جامعة واسط، العراق.
- د.مخلص رمضان محمد بليح، جامعة بني سويف، مصر.
- د.معن قاسم محمد الشياب، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية.
- د.نجيب زاوي، جامعة قفصة، تونس.

شروط النشر:

مجلة العلوم الاجتماعية مجلة دولية علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى ويقدم الباحث إقرارا بذلك.
- أن يكون المقال في حدود 30 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.
- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس وإحترام الأمانة العلمية في تهميش المراجع والمصادر.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين،(حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified Arabic 12 للملخص العربي و Times New Roman 12 للملخص باللغة الانجليزية)، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.
- تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 1.15بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون Gras، أما عنوان المقال يكون مقاسه 14.
- هوامش الصفحة أعلى 2 وأسفل 2 وأيمن 2 وأيسر 3 ، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة مخصص(16 23.5X).
- يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.
- بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.
- تتبنى المجلة نظام توثيق الرابطة الأمريكية لعلم النفس.(APA)، ويشار إلى المراجع داخل المتن بذكر الاسم الكامل للمؤلف ثم سنة النشر والصفحة بين قوسين، أو ذكر الإسم الكامل للمؤلف، السنة بين قوسين.
- يشار إلى ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا وفق نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس.
- المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.
- لا تتحمل المجلة مسؤولية عدم إحترام الباحث الأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي وتتخذ إجراءات صارمة في حق كل من ثبت عدم إحترامه ذلك.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

sciences@democraticac.de

كلمة العدد

في ظل التغيرات التي طرأت على العالم أجمع نتيجة جائحة كورونا تصدر مجلة العلوم الاجتماعية في عددها الخامس عشر ضمن إصدارات المركز الديمقراطي العربي ألمانيا-برلين، وهي بذلك تؤكد تلك المسيرة البحثية في سبيل نشر المعرفة الإنسانية منذ إنطلاقاتها الأولى.

إن أهمية البحث العلمي اليوم في مختلف الحقول أضحى أكثر من أهمية ولعل النشر العلمي كمخرج لهذه الأبحاث هو شرط أساسي لأي تطور وتقدم في حقول المعرفة، وهو ما نحاول الوصول إليه من خلال الأبحاث العلمية التي تنشر في المجلة والتي تعبر عن مقاربات معرفية وتوجهات بحثية متباينة إلى حد ما.

فالتنوع والثراء المعرفي هو أساس ومبدأ نسير فيه عبر مجلة العلوم الإجتماعية التي أضحت تلعب دورا بارزا في حقول المعرفة الإجتماعية كأحد المنابر البارزة في مجال البحث العلمي والذي كان بفضل تظافر العديد من الجهود من قبل الباحثين والمنتمين للمجلة في مختلف المستويات.

وهنا دوما نقف وقفة إحترام وشكرا لكل الذين ساهموا بأبحاثهم العلمية في مسيرة المجلة الطويلة من جهة، كما نقدم واجب الإمتنان لأولئك الذين يسهرون على إخراج المجلة في حلتها من محكمين وخبراء وهيئة التحرير.

الدكتور بحري صابر

رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية

المركز الديمقراطي العربي، العدد 15 سبتمبر 2020

فهرس المحتويات

صفحة

الدوار في الأرياف المغربية، بين غموض المفهوم وتنوع الأبعاد المجالية والاجتماعية

د. خاليد الحاضري، د. أحمد بوحامد، .....10.

الهوية و الثقافة بين الذاكرة و الخطاب

أ.مريم حيسو،.....32.

التصوير الجداري وآليات الممارسة الإنسانية في الوطن العربي: قراءات في البعد الجمالي والسوسيولوجي

د.بدير محمد، أ.بن عزة أحمد،.....46.

واقع وآفاق النشاط الزراعي بأرياف سهل الغرب: حالة جماعتي الصفصاف وسيدي الكامل (إقليم سيدي قاسم)

أ.جمال نصير،.....61.

إمكانية خفض التوقع وقيمة التعزيز والموقف السيكولوجي لسلوك امتثال طفل المرحلة الابتدائية

د. إبراهيمي كوثر،أ.د بلوم محمد،.....79.

واقع التحولات المجالية غير الفلاحية بالمجال الساحلي لمنطقة الغرب بالمغرب

أ. عبد الرحيم قصباوي، أ. طريق كويسي،.....101.

طبيعة الأنماط القيادية السائدة لمديري المدارس الابتدائيـــة من وجهة نظر المعلمين

أ.د بوزيدي محمد، .....116.

أثر بحيرة سد مروي في تغذية الحوض الجوفي النوبي في الولاية الشمالية-السودان

د. أمير حسن عبد الله محمد، د.محمد الشفيع محمد الشيح،..140.

العلاقات الاقتصادية وتقسيم العمل الاجتماعي في:(دول –المدن) في الشرق الأدنى القديم

أ.د. سمير الشيخ علي،.....161.

التحولات السياسية الراهنة في الوطن العربي قراءة في البراديغم الجديد

د. أسماء بن قادة،.....185.

La station d'Abha, Arabie Saoudite, entre hausse et baisse thermique 1978-2017

Allaoua Ahmed Ansar, ...198.

L'inscription de Fès sur la liste du patrimoine mondial a-t-elle un effet sur son attractivité touristique?

PhD.**Abderrahmane OUALI ALAMI, Dr. Sabah SERRHINI,**……226.

Critical Reflections on Frost's The Road Not Taken

Dr. Yahya Saleh Hasan Dahami,.....250.

الدوار في الأرياف المغربية، بين غموض المفهوم وتنوع الأبعاد المجالية والاجتماعية

د. خاليد الحاضري، جامعة أبي شعيب الدكالي الجديدة-المغرب
د. أحمد بوحامد، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء-المغرب.

concept "Dour" in Moroccan countryside, between ambiguities of the and the diversity of social and spatial dimensions

Dr.Khalid El Hadiri, Chouib Dokkali University El Jadida-Morocco;
Dr.Ahmed Bouhamed, Hassan II University Casablanca-Morocco.

ملخص: يحاول هذا المقال التطرق إلى إشكالية مفهوم الدوار بالأرياف المغربية، من خلال الوقوف عند بعض الجوانب الدالة عليه؛ وذلك لما يثيره هذا الإطار السكني من أهمية كبرى على مستوى هيكلة المجال الريفي باعتباره مركزا لاتخاذ القرارات، وإطارا للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، غير أن مفهومه يثير الكثير من الالتباسات المعرفية سواء في بعدها القانوني أو ما يرتبط بالجغرافيا عامة والجغرافيا البشرية خاصة، فرغم إجماع جل الفاعلين على مختلف مستوياتهم بأهمية هذا الإطار في مباشرة الفعل التنموي، لاسيما وأن الإخفاقات التي منيت بها التنمية على مستوى إطار الجماعات الترابية جعلت الجميع يقتنع بضرورة الانطلاق من الدوار كقاعدة للفعل التنموي، إلا أنه لم يتم لحد الآن حصول إجماع بشان مدلوله وأبعاده. وتختم هذه الدراسة بإجراء تطبيقي لتحديد أبعاد الدوار، انطلاقا من أرياف "دكالة"، وملامسة مختلف أبعاد التحولات التي طرأت على بنيته، وذلك ارتباطا بالتحولات الشمولية التي كانت الأرياف المحلية مسرح لها خلال القرن الأخير.
الكلمات المفتاحية: الدوار، الرستاق، هيكلة المجال الريفي، المحاط، المشهد الريفي.

Abstract: this article attempts to raise the issue of defining the concept of douar in the Moroccan rural areas by standing on some of its aspects, because of the great importance this housing framework has in structuring the rural area as a center for decision making, and as a social, political and economic framework, however, his concept remains inspiring and ambiguous, both legally and geographically. Despite the consensus of the various actors on its importance in activating development, however, there is still no consensus on its significance and its dimensions.

This study aims to stands on the concept of vertigo, and define the social and special dimensions that characterize this authentic residential framework in the Moroccan countryside. This study ends with an applied procedure with the "Doukkala" region, highlighting the various transfor ations witnessed by the rotor in connection with the comprehensive rural development in this geographical area.

Keywords: douar, terror, restriction of rural space, finagled-Rural landscape.

مقدمـــة:

تشهد التجمعات السكنية الريفية بالمغرب، تعددا من حيث نشأة وأصل كل تجمع سكني والوظائف التي يؤديها. فبالإضافة إلى التجمعات السكنية الموروثة عن الفترات السابقة والقديمة، والتي تمكنت من المحافظة على مظاهرها العامة وخصوصيتها عبر الزمن، والتي يجسدها "الدوار" كإطار سكني، ظهرت تجمعات أخرى مستحدثة نتيجة لتدخل الدولة في إطار مشاريع" التهيئة الريفية" أو نتيجة لامتدادات طبيعية لتطور المجتمع القروي، الأمر الذي أفرز بنية مركبة على مستوى الإطار السكني الريفي، فعلاوة على الدوار، هناك سكن الوحدات القروية للتجهيز والتسيير، وسكن تعاونيات الإصلاح الزراعي وسكن المراكز القروية والجماعتية. كما أن الدوار لم يعد سكنا ريفيا، بل أضحى أيضا يشكل سكنا متسترا بضواحي المدن.

ورغم تنوع أشكال التجمعات السكنية بالأرياف المغربية، فإن معظمها لازالت تحمل اسم الدوار، بيد أن هذا المفهوم لازال يثير العديد من الالتباسات المعرفية وخاصة بين الباحثين، مع التأكيد أن الاحتكام إلى المقاربات الإدارية والإحصائية لا يحل مشكل هذا الغموض، بقدر ما يفرز تعقيدات أكثر حدة وخاصة المقاربة الإحصائية.

تسعى هذه الورقة البحثية إلى محاولة مقاربة المفهوم انطلاقا من أبعاد مختلفة، جينالوجية واجتماعية واقتصادية وإدارية، مع تحديد مختلف الأبعاد المجالية والاجتماعية لهذا الإطار السكني، وكذا استحضار مختلف التحولات التي طرأت على بنيتها؛ وذلك ارتباطا بمختلف التحولات الشمولية التي كانت الأرياف المغربية مسرحا لها خلال العقود السبع الأخيرة.

وينبغي الإشارة إلى أن هذه الدراسة، لا تزعم معالجة المفهوم من مختلف جميع الزوايا، وبشكل شامل، تم أنها لا تزعم صياغة تعريف دقيق له بناء على الأهداف المعلنة، والتي من شأنها رفع كل الغموض المعرفي لهذا المفهوم، وإنما تسعى إلى إثارة النقاش حول مفهوم كثيرا ما شكل قاعدة جغرافية للبحث القروي، وتعد أفضل إطار لمباشرة الفعل التنموي وبسبل أكثر نجاعة.

إشكالية الدراسة:

يشكل المفهوم محورا أساسيا في الدراسات العلمية وخاصة في الجغرافية البشرية، ويشكل الدوار من أكثر المفاهيم تداولا في حقل جغرافية الأرياف بالمغرب خاصة والبلدان المغاربية عامة، بيد أن هذا المفهوم يكتنفه الكثير من جوانب الغموض، وبل يمكن القول إن هذا المصطلح كثيرا ما يذكر ولكن قلما يشرح. إن هذا الغموض في المفهوم يرجع إلى عدم وضوح المعايير المعتمدة في تحديده؛ فالمعايير الإدارية غير واضحة ومتقلبة في الزمن حسب رهانات السلطة وهواجسها، والمحاطات التي تحدد حدود الدوار بالنسبة لباقي التجمعات عادة ما تكون متداخلة فيما بينها، كما أن تبني عتبة سكانية محددة لا تجدي نفعا، والمقاربة الإدارية تظل فضفاضة وغامضة. ومن جانب آخر فدراسة التجمعات القروية، عادة ما تصطدم بمسألة المطابقة على الخرائط، ذلك أنه يصعب أحيانا توطين بعض هذه التجمعات، وتظهر هذه الوضعية بشكل أكثر حدة عندما تواجه خريطة بلائحة رسمية للدواوير لآخر الإحصاءات فإن عدد الدواوير قد يقع عليها التغيير، وبعض

الدواوير قد تغير اسمها، وبعضها الآخر يحمل نفس الاسم ويوجد بنفس الجماعة وحتى داخل نفس الفخدة، كما أن بعض الدواوير يتغير اسمها وتدمج ضمن دواوير أخرى. وتفسر هذه الوضعية بالبنية الخاصة بالمجتمع الريفي المغربي بتجمعاته المعقدة والمتشابكة، وكذلك بالغموض الذي شهده منذ أكثر من نصف قرن بين المجموعات الاجتماعية أي الدوار والمجموعة السكنية.

أسئلة الدراسة:

وفي هذا الإطار تحاول هذه الدراسة ملامسة هذا المصطلح انطلاقا من أبعاد مختلفة، وذلك بغية إزالة بعض الالتباسات المعرفية والغموض الذي يكتنف المفهوم. وعموما فإن الاشكالية قيد المعالجة تتفرع الى عدة أسئلة فرعية:

- ما مفهوم الدوار؟؛
- وما مختلف الأبعاد التي ينطوي عليه؟؛
- وما التحولات التي عرفها الدوار كإطار سكني بالأرياف التقليدية المغربية وما أبعاده الاجتماعية والمجالية؟.

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة وانطلاقا من الغايات المعلنة سلفا إلى تحقيق جملة من الأهداف:

- الوقوف على مفهوم الدوار ومحاولة تكسير الالتباس حول هذا المفهوم؛
- التطرق إلى مختلف الأبعاد التي يتضمنها المفهوم، مع الوقوف على أهم التحولات التي طرأت على بنية الدوار، وذلك ارتباطا بالمتغيرات التي حصلت في الأرياف المغربية؛
-الدعوة إلى إدراج الدوار كمكون سكني ومجالي بالأرياف المغربية، ضمن رؤية إعداد التراب الوطني، ووثائق التعمير، وبرامج عمل الجماعات، وجعل هذا الإطار فضاء فعليا لمباشرة العمل التنموي.

أهمية الدراسة:

تتجسد أهمية الدراسة في محاولة استعراض ومناقشة صعوبات ومقاربات تحديد مفهوم الدوار، باعتباره إطار سكنيا بالأرياف المغاربية عموما والأرياف المغربية خاصة؛ وهي بذلك تعنى بأهم الاعتبارات التي تساهم في صعوبة تحديد المفهوم، كما تطرح محاولات لتعريفه، انطلاقا من مختلف الأبعاد التي ينطوي عليها هذا التجمع الأصيل بالمجالات المذكورة سلفا، سواء في بعدها الجينالوجي أو الاقتصادي والإداري والإحصائي. وتسعى هذه المساهمة إلى دفع الباحثين بالأرياف إلى الاهتمام بتحديده وتحفيزهم على الاشتغال عليه، ولاسيما من جانب المهتمين بجغرافية الأرياف وعلم الاجتماع الريفي. ومن نافل القول التأكيد على أننا لم نعتر على أي مقالة اهتمت بمناقشة هذا المفهوم، وتحديد أبعاده وإبراز التحولات التي مسته، سواء في بعدها المورفلوجي أو الوظيفي.

منهج الدراسة:

سنعتمد في معالجة إشكالية هذه الورقة البحثية على المنهج الوصفي التحليلي، لاسيما في الشق الذي خصصناه للتطرق إلى مفهوم الدوار وابعاده، والتحولات التي طرأت عليه، وذلك ارتباطا بالتحولات الشمولية والعامة التي كانت الأرياف المغربية مسرحا لها خلال العقود الأخيرة. كما

اعتمدنا على المنهج الكمي والخرائطي في الجانب المتعلق بالشق الميداني، من خلال دراسة نماذج من الدواوير بأرياف دكالة، وذلك بالاعتماد على مقاربة خرائطية ومجالية بهدف تحديد موضع الدواوير وموقعها وحدود محاطتها وأشكالها.

مصطلحات الدراسة:

مفهوم المحاط وعناصره: هو مجموع الأراضي التي تمتلكها مجموعة بشرية، ترتبط فيما بينها بروابط أسرية وتقاليد التنظيم والدفاع المشترك (دوار، قبيلة، أو جماعة ترابية قروية...). ويشير مبدئيا إلى المنطقة القانونية والإدارية للبقعة الممتلكة قانونيا من قبل مجموعة معينة حينما يتوفر الملاك على الرسوم العقارية أو شهادات عدلية أو شهادات إدارية تسلمها السلطات الترابية المتخصصة في حالة وضعية الأراضي الجماعية التي خضعت لسيرورة التملك. يتكون المحاط من عنصرين وهما:

الحريث أو الشيم: وهو جزء من المحاط الذي يضم مجموع الأراضي الفلاحية المستغلة فعليا، والمشكلة من حقول تتم فيها الأنشطة الزراعية الموسمية، كزراعة الحبوب والقطاني أو غراسة دائمة كالأشجار، ويمكن أن يتكون من مروج، فهو إذن يضم كل المجالات التي يهتم بها المزارع ويوظفها في أنشطتها الزراعية.

الرستاق: هو المجال الذي له خصائص طبيعية وترابية وطبوغرافية ومناخية وهيدرولوجية، تكسبه مؤهلات زراعية أو رعوية، وتنوع الرساتيق باختلاف هذه العناصر. ويمكن تعريفه بذلك الحيز الجغرافي الذي تمتلكه وتعده المجموعة البشرية التي تقطنه وتستخرج منه وسائل عيشها؛ إنه بعبارة أدق المجموع المتجانس من المشارات(بلفقيه محمد، 1982، ص154).

المشهد الريفي: ذلك المنظر الذي تتم مشاهدته عن طريق المشاهدة المباشرة أو اعتمادا على الصور الجوية أو صور الأقمار الصناعية. وفي هذا الصدد يجب التميز بين المشهد القروي والمشهد الريفي، فالمشهد القروي هو انعكاس لكل التدخلات التي تقوم المجموعات البشري سواء في بعدها العفوي (اجماعة) أو المؤطر (تدخل الدولة أو الجماعات الترابية) سواء كانت تدخلات في المجال الفلاحي أو في الانشطة غير فلاحية، أما المشهد الفلاحي الذي يخص بالدرجة الأولى المشارات الفلاحية الخاصة بإنتاج الحبوب والأشجار المتمرة والخضر والشكل العام الذي تأخذه في المجال(بلفقيه محمد، 1982، ص175).

السكن الريفي: يشكل السكن أحد أبرز مكونات المجال الريفي؛ ففي كل محاط زراعي يوجد قسمين: إحداهما يخصص للحقول والمزارع وملحقاتها كالمراعي والغابات، وهو الأكبر من حيث المساحة، وقسم يحمل مساكن تضم مرافق لإيواء الأسر الفلاحية وأخرى لإيواء وسائل الإنتاج (حظائر، اسطبلات، حدائق خلفية، مكان مخصص لتجميع روث الماشية...). يتخذ السكن الريفي أشكالا متباينة:

سكن متجمع مفكك: تجسده مجموعة من الدواوير تفصل بينها فراغات، وعادة ما يكون حجم التفكك مهما أكثر بهوامش الدواوير، ويقل في وسط الدوار، وهذا راجع إلى نمو حجم التجمعات السكنية، ثم أحيانا يرتبط الأمر الوضعية القانونية لمجال بناء المساكن الذي يكون غالبا عبارة عن أراضي جماعية.

سكن متجمع متراص: يقتصر هذا النمط من السكن على التجمعات السكنية ذات تعمير قديم كما هو الحال بالنسبة للمناطق الجبلية، حيث يلاحظ تلاحم الأبنية فيما بينها.

سكن متفرق: إن هذا السكن يسود بالمجال الزراعي، حيث توجد منازل متفرقة ومتباعدة ينظمها التقاطع الهندسي للمشارات، ويعود تموضع هذه المنشآت السكنية إلى رغبة أصحاب الضيعات الكبرى في الاستقرار بالقرب من الحيازات الفلاحية، نظرا لأهميتها على مستوى المساحة، وكذلك بتوفرهم على تجهيزات فلاحية مهمة كالجرارات وآلات الضخ وغيرها من التجهيزات التي تستلزم مراقبتها عن كثب، وعادة ما يعبر عن هذا النوع من السكن عن حداثة التعمير.

•سكن خطي: حيث يتخذ السكن شكلا خطيا، إما على ضفاف الأنهار أو على طول الطرق الرئيسية والثانوية(بلفقيه محمد،1982، ص175).

عرض النتائج:

أولا: الدوار بين غموض المفهوم وتنوع الأبعاد

يطرح مفهوم الدوار إشكالات كثيرة سواء على المستوى الدلالي، حيث تتعدد وتتشابك الدلالات، وتزداد هذه الصعوبة عند العودة إلى المعاجم اللغوية العربية الكلاسيكية، إذ يحيل هذا المصطلح إلى مفاهيم بعيدة من قبيل" دوار هو جزء قابل للدوران واللف في آلة، ويقال جسر يدور بشكل أفقي للسماح بالمرور والخروج"(ابن منظور لسان العرب، ص450).

إن هذا المثال يعطي الانطباع لأول وهلة عن بعد مدلول الدوار كتجمع سكاني عن ما ورد في المعاجم العربية. لكن على العموم فكلمة دوار من دار ودائرة، وتطلق في المغرب أيضا على جميع أشكال التجمع السكاني الذي يأخذ شكل دائرة. وهذه التسمية تطلق على أشكال السكن المستقر، بالرغم من وجود مرادفات لهذه التسمية، والتي تختلف باختلاف المناطق الجغرافية، ككلمة "المدشر" المستعملة بشكل طبيعي في جبال الريف، و"إغرم" في الأطلس الكبير، و"القصر" في المجالات الواحية والصحراوية.

أما من الناحية الاصطلاحية فيشير مصطلح الدوار في البلدان العربية وخاصة في البلدان المغاربية إلى كل تجمع سكاني مستقر أو متنقل مؤقت أو دائم، يضم أفراد تربطهم علاقة القرابة والأبوية، وهو جزء من التنظيم المجالي والاجتماعي. وهذا التنظيم هو ذو مستويات وأبعاد مختلفة، كما أنه ليس وحدة جامدة بل وحدة تتسم بالدينامية.

وعلى المستوى القانوني فقد ظل مفهوم الدوار غامضا بالمغرب، إلى أن أتى قرار وزير الداخلية سنة 1964، حيث تم تعريفه (Fosset et Noin, 1966, p35) "*بكونه مجموعة مساكن متجمعة ومرتبطة بروابط فعلية أو صورية بعنصر القرابة. فهو يوافق أصغر خلية إقليمية، قد يتضمن نمط استغلال جماعي ومسيرا إداريا من طرف المقدم* ".

ومع ذلك، فإن هذا التعريف لم يحل الغموض السائد، فهو لا يتضمن عتبة إحصائية محددة يتم بموجبها الفصل بين الدوار وباقي أشكال التجمعات السكنية بالأرياف، وكذا الفصل بين السكن المتفرق والسكن المتجمع. ومع ذلك، وحتى وإن وجدت هذه العتبة الإحصائية فإنها لن تحل مشكل هذا الالتباس، وذلك اعتبارا لتباين واختلاف ظروف واقع الاستقرار بالأرياف المغربية، لاسيما وأن هناك تسميات لا تعني دائما نفس الدلالة، ويكتنفها أحيانا الغموض، كما هو الحال

للدار المنعزلة، والمركز القروي والكفر، والدوار، والريف، والعزيب، فالحدود بين الكفر والدوار غير واضحة، حيث يعتبر الدوار مجرد سكن بسيط، أما المركز القروي الذي يبدو أكثر تميزا بسبب ما يوفره من تجهيزات عمومية فإنه يطرح " مشكل الحدود الإحصائية من منطقة إلى أخرى(ريباع محمد، 2000).

بالرغم من هذا اللبس فإن تعريف الدوار لم يكن أن يتم دون استحضار مختلف الأبعاد التي ينطوي عليها، وهي أبعاد متنوعة ومختلفة، يمكن اجمالها في ما يلي:

1-الدوار كتجمع سكني عائلي

إن أغلب الدواوير تحمل اسم الجماعة الجينيالوجية التي تنتمي إليها (أولاد فلان، ايت فلان . . .). فالدوار في الأرياف المغربية قلما يأخذ اسمه من موقعه الجغرافي، وإنما من نسبه الاثني، فالإخوة المؤسسون للدوار هم ركائز أو نوايا العائلة الممتدة، وتتفرع عنهم مجموعة من العائلات، والقرابة الأولية قد لا تكون دائما حقيقية ومتيقن منها، وغالبا ما نجد الأنساب التي تمتد إلى العظم غير دقيقة حول الجد المشترك، ولا تتعدى في غالب الحالات الجد الثالث، فالفرد في الدوار يعرف من خلال اسمه واسم أبيه وأجداده، وفي حالة انتقاله إلى دوار آخر، فإنه يبقى حاملا بالإضافة إلى اسمه واسم جماعته. ومن هنا يتضح أن اسم الفرد يأخذ في الغالب ثلاثة أجزاء منفصلة: الاسم الخاص، واسم الأب وأخيرا اسم الجد الذي يدل في الغالب على المجموعة العليا.

غير أن ما تجب الإشارة إليه هو أن هذا الاسم الثلاثي قد يتخذ في الغالب أشكالا متعددة، فالاسم الشخصي يكون كافيا لمعرفته ضمن عائلته، إلا أنه في الدوار يصبح اسمه الشخصي مرتبطا باسم أبيه (ولد فلان)، وفي حالة تجمع كبير كالقبيلة أو السوق يصبح اسم جماعته أو فخذته ضروريا، وفي حالة تجمع كبير يصبح الشخص معروفا إما بقبيلته أو الإقليم الذي ينتمي إليه.

عموما، فإن الدوار تجمع اثني يجمع الساكنة التي لها نفس الأصول العائلية، تكون متجانسة ومترابطة في بعض الأحيان مع تجمعات أخرى ضمن نفس الإطار القبلي (الحاضري واعنيبر، 2019)، فهو إذن تبعا لهذا المستوى يظل الدوار تجمعا تاريخيا وجد في فترة تاريخية لتحقيق التعاضد والتكافل.

اجتماعيا نجد الدوار موزعا إلى خطوط نسبية أو تجمعات سفلى، قد تقتصر على الدوار وقد تتجاوزه إلى مستوى الفرقة أو الفخذة، وترتبط القرابة بأبناء العم أو رابطة العمومة، وهي مكون أساسي عليه يتأسس الدوار. على أن مفهوم العمومة قد يحيل أيضا إلى علاقات مجاليه مرتبطة بالفخذة أو التجمع القبلي بكامله، وعلى هذا الأساس إذن يمكن التمييز بين اسم أصيل حقيقي واسم آخر مجازي الذي لا يفقد مع ذلك بعده الجينيالوجي، وإن كان وهميا.

2-الدوار إطار للاستغلال الفلاحي

إن الوحدة الاقتصادية للدوار تتحدد كمجال ترابي ينتهي حيث يبدأ تراب الدوار المجاور، وكل دوار يمكن معرفة إنتاجيته الفلاحية وموارده وموقعه الاقتصادي بالمقارنة مع الدواوير المجاورة له، ويتجسد ذلك من خلال محاط الدوار، وهو مجموعة من الرساتيق المتنوعة، والتي تحدد

أساليب استغلال ساكنة الدوار لمجالاتهم. وحسب خصائص الرساتيق المتوفرة يمكن معرفة الإنتاجية الفلاحية لدوار ما وموارده، وموقعه الاقتصادي بالمقارنة مع الدواوير المجاورة له.

غير أن حدود محاط الدوار لا يمكن ضبطها بسهولة، على اعتبار أن كل تجمع سكاني يمكن أن تمتد حدود محاطه إلى مجالات مجاورة، وعادة ما تكون الرساتيق البعيدة عن كل تجمع سكاني لها أهمية ضعيفة، وتستغل كأنشطة تكميلية، إما في الرعي الحر أو في الزراعة، وغالبا ما يتم استغلالها زراعيا إما عن طريق نظام "الأكارة" أو "الخبزة" أو "المناصفة" أو يتم استغلالها بشكل مباشر عن طريق الرعي أو بعض المزروعات التي لا تحتاج لعناية. أما الوحدة الاجتماعية للدوار فتتجسد في كون عناصره تتضامن وتتعاون فيما بينها، ويتم تسيير شؤون الدوار قديما من خلاله نظام "أجماعه" الذي مثل القاعدة الأساسية التي يخول لها النظر في جميع مشاكل الدوار، وقد كانت تتكلف بجميع القضايا التي تهم الجماعة، كمعالجة شؤونه الفلاحية وتنظيمها، تحديد مجالات الرعي والحكم على المخالفات حسب العرف والعادة، كما تهتم بالمسائل ذات الصبغة الدينية، حيث تنظم الحفلات الدينية وتبني المساجد وتعين فقيه لها وتحضر الأعراس والمآتم ...، وكانت بذلك تتعدى وتتجاوز اللامركزية في مفهومها الحديث. وبهذا الشكل، تمكنت المجموعات السكنية من المحافظة على تجانسها ووحدتها وتوحيد قرارتها، غير أن العقود الأخيرة وخاصة مع الاستعمار، سيلاحظ بداية مأسسة أو إضفاء الطابع الإداري على الجماعة، وبالتالي ستشهد فترات بعد الاستقلال مجموعة من النصوص القانونية، والتي بموجبها تم تحديد دور الجماعات مضفيا عليها طابع الشخصية المدنية وسيضعها تحت الوصاية الإدارية.

3-الدوار أصغر وحدة إدارية

يمثل الدوار أصغر خلية إدارية وإقليمية، وحسب حجم التجمعات السكانية تتحدد الدواوير التابعة للمقدم، وعلى رأس كل اثنين أو ثلاثة مقدمين نجد الشيخ، الذي يمكن أن تشمل سلطته في بعض الأحيان "فخدة" بأكملها، وحسب حجم التجمعات السكانية وأبعادها الأمنية تتحدد الدوائر الانتخابية، حيث يشكل دوارين فأكثر دائرة انتخابية.

عند هذا المستوى يتم تصريف أي قرار إداري كيفما كان شأنه ومصدره، وحسب حجم التجمعات السكنية تتحدد الدواوير التابعة للمقدم الذي يتم تعيينه من طرف العامل بعد أخذ وجهة نظر القائد، وعلى رأس كل اثنين أو ثلاثة مقدمين نجد الشيخ الذي يمكن أن تشمل سلطته في بعض الأحيان فخدة بأكملها، تم الخليفة الذي يعمل نائبا للقائد، وينتمي كل هؤلاء (المقدم، الشيخ، الخليفة) إلى نفس المنطقة، ولهم علاقة بالسكان باستثناء القائد الذي يعتبر غريبا عن المنطقة، وهي خطة تعتمدها الإدارة الترابية من أجل ضمان حياد القائد في تدبير شؤون المنطقة. وعلى عكس الفترات التاريخية السابقة، لاسيما خلال العهد القبلي، فقد كان يتم اختيار القائد بحرية من ضمن الساكنة القبلية، ويتم تبريكه من طرف السلطان، أي أن تعيينه كان يعتبر كإتفاق بين إرادة السلطان وإرادة مرؤوسه. أما حاليا فالقائد لا ينتمي إلى المجموعة الإثنية، بل هو موظف الدولة على ساكنة الجماعات الترابية، والقائد ليس دائما على اتصال مباشر مع الساكنة القروية، لأنه غالبا ما يسير في إطار الوصاية الجماعية أكثر من جماعة ترابية، ويستقر غالبا في الجماعة التي يوجد بها مركز القيادة.

وعلى العموم فإن الدوار يشكل وحدة إدارية دنيا ضمن تنظيم المجال القروي، حيث توجد في المستوى الأعلى القبيلة التي تشكل إطارا للفعل السياسي، ثم تليه الفخدة التي تشكل إطارا للفعل الرعوي -الزراعي، ويوجد في وضع أدنى الدوار. هذا الأخير وحسب مؤهلاته، والتي تحدد مضمونه الوظيفي، الذي قد يكون رعويا أو زراعيا أو هما معا في إطار نظام مركب يشمل الزراعة والتدجين.

4-الدوار تجمع سكني

انطلاقا من هذا المستوى فالدوار ليس وحدة جامدة، بل وحدة تتطور تحت تأثيرات داخلية وخارجية، وتتغير مكوناته الاجتماعية خاصة بالمجالات التي تعرف حركية مهمة لعلاقات مجالية كثيفة. هذا التطور يمكن ربطه كذلك بالتحضر المتزايد والفردانية في السكن التي تفسر خلل المجتمع التقليدي وتوافد فئات اجتماعية جديدة، إضافة إلى ظهور بنيات تحتية كالمدارس والمستوصفات والدكاكين، والتي تشكل نوايا جديدة لانتشار السكن. بينما نجد نمطا آخر من السكن أكثر تطورا، ينتشر خاصة على محيط الأسواق والنقط التجارية والمحاور الطرقية، مشكلة بذلك مراكز قروية والأسس الأولى للتحضر، خاصة إذا ما تم دعمها من طرف الدولة بإنشاء مراكز إدارية كالقيادات والجماعات المحلية.

وبشكل عام، فالدوار هو وحدة جينالوجية واجتماعية، واقتصادية ووحدة إدارية دنيا، ويندرج في الإطار العام للمحاط الزراعي، ويتشكل من مجموعة من المساكن والبنيات المتعددة، وهو أيضا مزيج من المصالح الاقتصادية التي تقوم على تنظيم واستغلال المجال الفلاحي، ويتألف من عدة تشكيلات اجتماعية متباينة ومتكاملة.

ثانيا: الدوار من بنية متجانسة إلى بنية تراتبية

نتيجة للتحولات التي عرفها المغرب، فإن بنية ومكونات الدوار وأشكاله قد شهدت جملة من التحولات، فإضافة إلى الدواوير التقليدية المتواجدة في عمق الأرياف المغربية، والتي حافظت على مكوناتها الجينيالوجية وأساليب استغلالها لمحاطتها، وكذا وحدتها الاقتصادية والاجتماعية، فإن التحديث الاقتصادي الذي مس البوادي المغربية والتحولات المجالية المرافقة له، أدت إلى بروز أشكال متباينة من الدواوير.

1- مجالات التحديث الفلاحي من دواوير متفرقة إلى قرى نموذجية

في إطار التهيئة الفلاحية لبعض المجالات المسقية عمل المخططون لاستكمال فصول عملية التنمية الفلاحية، الشروع في تحسين ظروف السكن للأسر المستفيدة بواسطة تجهيز تجمعات سكنية، اختيرت حسب مؤشرات مخطط الهيكلة القروية الذي صودق عليه في السبعينات كنقط سكنية، وذلك لتحقيق رهان تحسين ظروف عيش السكان وتثبيتهم لحصر الهجرة القروية، وبالتالي المساهمة في تحسين ظروف عيش الساكنة والحد من تشتت السكن، فضلا عن الارتقاء بالتجمعات الريفية إلى مراكز جماعية وصاعدة.

وروعي في اختيار مواقع هذه القرى معايير سوسيولوجيا وديمغرافية وتقنية. غير أن هذه التدخلات على أهميتها وتنوع أهدافها لم تساهم في خلق ديناميكية محلية، في أفق انتشار الرغبة

في تحديث السكن ووظيفته كما وقع مثلا في أرياف أخرى، وإن في ظل ظروف اقتصادية مغايرة، ظروف النظام الاشتراكي مثلا (El Moula 1988, p368).

ومع ذلك، وبالرغم من العوائق التي رافقت عملية إنجاح التجربة، فإن الوحدات النموذجية التي كتب لها النجاح أدت إلى تغير مكونات المشهد السكني الريفي من قبيل وجود تصاميم هندسية، حيث تتخلل المساكن ممرات واسعة مرتبطة بالطرق المعبدة، فضلا عن توفر الكهرباء والماء.

على العموم تعطي هذه القرى النموذجية انطباعا أفضل من القرى الأصلية، بل وساهمت هذه التجربة في ارتقاء بعض هذه القرى إلى مراكز حضرية صغيرة مندمجة في وسطها الريفي ومساهمة بفعالية في تنظيمه والإشراف عليه من خلال جهاز تجاري وخدماتي في نمو مستمر، كما تحول بعضها إلى مراكز حضرية صغرى.

2- من الدوار إلى المركز القروي

إن هذا الانتقال يعود إلى موقع بعض التجمعات السكنية وقدرتها على احتضان أسواق أسبوعية وبعض المصالح الإدارية كالبريد ومقرات القيادة والدرك الملكي، وقد ساهم تركز المصالح المذكورة سلفا في تغير بنية ومكونات الدوار، إذ بالإضافة إلى استمرار النشاط الفلاحي، ساهم تمركز المصالح المذكورة سلفا في بروز أنشطة جديدة، بعضها ذات طابع إداري وبعضها الأخر ذا طابع تجاري.

ومن جانب آخر أدت هجرة بعض الأفراد من أطراف مجاورة إلى تغيير في بنية الدوار، حيث تنعدم الروابط الجينيالوجية، كما يفقد التجمع الأبعاد الأخرى المكونة للدوار. وتبعا لإمكانية رب الأسرة فإن السكن بالمراكز القروية قد يتخذ أشكالا مختلفة، لكن ذلك لا يمنع من وجود مساكن تتسم باستخدام المعايير القروية، كوجود الإسطبلات والزريبة.

3-سكن المراكز القروية والجماعية

يمكن أن ننظر إلى أن سكن المراكز القروية والجماعية بالأرياف كنتاج لتطور مجال السكن الريفي باعتباره نهاية لإحدى المسارات التي عرفها تطور "الدوار". إنه نتيجة طبيعية للتحول الذي عرفه الدوار الذي لم يعد وحدة مجاله بسيطة، وهو تعبير في نفس الوقت عن تفسخ الروابط التي كان تجمع أو يتأسس عليها الدوار، وخاصة على المستوى الجينالوجي، بحيث نجد أن سكن المراكز القروية تتساكن فيه وتتواجد فيه كل السلالات.

لقد جسد السكن في هذه المراكز، من هذا المنظور عاملا في تفتيت البنية القبلية، ومن ثم أصبح مجالا أو منطقة محايدة، يمكن أن يقطنها أيا كان بغض النظر عن أصله الجينالوجي، وهي كذلك رمز للانفتاح أو لتجاوز وتخطي التفكير السلالي، وما مثله على الدوام من إقصاء ونبذ للآخر أو الغريب.

وبحكم احتضان معظمها للأسواق الأسبوعية فهي تشكل مجالا للتأثير في باقي الدواوير، لأنها من جهة مجال تتركز فيه مختلف المصالح الاقتصادية والاجتماعية والادارية، ولأنها من جهة أخرى تلعب دور الوساطة بين عالم البادية والمدينة (الأسواق)، غير أن المراكز القروية بالأرياف المغربية، تقدم حالات متباينة للتطور، بحيث يمكن التمييز بين مراكز قروية يعرف فيها مجال

السكن اتجاها نحو التمدن، وبين مراكز لازال يطغى عليها الطابع القروي. وفي هذا الصدد تلعب العوامل الجغرافية دورا مهما في هذا التمايز على مستوى دينامية وأشكال السكن.

4-الدوار كسكن سري بالمدن

هو شكل سكني جديد أفرزته الاختلالات القائمة بين الأرياف والمدن، الشيء الذي جعل الأولى تصدر جزء من الفائض السكاني إلى المدن بحثا عن ظروف أيسر. ونظرا لارتفاع تكلفة السكن الحضري المهيكل وجدت فئات واسعة نفسها مضطرة للسكن في تجمعات متسترة تحمل اسم دواوير، تعاني هي الأخرى من انعدام البنيات والتجهيزات (ماء، كهرباء، طرق)، ويشكل هذا النوع من السكن عبئا ثقيلا على السلطات المحلية، نظرا للتكلفة التي تطلبها إعادة إيواء هذا الصنف من الساكنة.

بينما يمكن التميز بين نمطين من السكن في هذه الدواوير: نمط تشكل حديثا وارتبط بالهجرة القروية من مناطق مختلفة وتتميز منازله بانعدام المعايير القروية في الغالب، ونمط آخر قد تشكل في فترات قديمة نسبيا، غير أن التوسع الحضري لبعض المراكز الحضرية جعل الدوار يأخذ موقعا هامشيا، وكنتيجة لذلك استقبل الدوار فئات مهاجرة راغبة في ممارسة مهن حضرية، الأمر ترتب عن ذلك تحول في بنية ومكونات الدوار.

ثالثا: الدوار وتنوع الأبعاد المجالية بالأرياف: مثال منطقة دكالة

تتسم منطقة دكالة بالخاصيات الايكولوجية والمناخية المشتركة عموما بين السهول الأطلنطية، وتضاريس منبسطة لا يتعدى علوها 500 م، وأراضي يغلب عليها طابع التعارض بين سهل منبسط وهضبة ساحلية متضرسة ومتموجة، مما دفع الساكنة إلى المزاوجة بين الفلاحة والرعي. على أن التعايش بين الفلاحين والرعاة لم يكن يصل إلى حد الاندماج وتبادل المنافع؛ فالأراضي الزراعية كانت غالبا مفصولة عن أراضي الرعي، حيث كان لكل منهما مجاله الخاص، إضافة إلى أنها لم تكن تنتج ما يكفي للماشية من الكلاء.

ونظرا لتباين مكونات المحيط الايكولوجي وما يسود سكان هذه المنطقة من قيم مساواتية، فقد تضمن التكوين القبلي على مستوى الفخذ حرصا شديدا على أن يتوفر السكان في آن واحد على الأراضي السهلية للزراعة وأراضي الساحل للرعي. ونظرا لاعتماد السكان بشكل أساسي على تربية الماشية فقد تشكلت دواوير فوق المرتفعات، ووسط الرساتيق الزراعية ذات الوظائف المتنوعة زراعية أو رعوية، وذلك للاستفادة من الأراضي الواطئة في الزراعة والأراضي ذات التربة الهزيلة في الرعي.

يؤدي قدم التعمير وتدخل الدولة وتمايز دينامية التحولات بالمنطقة دورا أساسا في تباين خصائص الدوار ومكوناته، كما تساهم العوامل الطبيعية والجغرافية أيضا في إبراز هذه التباينات.

خريطة رقم1: المعطيات الطبيعية بدكالة وحركات اتجاه استغلال الرساتيق الفلاحية

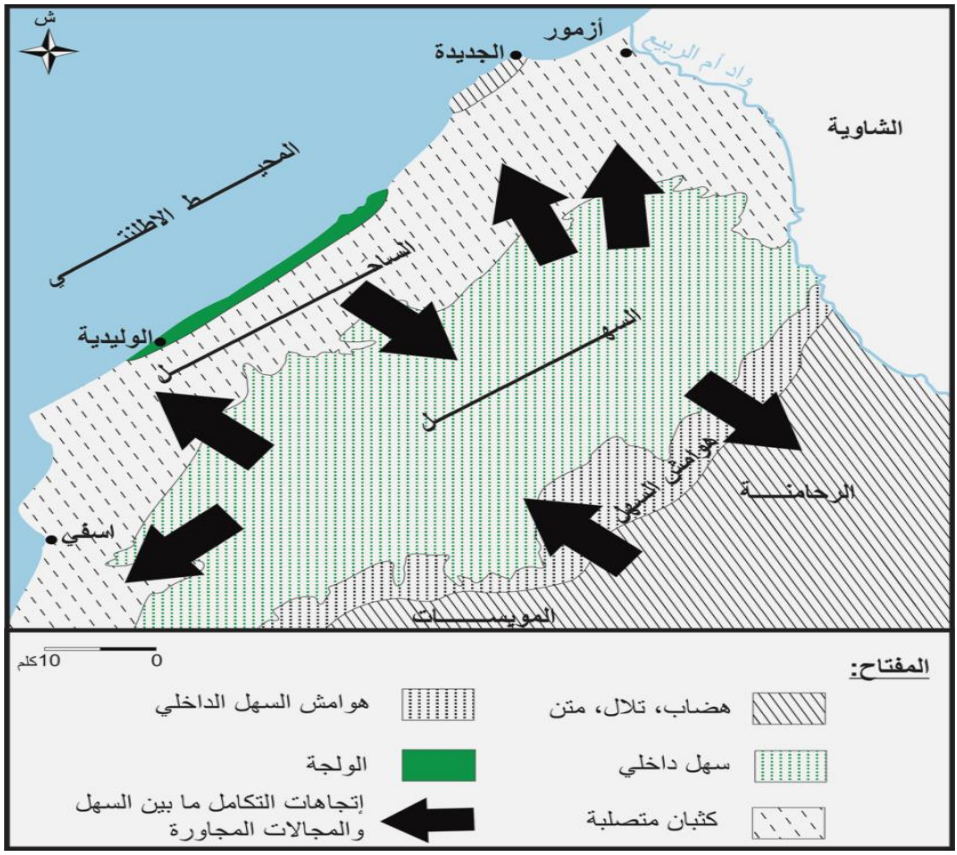

1-خصائص الدوار ومكوناته في السهل البوري الداخلي

نظرا لقدم التعمير بهذه الأجزاء من دكالة، فإن السكن يتخذ في الغالب شكلا متجمعا، ويتشكل الدوار من مجموعة من العائلات، يرتبط توزيعها عادة بالأولياء والأضرحة، ويراعي في توطينه مبدأ تكامل الرساتيق. وفي إطار هذا التنظيم القروي الذي يسمى الدوار، فإننا نميز عدة مجالات متميزة:

مجال السكن: يتركز في الغالب وسط مجموعة من الرساتيق، كما يمكن أن يتموضع أحيانا فوق المناطق المرتفعة نسبيا، وذلك لتمكن السكان من حماية أنفسهم من أخطار الفيضانات، التي ترتبط بالأودية المحلية في فترات الامتطاحات الكبرى، وللتمكن أيضا من مراقبة المحاط الزراعي. ويفترض في توطين التجمع السكني ضرورة وجود منبع مائي، وهذا الأخير وإن كان عاملا مهما في الاستقرار البشري بالأرياف المغربية، إلا أنه وبالنظر إلى ندرة الموارد المائية بدكالة، فإنه يشكل عاملا ثانويا، بحيث يعمل السكان على تبني استراتيجيات للتعامل مع هذه الندرة إما

باستغلال الضايات أو حفر نطافي لتخزين المياه، أو باستغلال الفرشة المائية عن طريق حفر بئر جماعي يتم استغلال مياهه لإرواء الماشية أو غسل الأواني والملابس، ويتم جلب المياه الصالحة للشرب ولطهي الشاي أحيانا من أماكن بعيدة.

مجال مسيج يحيط بجوار الدوار: تتباين مكونات مواد السياج حسب أنواع الرساتيق السائدة، فإذا تعلق الأمر برساتيق الفيض أو الرمل فإن السياج يتشكل من الصبار أو زرب "السدر"، أما إذا تعلق الأمر برساتيق التربة الفقيرة فيتشكل من الأحجار. يقوم المجال القريب من السكن بوظائف متعددة: بحيث يشكل مجالا لتجميع المحاصيل وتخزين التبن، وتشيد فيه أكوام مستطيلة من التبن، كما يعد مجالا لحراسة الماشية وتزرع فيه بعض الخضروات "كالبصل مثلا"، وعادة ما يستفيد أكثر من عملية التسميد خصوصا روث البهائم.

مجال جنانات: وهي مجالات تضم أشجار التين، وفي بعض الحالات كما هو الشأن بالنسبة لـ "مطل" و"العوانات" نجد أشجار الكروم، والعنب.

أراضي مفتوحة مخصصة للفلاحة: نادرا ما تكون مسيجة، تضم مجموعة من البقع وكل بقعة تحمل اسما يميزها عن البقع الأخرى، وتنقسم البقع إلى أجزاء أو قطع صغيرة تحمل اسما مرتبط بحجمها: مطيرة، خدام، فدان.

مجالات للرعي: إن توزيع الدواوير بدكالة بشكل عرضي على الوحدات التضاريسية مكنها من ضمان الأراضي الموجودة في السهل للزراعة، ومجالات الساحل والكنثور للرعي. ومن هذا المنطلق حرصت ساكنة دكالة على تملك أراضي في الكنثور أو في الساحل، وقد شكل رستاق الكنثور والرحامنة مجالا مفتوحا للرعي بالسهل البوري الداخلي.

يتشكل الدوار في الغالب من مجموعة من الأحياء الصغرى، وكل دوار له شارع رئيس يقسم الدوار إلى شطرين، ونجد في وسط الدوار ساحة أو ساحتين عموميتين واحدة تكون أمام المسجد وأخرى أمام محل تجاري (حانوت أو مقهى)، وهذه المجالات هي المكان العمومي الذي يجتمع به أفراد الدوار كل مساء تقريبا للعب لعبة الأوراق "الكارطة"، وتتفرع عن هاتين الساحتين طرق تؤدي إلى الأحياء، وفي كثير من الأحياء نجد ساحات صغيرة التي يلتقي بها سكان الحي أو الريف وخاصة النساء.

إن هذه الصورة العامة للدوار، مازالت نسبيا مستمرة ومازالت كما هي تقريبا بالدواوير البعيدة عن شبكة المواصلات. أما الدواوير المجاورة للطرق المعبدة فلم تعد بها ساحات داخل الدوار وأصبحت صغيرة وبدون وظيفة، وظلت الواجهة المطلة على الطرق هي مقر اللقاءات.

خريطة رقم2: الدوار بالسهل البوري وعلاقته بباقي الرساتيق

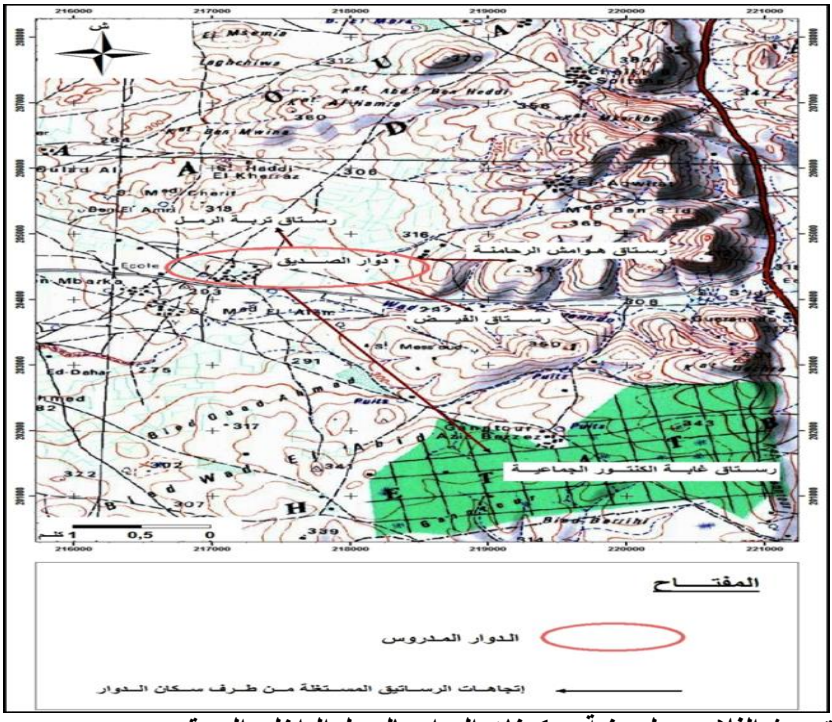

2-أثر التحديث الفلاحي على بنية ومكونات الدوار بالسهل الداخلي المسقي

ساهم التحديث الفلاحي بالسهل الداخلي المسقي في تأثير على بنية الدوار ومكوناته، فقد أدت عملية الضم إلى تفريق السكن في مجالات السكن المتفرق من جهة، وإلى تغيير المكونات الخارجية للدوار ومجالاته من جهة أخرى. وعلى العموم نميز داخل السهل الداخلي المسقي بين عدة مستويات من الدواوير:

سكن تعاونيات الإصلاح الزراعي: عبارة عن تجمعات سكنية وزعت على صغار الفلاحين في إطار عملية الإصلاح الزراعي، حيث يتطابق عددها مع عدد التعاونيات، ولا يتباين مضمونها الوظيفي كثيرا عن باقي الدواوير بدكالة، غير أنها مختلفة من حيث الشكل الهندسي ونوعية تجهيزات، فهي تظهر إما كسكن متجمع مفتوح (تعاونية الطالبية بالزمامرة) أو سكن متجمع متراص (شركة بولعوان).

وهي على العموم عبارة عن تجمعات سكانية متباينة من حيث الأصول، وبهذا المعنى تفقد نسبيا البعد الجينالوجي، وكل مجموعة تنتمي إلى دوار بالجماعة أو خارجها، ولازالت كل مجموعة لها علاقة معينة بالدوار الذي تنحدر منه، لكن علاقات الجوار والمصاهرة والمصالح المشتركة تؤدي إلى تقوية العلاقات التضامنية فيما بينها، ولا تتجاوز عدد سكانها في كثير من الحالات 500 نسمة كما هو الشأن بالنسبة لتعاونية "بوسحيمية" و"الطالبية" بجماعة "الغنادرة"، حيث لا تتجاوز الأولى 570 نسمة والثانية 405 نسمة حسب إحصاء 2014، وتظل شركة بولعوان أضخم تجمع

سكني لهذا الصنف من السكن، حيث وصل عدد ساكنتها حسب إحصاء 2014 حوالي 2700 ن وحوالي 402 أسرة، في حين لا يتجاوز عدد ساكنة التعاونيات البورية 200 نسمة، كما هو الحال بالنسبة لتعاونية "الهموشية" بأولاد عمران التي يصل عدد ساكنتها إلى 182 نسمة.

يتكون سكن التعاونيات من المجال السكني الخاضع للتصميم على مستوى هندسة المسالك والممرات، ومن مجال خارجي مشكل من حيازات فلاحية مكونة من 5 هكتار في أغلب الحالات لكل فلاح، وكل حيازة فلاحية مشكلة من عدة مشارات زراعية، تزرع بها مزروعات متنوعة حسب نظام الدورة الزراعية المتبعة التي تحولت من دورة اختيارية إلى دورة إجبارية.

سكن الوحدات القروية للتجهيز والتسيير: أحدثت هذه الوحدات في إطار برنامج الإعداد الهيدروفلاحي بالقطاعات المسقية بدكالة بعد 1970، وهي عبارة عن قرى نموذجية، تواجدها رهين بالاستجابة لمجموعة من المتطلبات، خاصة فيما يتعلق بالحد من ظاهرة التشتت المجالي للسكن، مع فصل التجمعات السكنية على الاستغلاليات، ومحاولة الحد من البناء العشوائي وتجهيز القرويين بمجموعة من التجهيزات التي يصعب القيام بها في إطار السكن المتفرق الفوضوي، فضلا عن تحسين الأوضاع المعيشية للساكنة الريفية، وتنظيم تنقل وسائل الإنتاج بالمجال.

هذه الوحدات نتيجة لاقتطاع بعض الأراضي من عملية الضم، وتتكون من مجموعة من البقع المعدة للبناء، حيث تضم كل واحدة من 200 إلى 400 بقعة، ومساحتها تتروح ما بين 1000 و2500 متر مربع حسب أهمية الملكية الزراعية الأصلية للمستفيد، وترتبط مساحة كل وحدة بأهمية الدواوير الملحقة، وتقوم الدولة بتجهيز هذه الوحدة على شكل تجزئات سكنية شبيهة بالتجزئات الحضرية. وقد روعي عند اختيار نقطة ما في كل وحدة قروية، ضرورة تقريب الفلاح من الحيازة، فالمسافة الفاصلة بين الحيازة والسكن يجب أن لا تتجاوز 1,5 كلم، بالإضافة إلى تركيز التجهيزات العمومية للتخفيض من تكلفتها. لكن ما يستدعي الانتباه عند الملاحظة المباشرة لهذه الوحدات، أن المساحات الفارغة تظل أهم ميزة تميز الوحدات، ومن ثمة يمكن القول، أنه إذا كان السقي قد عمل على محاولة وضع حد لظاهرة التشتت السكني، فإنه في المقابل لم يعمل على تطوير وتنمية نسبة البناء في الوحدات القروية عموما، والتي تظهر من خلال الصورة الجوية والمعاينة الميدانية على شكل سكن مجمع مفكك.

شكل رقم 1: تصميم نموذجي للسكن بالوحدات القروية للتجهيز والتسيير بالقطاع المسقي بدكالة

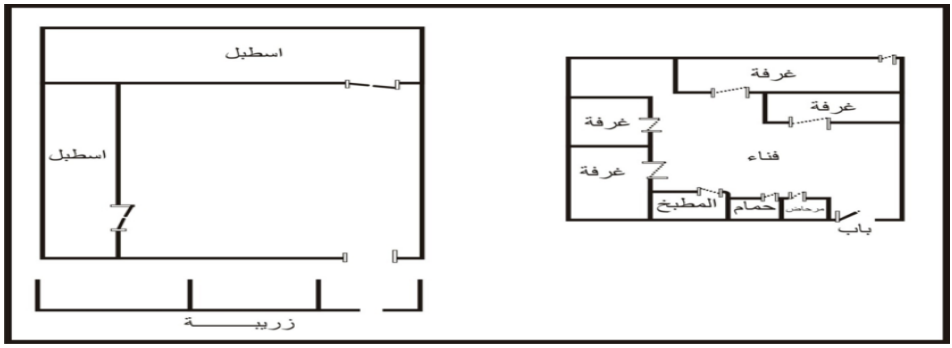

سكن دواوير القطاع المسقي التي لم تستفد من عملية الهيكلة: إذا كان مشروع السقي قد أخذ في الحسبان مسألة إعادة هيكلة السكن الريفي في إطار إنشاء وحدات قروية للتجهيز والتسيير، فإن هذه الهيكلة اقتصرت على القطاعات المسقية بعد 1970، في حين أغفلت هذه القطاعات قبل هذه الفترة، والتي لم يستفد من عملية الهيكلة، الأمر الذي طرح سيناريوهات متعارضة لتطور السكن، فقد أدت عملية الضم إلى تجميع السكن في دواوير السكن المتجمع، وتفريق السكن في أماكن السكن المتفرق:

دواوير السكن المتجمع: تأخذ هذه الدواوير إما شكلا متجمعا متراصا أو مفككا، وتتشكل من مجالات السكن، تتوسطها مجموعة من الحيازات الفلاحية، تتبع نظام الدوارة الزراعية، الذي أضحى خاضعا لاختيارات الفلاح، بعد أن كان إجباريا خلال العقود القليلة السابقة.

دواوير السكن المتفرق: تنتشر بشكل متفرق على الحيازات الفلاحية المشمولة بعملية الضم، وبالرغم من أنها تحمل اسم الدواوير، لكن مفهوم الدوار يطرح صعوبة كبيرة عند محاولة تحديد حدوده، ليظل التعيين الإداري والمدلول الإحصائي هما العنصران الحاسمان في تحديد مفهوم الدوار، بحيث يصعب تحديد الحدود الجغرافية للدوار، وبشكل أخص تحديد محاطته، نظرا لتداخل محاط الزراعة لكل دوار مع الدواوير المجاورة.

عموما، فأهم ما يمكن قوله إن الدوار كإطار سكني بالسهل الداخلي يعرف تباينا كبيرا من حيث مكوناته وعناصره الخارجية حسب الوحدات المجالية، وهذا التمايز في شكل الدوار ارتبط أساسا بدرجة التحديث الفلاحي وعمليات الهيكلة السكنية المرافقة له، الأمر الذي أفرز أشكال متباينة من الدواوير، فبالإضافة إلى الدوار التقليدي بالسهل البوري الداخلي الذي حافظ بشكل نسبي على مكوناته، نجد سكن تعاونيات الإصلاح الزراعي، وسكن الوحدات القروية للتجهيز والتسيير، اللذين ارتبطا بشكل مباشر بتدخل الدولة، كما أن التحديث الفلاحي في بعض مكونات السهل

الداخلي وعدم الأخذ بعين الاعتبار مسألة هيكلة السكن الريفي ساهمت في انتشار عملية تفريق السكن، بحيث يفتقد الدوار عند هذا المستوى مدلوله الجغرافي.

3-الدوار في الساحل

يتسم الإطار السكني بالساحل بعدة أشكال تنظيمية، وهذا التمايز الشكلي يعود إلى التباين الطبوغرافي واختلاف المؤهلات الجغرافية، كما يرجع إلى مستوى تكييف السكان مع الإطار الطبيعي المعاش. وفي هذا الصدد، نشير إلى أن الفلاح بهذه الأجزاء من دكالة نهج استراتيجية محكمة للتعايش مع المجال، حيث خصص الأجراف الميتة للسكن، ليتمكن في نفس الوقت من الحفاظ على المساحة الزراعية دون تقليصها، تم الإشراف عن كثب على مشاريعه الفلاحية. فالمسافة التي تفصل بين موضع السكن الريفي والمجال الزراعي تتراوح ما بين 0,5 و1,5 كيلومتر كحد أقصى، وبين المجال السكني والمجال الرعوي ما بين 5 و7 كيلومترات.

إن تركز السكن فوق البروزات الصخرية المرتفعة يرجع أيضا إلى الرغبة في تجنب بعض الأخطار الناتجة عن حدوث المسيلات المائية في فترة الامتطاحات الكبرى التي قد تشهدها المنطقة بين الفينة والأخرى، ثم تجنب مجاورة المستنقعات التي تكثر فيها الحشرات، والتي تجتاح المجالات السكنية من حين لآخر.

إجمالا، فإن التجمعات السكنية تتموضع كما يظهر من خلال الخرائط الطبوغرافية لهذه الوحدة المجالية تارة على قمة الكثيب الصلب، وأحيانا على سفح الكثيب، وأحيانا بالمجال الكثيبي، لكن حين يسود التصخر كما هو الشأن بالنسبة للساحل الداخلي الجنوبي، لا يمكن الفصل بين المجال السكني والمجال الرعوي.

وعموما، يمكن التمييز بين ثلاث مكونات للدوار بالساحل:

المجال السكني: هو عبارة عن دواوير مختلفة الأحجام، مع هيمنة التجمعات من حجم المتوسط والصغير، تحمل هذه الدواوير في الغالب اسم الجماعة النسبية التي تنتمي إليها، يتموضع السكن بين المجال المخصص لزراعة الحبوب والبقول، فالمساحة المخصصة للسكن تكون عبارة عن كثبان غير صالحة للزراعة، بحيث نجد أن منازل تفصل بينها فراغات ذات سطح مخدوش مما يدفع السكان إلى البحث عن بقع منبسطة وصالحة للبناء، ويرتبط السكن مع العناصر المجاورة عبر مسالك، والتي تكون نسيجا من منازل الدوار.

مجال رستاق المنخفض الولجي: يمتد هذا الرستاق على مسافة طولها 91 كيلومتر، مع تقطيع امتداده الطولي بين الضفة اليسرى لنهر أم الربيع إلى حدود الجرف الأصفر، وقد شكل هذا الرستاق بفعل الإمكانيات الترابية والمائية مجالا للزراعات المسقية والكثيفة، ويعتبر بذلك مجالا متميزا عند محاذاته لمجال تنعدم فيه الزراعة، ألا وهو الساحل، ويتكون هذا الرستاق من ضيعات فلاحية عصرية تمارس بها أنشطة فلاحية متنوعة، وتعتمد على تجهيزات حديثة كان لها الأثر الحاسم في إعطاء المنطقة مشاهد زراعية متنوعة.

مجالات المرجات: تجتاح المياه البحرية كل منطقة تنخفض فيها نقط الارتفاع عن الصفر البحري، وتتخذ هذه الاجتياحات البحرية شاكلة أودية، يتسع أو يتقلص امتدادها تبعا لعملية التراقص البحري، ونتج عن ذلك تكوين مجموعة من المرجات تفصل بينها جزيرات معشوشبة،

وتخترقها أودية صغيرة مشكلة لقنوات تبديل مياه المرجة أثناء فترة المد والجزر البحريين، وأهم هذه المرجات هي مرجة سيدي موسى، وسيدي عابد.

المجالات الغابوية: توجد على طول الكثبان الرملية الحية مجالات غابوية، وتشكل بفعل امتدادها وتكاثفها حاجزا طبيعيا يحمي الحيازات الفلاحية من ضربات الريح البحرية القوية، كما تعمل على منع الرمال من التحرك في اتجاه الحقول الزراعية، ومعظم هذه الغابات تمت في إطار برامج تم التخطيط لها سنة 1952، لأجل المحافظة على التربة من التعرية والغابات، وقد تكلفت بهذه المهمة إدارة المياه والغابات، ثم استأنفت هذه العملية من جديد سنة 1961 وبطرق تقنية حديثة، تم استمر هذا المشروع حتى العقود الأخيرة.

مجال الساحل الصخري: يتكون هذا الرستاق من كثبان متصلبة ممتدة على شكل أعراف طولية ذات اتجاهات متوازية مع البحر، يشكل من خلال موضعه ومورفلوجيته حاجزا طبيعيا أمام تسرب المياه السطحية الآتية من العاليات المجاورة في اتجاه المحيط. يعتبر هذا الرستاق فقيرا من حيث معطياتها الترابية الهيكلية والضعيفة العمق، ومحدودة بين المنخفضات البيكتيبية، وقد عملت مختلف آليات التشكيل السطحي على إزاحة ونقل العناصر الدقيقة للتربة نحو الساحل، وعملت على إبراز الصخرة الأم. وتدخل هذه الرساتيق في معظمها ضمن نظام أراضي الجموع، تتصرف فيه القبائل القاطنة به تصرفا كاملا من حيث الاستغلال الزراعي والرعوي. ويعرف هذا الرستاق نشوء تجمعات سكانية صغيرة، يصعب أحيانا تحديد المضمون الوظيفي للمجال السكني، وتحديد عناصر البقاء طالما أن النشاط الرعوي غير كاف لتلبية الاحتياجات الأسرية.

وعموما، فإن السكن بالساحل، يأخذ سواء من حيث تموضعه أو شكله، أو من حيث الرساتيق المشكلة له سمة خاصة تميزه عن باقي الوحدات المجالية المجاورة، ولكن يتشابه معها من حيث الإطار السكني الذي هو الدوار، وهو إطار لم يعد يهم فقط المجالات الريفية، بل حتى المجالات القريبة من المدن وكذا المراكز القروية.

خريطة رقم 3: موضع الدوار بساحل دكالة وعلاقته بباقي الرساتيق، حيث يتموضع الدوار فوق ظهير الكتيب بهدف التمكن من استغلال رستاق الكثبان الصخرية في الرعي ورستاق المنخفض الولجي في الزراعة

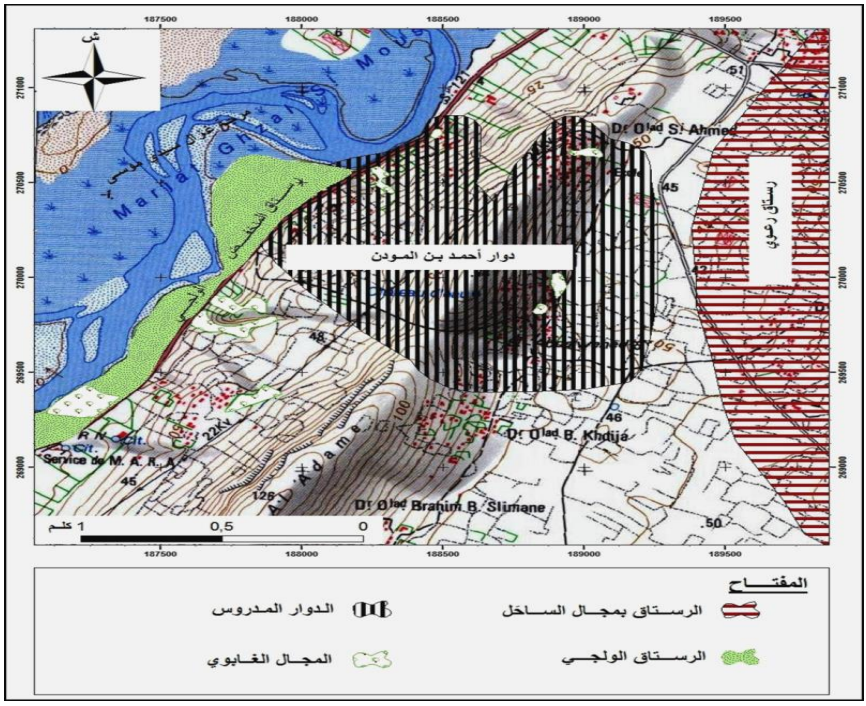

4-سكن الدواوير القريبة من المراكز الحضرية

هي عبارة عن تجمعات سكنية، ظهرت نتيجة للهجرة القروية وأزمة الأرياف بفعل اتساع دائرة الفقر، ورغبة أرباب الأسر في تحسين ظروف عيشهم. تتنوع أشكال السكن داخل هذه الدواوير بين مساكن حضرية وأخرى ذات طابع قروي، وفي بعض الحالات تتخذ أشكال سكنية هشة "براكة"، ويحمل هذا النمط من السكن أسماء مختلفة كالسكن غير القانوني، والعشوائي، والسكن الصفيحي أو القصديري. حضور هذا الصنف من السكن أضحى مهما بدكالة، إذ تزايدت عدد الدواوير بشكل كبير بالقرب من المراكز الحضرية الساحلية أو المتواجدة في مدن السهل الداخلي.

عموما، فإن الإطار السكني بدكالة، يعرف تمايزات مهمة، وقد ساهمت العوامل الطبوغرافية وتدخلات الدولة والتحولات العامة للمجال الدكالي برمته، في تنوع بنية ومكونات الدوار بدكالة، حيث عرف جراء العوامل السالفة تنوعا على مستوى مكوناته وبنيته الخارجية، بل حتى على مستوى التسمية والدلالة. وبغض النظر عن هذا التنوع فإن التجمعات السكنية بدكالة تتباين أيضا من حيث أحجامها ونسيجها.

مناقشة النتائج:

من خلال هذه الدراسة التي تناولت مسألة تحديد مفهوم الدوار، والوقوف على مختلف الأبعاد التي ينطوي عليها، نود تسجيل مجموعة من الملاحظات، وهي كالآتي:

- إن تحديد مفهوم الدوار يصطدم بعدة صعوبات، ترتبط أساسا بعدة اعتبارات؛ يأتي في طليعتها ضعف التراكم المعرفي حول هذا المفهوم بالأرياف المغربية، إن لم نقل غياب محاولات تحديده، وتقتصر جل المحاولات على جرد صعوبات إيجاد تعريف دقيق بحجة غياب مدلول إحصائي، وبالتالي إن هذا الضعف من شأنه أن يؤدي إلى صعوبة تقعيده وتأصيله؛

- لا يثير معنى الدوار غموضا في المعاجم اللغوية العامة والمعاجم الجغرافية المتخصصة فحسب، بل لا نكاد نجد أي إشارة إليه، رغم أنه يشكل قاعدة إحصائية أكثر إجرائية في دراسة المجال القروي، كما يشكل أنسب إطار لمباشرة الفعل التنموي؛

- ظل الالتباس المعرفي للمفهوم غامضا من الناحية القانونية لمدة طويلة إلى أن آتى قرار وزير الداخلية سنة 1964؛ حيث تم تعريفه بكونه مجموعة مساكن متجمعة ومرتبطة بروابط فعلية أو صورية بعنصر القرابة فهو يوافق أصغر خلية إقليمية، قد يتضمن نمط استغلال جماعي ومسيرا إداريا من طرف المقدم. ومع ذلك اتسم هذا التعريف بالكثير من العموميات ولم يحسم في الجدل القائم؛

-إن تدقيق النظر في معنى " الدوار" انطلاقا من المعطيات المتوفرة، يظهر أن مفهومه، يتخذ مدلوله حسب ظروف استعماله، وبالتالي فان مفهومه مرتبط ارتباطا وثيقا بالمجال الذي يحتضنه، وبطبيعة المجموعات البشرية الضاربة فيه، وأصولها العرقية (عربية أو امازيغية...)، وكذا بالتطور العمراني الذي يشهدها؛

-يعبر عدم وضوح المعايير المعتمدة في تحديد مفهوم "الدوار " عن إحدى اهم المعضلات الحقيقية التي تساهم في غموض المفهوم؛ فالمعايير الإدارية غير واضحة، وكثيرا ما تشهد تغيرات واضحة حسب رهانات السلطة وهواجسها، ويصدق نفس الأمر على مستوى الزمن؛ ذلك أن مفهوم الدوار في فترة زمنية معينة لا يجب اسقاطه على فترة زمنية أخرى؛ فمن المعروف أن التحولات تضفي على المجال صبغة فريدة تختلف تجلياتها عن الفترات السابقة؛ ولهذا فمن الواجب والمفيد اعادة النظر في المفهوم وفق التحولات الجارية؛ وفقا لدينامية العمرانية التي يعرفها الدوار كتجمع سكاني وكإطار للعيش المشترك؛

- أدت التحولات الفلاحية الحديثة بالأرياف المغربية إلى تغير بنية الدوار شكلا ومضمونا، فهو لم يعد يراعي في تموضعه القرب من الماء وتكامل الرساتيق، حيث أضحت تلك العناصر جزء من الماضي، بل بات ينزع نحو المجالات الحضرية وأضحى يولي وجهه نحو المسالك الطرقية. وهو ما أفرز أشكالا مختلفة من التجمعات السكنية الريفية ولكن لازالت تحمل تسمية دوار؛

- تظهر الوثائق الرسمية (تصاميم التعمير- تصاميم التهيئة - تصاميم النمو)، غياب أي تصنيف للسكن القروي، تبعا للخصوصيات الجهوية والمحلية والقبلية التي تطبع القرى الكبيرة، والتي تحولت مع الوقت إلى مراكز قروية، وعدم اعتبار الدوار شكلا مؤسساتيا للتنظيم الأساسي للسكن القروي.

بناء على نتائج الدراسة ومخرجاتها يوصي الباحثان بما يلي:

-ضرورة الاهتمام بالمفهوم وتأصيله، بغية تحقيق تراكم معرفي ومنهجي، وايجاد معايير واضحة ومتفق عليها، وذلك تلافيا للبس الذي يكتنفه، سواء في شقه الإداري أو الإحصائي أو الوظيفي؛

- أن الجواب على سؤال التنمية بالأرياف المغربية؛ وتجاوز رهانات مختلف أشكال التأخر الذي راكمته على امتداد العقود السابقة، وتقليص الهوة بين المدن والأرياف يفرض ضرورة الانطلاق من "الدوار" باعتباره الإطار المجالي والترابي الأنسب لمقاربة إشكالية التنمية الريفية، وهذا لن يتأتى إلا بتبني مقاربة تشاركية واستشارية مع الساكنة المعنية؛

-إن تحسين ظروف عيش الساكنة الريفية، وبالتالي تحسين السكن يفترض العمل بكيفية تكاملية على الجمع في الوقت ذاته بين تنمية المسكن والتنمية الاجتماعية، عبر وضع برامج تهم التجهيزات العمومية وبين أنشطة ذات طبيعة اقتصادية، وبالنظر إلى هذا الارتباط بين التنمية الاقتصادية وتحسين السكن الريفي فقد أضحى دعم الأنشطة الاقتصادية ضروريا بغية تعزيز دخل الأسر القروية، وذلك من خلال تطوير أنساق إنتاجية ملائمة لخصوصيات المجال، وتنويع موارد الاقتصاد بتعزيز الأنشطة غير الفلاحية بالوسط القروي؛

- ضرورة ايجاد مقاربة ملائمة للحد من نزعة التشتت المبالغ فيه للسكن الريفي بالأرياف المغربية عامة وأرياف دكالة خاصة، حتى يسهل ربطه بالتجهيزات الاجتماعية والأساسية, لأن هه التجهيزات أينما توطنت، فهي تظل بعيدة عن الساكنة, وفي ها الصدد وجب إعادة إحياء تجارب الهيكلة وتجميع السكن التي كانت قد باشرتها الدولة المغربية خلال السبعينات من القرن الماضي, والتي تم توقيفها لأسباب غير معروفة، ودون أن تخضع لرصد والتقييم, مما أضاع العديد من الفرص لجعل ورش تنمية السكن القروي وسيلة لتحسين إطار عيش الساكنة القروية، والنهوض بجاذبية المجالات القروية وجعله رافعة أساسية للتنمية الاقتصادية, لأن هناك ميل كبير للسكن نحو نزعة التشتت المبالغ فيه، وخاصة خلال العقود الأخيرة، لدرجة أصبح معه مفهوم "الدوار" اسم بدون معنى وأحيانا بدون مسمى؛

- وجب إدراج الدوار كمكون سكني ومجالي بالأرياف المغربية، ضمن رؤية إعداد التراب الوطني ووثائق التعمير، وبرامج عمل الجماعات، وجعل هذا الإطار فضاء فعليا لمباشرة العمل التنموي، والإطار الترابي الأنسب لمباشرة وتفعيل خطط التنمية المحلية.

خلاصة:

سعت هذه الدراسة إلى محاولة إزالة لبس عن مفهوم الدوار، وحاولت ملامسة الكثير من جوانب الغموض التي تحيط بالمفهوم، ويعزى هذا الغموض في كثير من جوانبه إلى ضعف التراكم المعرفي.كما بينت أن الاحتكام إلى المقاربة الإحصائية والإدارية لن يحل المشكل، بل يزيده تعقيدا وغموضا. ومن جانب آخر أبرزت هذه الورقة البحثية أن المؤهلات الطبيعية والموروث الحضاري من العوامل الأساسية في تحديد خاصيات الدوار بالأرياف المغربية، ذلك أن البحث عن مواضع الاستقرار وضمان الآمن والحماية من الأخطار وضمان تكامل الموارد، كلها عناصر تتحكم في أشكال السكن بالدوار وبنيته ووظائفه وجوانبه التنظيمية. فالمنشآت السكنية باختلاف أشكالها تتحكم في توزيعها الوحدات التضاريسية والعوامل المناخية وكذا الظروف

التاريخية، فضلا عن الاستراتيجيات المعتمدة في تدبير الموارد وضمان ديمومتها والتي تفرض طبيعة ونوعية السكن، هذا علاوة عل وزن تدخل الدولة سواء في إطار الإصلاح الفلاحي أو فيما يتعلق بالمشاريع المرتبطة بهيكلة السكن. ففي الجبال نجد السكن يكون متجمعا ومنيعا، وفي المناطق السهلية فإن الميزة الأساسية لتلك المنشآت هي التشتت على ضفاف الأنهار، ويتخذ السكن شكلا خطيا حيث الحاجة إلى الماء. أما في المجالات شبه الجافة فإنه من المفترض أن يستقر بالقرب من الموارد المائية.

قائمة المراجع:

1. الحاضري خاليد(2019)، السكن الريفي بدكالة: التحولات ومشاكل الاعداد التهيئة، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، العدد السابع، المركز الديمقراطي العربي ببرلين.

2. الحاضري خاليد(2007)، الجماعات المحلية وإشكالية التنمية الريفية بدكالة، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، شعبة الجغرافيا كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة ابي شعيب الدكالي بالجديدة المملكة المغربية.

3.بلفقيه محمد(1982) أوليات في الجغرافية الزراعية، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1982.

4.ريباع محمد(2000)، الإعداد الهيدروفلاحي والتحولات الجغرافية بسهل دكالة المسقي أطروحة لنيل دكتوراه دولة في الجغرافية كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال جامعة السلطان مولى سليمان المملكة المغربية.

5.جمال عبد اللطيف(2007)، ملاحظات أولية حول موضوع السكن الريفي بالمغرب، ورد في ندوة السكن الريفي بالمغرب، التحولات وآفاق التنمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، شعبة الجغرافيا، سلسلة ندوات ومناظرات العدد 8 المغرب.

6. المندوبية السامية للتخطيط جذاذة إحصاء الدوار(2014)، المملكة المغربية.

7. Adam. A, (1986), bibliographie critique de sociologie d'thermologie et de géographie humaine du Maroc, Uni Rêne Descartes, Paris Sorbonne.

8. Akasbi. N et Guerraoui. D, (1991), Enjeux agricole. Casablanca, Edition le Fennec.

9.Akesbi (2002), la question sociale: éducation, emploi, élément de bilan. In Revue Marocaine d'Audit et de développement n° 15, Décembre, pp59-63.

10.Alian N (1992), concepts de géographie économique contemporaine, collection ; parais puff.

11.Alioua F (1997), l'exploitation agricole familiale dans le périmètre irrigue des Doukkala (MAROC), Anciennes stratégies alternative ? In politique agricoles paysannes ou Maghreb et en méditerranée occidental, Elouni Méditions, Paris. ALIF-IRMC PP296 -311

12 . Ammor F (2003), l'etat à L'épreuve du Sociale, Revue marocaine d'Administration et développement N°44, 176P.

13. André Fages, (2000), caselles et pierre sèche, Los Adralhans, Millau, 250 p.

Atlas de l'Afrique (2002), Atlas du Maroc, les Editions J. A, 2002. 1ere édition Paris.

14. Ayad. M, (1982), L'organisation de l'espace rurale dans le plateau d'El Jadida et sahel d'Azemmour, Etude de géographie rurale, cartographie, Mémoire DES en Géographie, Rabat (Ronéo).

15 .Bois. J, (1938), la surpopulation des Doukkala, documents du centre des hautes et des administratives sur l'Afrique et l'Asie moderne n°300 (Ronéo).

16 .El khalidi. A, (2009), mots et choses Amazighs de Doukkala-Abda et Chaouia, N°3, El-Jadida. Com. P1 -3.

17 .El Moula, (1988), les U. R. E. F des Doukkala : facteurs de blocage et ou développement de l'habitat rurale, Al Maouil (les cahiers de l'ANHI) col 1991-1997 mois pp 364-369.

18. Forse, M et Mendras. H, (1983), le changement social, tendances et paradigmes, Armond Colin Editeur, paris.

19.Fosset. R et Noin. D, 1966,Utilisation du sol et population dans les Doukkala Revue géographie. Du Maroc Nº10, P : 34-41.

20. Fosset. R, 1979, Société rurale et organisation de l'espace dans les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen : Chaouia, Abda-Doukkala. Thèse de doctorat d'état, universitaire Paul Valery, Montpellier.

21.François. P, (2002), Les cabanes en pierre sèche du Périgord, Éditions du Roc de Bourzac, Bayac.

21. Hansnes. J, (1971), L'habitat et société et l état dans les pays Maghrébin, puf paris

22. Hermelin. M, (1957), Les cultures maraichères de la zone côtière Marocaine de Fedala a Oualdia, les cahiers d autres mer, N39pp190-200

23. Iraki. A et Tamim. M, (2012), La dimension territoriale du développement rural au Maroc : Etude géographie. INAU, PUB Rabat net.

الهوية و الثقافة بين الذاكرة و الخطاب

أ.مريم حيسو، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكدال-الرباط، جامعة محمد الخامس- المغرب

Identity and culture between memory and discourse

Mariam Hissou

faculty of legal economic and social sciences- Agdal-Rabat

Mohammed V University-Morocco

ملخص: يعيش الفرد في وسط يتطلب منه أولا تعلم رموزه، فهو يعيش في مجتمع له عادات و تقاليد منذ صغره لتصبح بعد ذلك جزءا من سلوكه. ينتج عن تواصل الأفراد فيما بينهم إنتاج خطاب يعبر عن هوياتهم، يتم في اطار الثقافة التي تعيش ضمنها المجموعة والتي تعتبر من العوامل المهمة المرتبطة بالذاكرة. لذلك يجب تحديد المعنى الذي تنتجه هاته الهويات ودور الذاكرة والخطاب بتفاعل فيما بينها، بدراسة كيف يتم إنتاج المعاني الاجتماعية وفهمها انطلاقا من التقنيات التي توفرها السوسيولوجيا التأويلية.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الثقافة، الخطاب، الذاكرة، المعنى.

Abstract: The individual lives in a middle where he first needs to learn his symbols, he lives from a young age in a society with customs and traditions and then become part of his behavior. The communication between individuals results a social discourse that reflects their identities, it takes place in the framework of culture which the group lives and which are important factors related to memory. Therefore must be determined the meaning produced by these identities and the role of memory and discourse in interaction between them, by studying how social meanings are produced and understood from the techniques provided by interpretative sociology.

Keywords: Identity, culture, discourse, memory, meaning.

مقدمــة:

يعتبر موضوع الهوية في جانبيها الفردي والجماعي ذا أهمية في ارتباطه بالذاكرة والثقافة. تشكل الذاكرة رابطا بين الماضي والحاضر إذ تحمل في طياتها مجموعة من الذكريات وتعبر الهوية عن الانتماء إلى مجتمع ما يتميز بثقافة تتفاعل مع الآليات التي تحملها ذكريات الماضي وتنتج تأثيرا في حاضر الفرد والجماعة ومستقبلهما.

يعرف معجم التفكير السوسيولوجيا الهوية بكونها: "تشير-في معناها العام- إلى قدرة فرد أو جماعة على أن يتعرف إلى ذاته ويتعرف إليه الآخرون، فهي تتضمن معنى الديمومة والتماسك داخل تعددية الرمزية والاجتماعية". يمر الوعي بالذات عبر الآخرين ومعهم بحيث تتجلى العلاقة بين ما هو فردي وما هو اجتماعي كخاصيتين لصيرورة واحدة، لكن ينفرز الوعي بهوية ذاتية لها قدر من الإحساس بمعنى الفرادة والخصوصية الشخصية، لما تتحول الذات هنا إلى نتاج عملها الهويتي الذي يهدف إلى بلورة تلك الهوية كمشروع يتحرك لأجله ويطالب به الفاعل الاجتماعي(عادل بن الحاج رحومة،2010، ص137).

جعل إدراج تحليل الخطاب في ميدان علم الاجتماع حظوظا راجحة لهذا العلم في اكتشاف نماذج من التفكير أشمل وأرجح من النماذج التي يستخرج فيها المعنى من البنية اللغوية وحسب، بل أصبح تحليل الخطاب ذا موقع مشهود في مجالات متعددة متنوعة منها العلوم الاجتماعية، وأصبح لكل مدخل من مداخل تحليل الخطاب إطار نظري ومنهجي يتضمن مقدمات فلسفية تبحث في أهمية اللغة في البناء الاجتماعي ونموذجا نظريا يحاول تفسير العلاقات القائمة بين اللغة بوصفها ممارسة وبين غيرها من الممارسات الاجتماعية والثقافية، ودليلا منهجيا لمقاربة موضوعات متنوعة بأسلوب مختلف ووسائل فنية للتحليل(عبد الرحمان بودرع، 2015، ص34-35).

من جهة أخرى، يهدف علم الأنتروبولوجيا إلى توسيع فضاء الخطاب الإنساني والذي يجده غيرتز يتناسب مع المفهوم السيميائي للثقافة، بحيث أن الثقافة بما توصف به كونها شبكة من أنظمة الإشارات للتفسير والتأويل هي نسق يمكن من ضمنه اجراء توصيف كثيف قابل لفهم أحداث مجتمعية أو سلوكات أو مؤسسات اجتماعية أو سيرورات عملية(كليفورد غيرتز، 2009، ص98).

يمكن بالتالي الوصول إلى فهم ثقافة ما عن طريق الفهم باعتبار أن غيرتز ينظر إلى تحليل الثقافة كعلم تحليلي يبحث عن معنى، إذ يبحث عن شرح التعبيرات الاجتماعية وإجلاء غوامضها الظاهرة عن السطح. (كليفورد غيرتز، 2009، ص82).

منهج الدراسة:

تمت دراسة عدد من النصوص النظرية التي تهتم بالذاكرة والخطاب الاجتماعي ونظرية التوصيف الكثيف (كليفورد غيرتز، 2009، ص79-128) لكليفورد كيرتز Geertz Clifford. يقدم علم الاجتماع الأنثروبولوجيا التأويلية لفهم وتأويل الأفعال التي يقوم بها الأفراد. يتعلق السؤال الذي يجب طرحه حسب غيرتز بمغزى هذه الأشياء وماهيتها وما الذي يجري التعبير عنه عندما نقوم بها وكيف أن التوصيفات المطولة تكتسب أهميتها في مطابقتها لمقتضى الحال. يتطلب التأويل الثقافي البقاء أقرب إلى أرض الواقع كونه ليس ذا صفة تنبؤية، بالتالي يتطلب الأمر الكشف عن الدلالات الكامنة خلف أفعال الأشخاص الذين نتابعهم والذين سماهم غيرتز ب "المقول" في الخطاب الاجتماعي، بالتالي بناء نظام للتحليل تبرز في اطاره المميزات المكونة

لهذه البنى، أي ما يتعلق بوصفهم ما هم عليه وذلك بهدف استخلاص استنتاجات كبرى من وقائع صغرى كثيفة النسج بحكم أن أشكال المجتمع تشكل مادة ثقافية.

مشكلة البحث:

تقوم هذه الدراسة بتحليل موضوع دور الهوية في إنتاج المعاني بتفاعل كل من الخطاب والذاكرة. تتكون الهوية من مجموعة من العناصر في اطار الثقافة التي تتطور وتتجدد باستمرار. بالتالي، يجب تحليل هاته الهوية وتأويل العناصر المرتبطة بها من خلال المنهج الوصفي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية الدراسة من خلال رؤية أنه ينتج عن تواصل الأفراد خطابات تعبر عن هوياتهم، لذلك يجب البحث عن الدلالات الكامنة خلف أفعال الأفراد انطلاقا من الخطاب الذي يعكس هوياتهم ودور الذاكرة في تشكيل المعاني. يتم انطلاقا من ذلك دراسة كيف يتم إنتاج هاته المعاني الاجتماعية وفهمها انطلاقا من التقنيات التي توفرها السوسيولوجيا التأويلية.

هيكلة البحث:

أقدم من خلال الورقة دراسة لتفاعل كل من الهوية والثقافة مع موضوع الخطاب، وما تقدمه الذاكرة من القدرة على حفظ مجموعة من المعطيات الممزوجة بالأحاسيس والتي تمثل جزءا من تكوين هوية الإنسان من خلال نقطتين: أولا: الهوية والمشاعر، بين تجليات الذاكرة والثقافة، ثانيا: تأويل المعنى في الخطاب الاجتماعي.

أولا: الهوية والمشاعر، بين تجليات الذاكرة والثقافة

تشكل الذاكرة القدرة التي يمتلكها الإنسان لاسترجاع المعلومات واستحضارها وهذه القدرة هي مركز قوة بالنسبة لكل إنسان له هويته الخاصة. تنشأ الذاكرة من خلال عملية تفاعل تدريجية بين الفرد والغير والمحيط، وتشكلت خلال هذا التفاعل هوية الإنسان انطلاقا من ذاكرته الفردية من جهة والذاكرة الجماعية التي تشمله مع المحيط الذي يعيش فيه من جهة أخرى.

تتحدد الهوية عند الأفراد على أنها مصدر معنى وتعبير، حيث يتجلى المعنى فيما يعينه الفاعل رمزيا كهدف لفعله بغض النظر عن الأدوار الاجتماعية المرسومة له، معيارا من قبل المجتمع لتحدد ما ينبغي أن يكون. تحدد الأدوار الوظائف وتعبر عن المنظومة الاجتماعية التي ينتمي إليها الناس، في حين ترعى الهويات المعنى الذي يطلبه الفرد لذاته وبذاته حتى وإن تجاوزت حدود الأدوار الاجتماعية وتباعدت عنها، بل قد تفرضها أحيانا هي والأنساق الاجتماعية التي تحتضنها(عادل بن الحاج رحومة، 2010، ص137-138).

يبين معجم أكسفورد الإنجليزي أن الاستعمالات الأولى لمفهوم الهوية الشخصية في ما يتعلق بالفرد لم تحصل إلا في القرن السابع عشر (طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، 2010، ص701). لمفهوم الهوية أشكال متعددة، لذلك يرى الكاتب أنه في سبيل تقصي جوانبه المختلفة يجب التموقع على الصعد المختلفة التي يتبدى فيها المفهوم الهوياتي: الفرد، الزمرة، المجتمع وهناك تتم المعاينة في كل مكان نفس التوجه في التحليل (كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان، 2010، ص5).

تتشيد الذات ضمن العلاقة مع المحيط ومع الآخرين في صميم زمر ضيقة أو واسعة، تعاقدية أو مفروضة، حيث تتميز المجتمعات المعاصرة بتزايد دائم لزمر الانتماء المتعددة الحقيقية أو الرمزية التي ينضم إليها الأفراد (كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان، 2010، ص9). يتجذر شعور استمرارية الذات في الذاكرة عندما يشكل هذا الشعور نقصا يصبح الاختلال غير بعيد ووحدها الهوية الاجتماعية العنصر الأكثر استقرارا لتحديد استمرارية الشخص (Vincent de GAULEJAC, p.177).

تتخذ هوية الفرد مجموعة من المواقع انطلاقا من الدور الذي يقوم به. يصدر المعنى عن فعل الفرد بغض النظر عن الدور الموكل له، ويشكل مصدر ما ينبغي أن يكون من طرف المجتمع. فيكون الاختلاف في أنه انطلاقا من الدور تتحدد الوظيفة، أما المعنى الذي تنتجه هوية الفرد باعتبارها مصدره لا يأخذ بعين الاعتبار دوره الاجتماعي.

يتميز مفهوم الهوية الثقافية في حقل العلوم الاجتماعية بتعدد معانيه و انسيابيته. (دنيس كوش، 2007، ص148). تتميز هوية الفرد الاجتماعية بمجموع انتماءاته في النسق الاجتماعي، كما تمكن الهوية الفرد من أن يحدد موضعا لذاته ضمن هذا النسق، وأن يحدد الآخرون موضعه اجتماعيا. إن كل مجموعة لها هوية تتناسب مع تعريفها الاجتماعي، إذ لا تتعلق بالأفراد وحسب، يمكن هذا التعريف من تحديد ضمن الكل الاجتماعي. تعبر الهوية الاجتماعية عن استدماج واقصاء في نفس الآن، أولا تحدد المجموعة التي أعضاؤها متماثلين من ناحية ما وثانيا تميزها عن المجموعات الأخرى التي يختلف أعضاؤها عن الأولين، من الناحية ذاتها. انطلاقا من هذا المنظور، يقول الكاتب أن الهوية تبدو ككيفية تصنيف للتمايز نحن/هم قائمة على الاختلاف الثقافي (دنيس كوش، 2007، ص149).

تتعدد أشكال الهوية انطلاقا من موقع الفرد إن كان في مجموعة أو مجتمع أو منفردا. يساعد هذا التموقع على تشييد الذات التي تتأثر بمجموعة الانتماء إن كانت كبيرة أو صغيرة، ثم أيضا حقيقية أو رمزية (بمعنى أن الهوية تنتمي لجماعة يربط بينها مشاعر نحو موضوع معين دون معرفة أفرادها بشكل شخصي)، فتقوم الهوية الاجتماعية بخلق نوع من توازن الذات للاستمرارها في الذاكرة.

وسواء تكلمنا عن الهوية الثقافية أو الهوية بشكل عام، فهي ترتكز على مشاعر الانتماء والقوة الداخلية والإحساس بالمسؤولية المشتركة لتحقيق هدف معين. فتتشكل الهوية من مجموع المشاعر التي يحس بها الفرد بالتكامل بين مجموع العناصر المادية و المعنوية فيصبح بالتالي لكل فرد هوية متمايزة عن الآخر. لذلك فإن المشاعر لها دور مهم انطلاقا من الموقع الذي تتخذه كونها عاملا محركا للهوية سواء كانت فردية أو جماعية.

إن مشاعر الحنين إلى الماضي هي لبنات بناء شعورية بمعنى أنها يمكن أن تفهم على نحو أكثر إيجابية باعتبارها ذكريات تمدنا بالقوة وهي مشاعر يلجأ إليها المهاجرون لتساعدهم في عملية إنشاء موطن حيث هم في اللحظة الراهنة. لا تعدو مشاعر الحنين إلى الماضي كونها ذكريات عن خبرات ماضية يضفي عليها خيال المرء من موقعه الراهن صبغة الألفة والحميمية. يرى الكاتب أن مشاعر الحنين هذه لا توجد فقط في حياة المهاجر، بل في حياة كل شخص. وتوجه هذه المشاعر عملية إنشاء الموطن في الحاضر لأن الفرد يسعى لتعزيز مشاعر الحميمية والألفة التي يألفها(غسان الحاج، 2008، ص15).

كما أن مشاعر الحنين إلى الماضي في بلد الانتشار، باعتبارها ذكرى لما كان هناك في الوطن، يجب ألا تعامل دائما على أنها شكل من أشكال مرض الحنين إلى الوطن. يشير مرض الحنين إلى الوطن كما يدل اسمه إلى مرض ما هو حالة تقوم فيها الذكريات التي يحملها الفرد عن وطنه بإضعاف مقدراته وبإنتاج وضع من السلبية التي تمنعه من توظيف إمكاناته في البيئة التي يعمل فيها. ولهذا يجب عدم الخلط بين مفهومي الحنين إلى الماضي ومرض الحنين إلى الوطن، لأن مشاعر الحنين إلى الماضي يمكن أن تفهم على نحو أكثر إيجابية باعتبارها ذكريات تمدنا بالقوة. وفي الغالب يكون اختزال كل مشاعر حنين المهاجر إلى الماضي إلى مجرد شعور واحد "بالألم" مسترشدا بنزعة "التعاسة" في الدراسات التي تتناول الهجرة وتميل إلى تصوير المهاجرين كأشخاص سلبيين تعساء، مهما كلف الأمر(غسان الحاج، 2008، ص10).

تنقسم مشاعر الحنين إلى الماضي إلى سلبية وايجابية، وتسمى السلبية بمرض الحنين إلى الوطن التي يتم ربطها عادة حسب الكاتب بالمهاجر والذي يتم اختزال حنينه إلى الماضي إلى شعور الألم. إن الشعور عبارة عن احساس ينتقل إلى حالة عاطفية تحيط بالفرد عندما يحن إلى الماضي، فيبحث في ذاكرته عن لحظات تمكنه من الإحساس بالفرح، أما في حالة مفهوم "مرض الحنين إلى الوطن" فيصبح العكس هو محاولة الشخص نسيان ما يرتبط بذاكرته لأن تلك الذكريات تتسبب له في أحاسيس مؤلمة، وبالتالي يفقد الإحساس بقيمة انتماءه في تلك اللحظة أو بقيمة الهوية كمصدر للمعنى.

تتكون هاته المشاعر انطلاقا من الأحداث المجمعة في الذاكرة والمعاشة في اطار ثقافة، العائلة والمجتمع. أوضحت عالمة الاجتماع آن مكسل ما تتصف به الذاكرة العائلية من تعقيد والتي تشكل مكونا أساسيا في تشييد الهوية. تميز آن مكسل ثلاث طرائق (كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان، 2010، ص195-196) لتأثيرها: النقل (التبليغ) والتجربة الوجدانية والتأملية.

تحدد آن مكسل الأولى في "وظيفة الانتقال"، تفسر هذه الوظيفة وتقول أن الفولكلور العائلي الذي يتجسد في طقوس الطعام وطريقة الجدة في صنع الحلوى التي نعيد تطبيقها وكذلك كتاب الأغنيات الذي نحتفظ به وأداة رأينا جدنا وهو يعمل بها والتي سنعلقها على حائط المطبخ، كلها أشياء تقول مكسل لا تملك في الغالب أية قيمة بذاتها، لكنها تملك وظيفية في الحفاظ على موروث تتغذى منه ذاكرة الفرد، إذ تستقي الهوية مصادرها في صميم "نحن جماعية" عائلية، لابد لدلالاتها المرجعية حسب مكسل أن تدوم طويلا.

تخدم الذاكرة العائلية الهوية أيضا تقول مكسل عن طريق "وظيفة الإحياء" المرتبطة بالتجربة الوجدانية. يستدعي المرء حياته كطفل والتجربة المباشرة والحميمة لماضيه ضمن العائلة، أي العواطف والأحاسيس وتحتل فيها الذاكرة الحواسية مكانا هاما جدا من خلال الروائح والمذاقات والأصوات التي نستعيدها، والديكورات التي تحيل إلى لحظات ممتعة، وأيضا مؤلمة، لأن الذاكرة تستطيع إحياء أشكال المعاناة. تقصد مكسل هنا الذكريات الخاصة التي قدم عنها مارسيل بروست صورة شهيرة وهو يصف كيف أن مذاق قطعة حلوى يعيد من جديد بعث حياته كطفل في كمبري، حيث تؤسس هذه الوظيفة الثانية لما يمكن تسميته في نظر مكسل الهوية الحميمة الخاصة بكل واحد.

أخيرا الوظيفة الثالثة التي تدعوها مكسل ب "التأملية réflexivité"، تدفع إلى أن يستنفر المرء ذاكرته من أجل استخلاص درس ويحدد موقعه نسبة لعائلته، من أجل أن يقول "هذا جعلني أعاني، لذلك لن أفعله مع أطفالي"، أو على العكس، من أجل أن يحفظه بدوره وينقله... في هذه الحالة، يحدد المرء موقعه بالنسبة لماضيه لكي يناقش بشكل أفضل انخراطه في الحاضر وهويته الاجتماعية وأيضا الحميمية والوجدانية. تقول مكسل إنها وظيفة تشييد وتقييم لمصيره الخاص.

انطلاقا من الوظائف الثلاث التي قدمتها مكسل، رغم أن وظائف الذاكرة تقصد الفرد كعنصر رئيسي، إلا أنها ترتبط بنحن الجماعية بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال العائلة. ترتبط الأولى بالدور التي تقوم به إما طقوس أو أدوات أو ممارسات تم القيام بها في اطار العائلة والتي شكلت مصدرا أساسيا لذكريات أصبحت فيما بعد ذات معنى. أما الوظيفتين الثانية والثالثة فترتبطان مباشرة بالفرد، الثانية من خلال مشاعر الوجدانية التي تنتجها الذاكرة الحواسية انطلاقا من لحظات عاشها مع العائلة والتي تكون في أغلب الأحيان ايجابية. في حين أن الوظيفة الثالثة يقوم من خلالها الفرد بالاستفادة من تجربته داخل العائلة لتخدم هويته تجاه أسرته بنقل الأمور الجيدة التي عاشها وتفادي السلبية التي سببت له الألم.

تعمل الذاكرة كمحفز مفضل لتشكل الهوية الفردية، حيث تقوم الزمرة بتنشئة الفرد اجتماعيا ويأخذ الفرد هويته منها ولكن تسمح هذه العملية في الوقت ذاته بأن يتمايز عن محيطه ويؤثر به.

لا تظهر الهوية كتجاوز بسيط للأدوار والانتماءات الاجتماعية فيما يخص الفرد، إنما يجب تصورها ككلية دينامية تتبادل فيها هذه العناصر المختلفة التأثير من خلال التكامل أو الصراع. تنجم عن ذلك استراتيجيات هوياتية يميل الفرد من خلالها الدفاع عن اندماجه ضمن الجالية، في الوقت الذي يثمن فيه ذاته ويبحث عن تماسكه الخاص. (كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان، 2010، ص9)

يتولد الإحساس بالألفة يقول الكاتب عن فضاء نستطيع فيه توظيف استعداداتنا الجسدية (Bodily Dispositions) إلى الحد الأقصى فضاء نشعر فيه بأننا نمتلك ما يمكن أن يدعوه بورديو "الهابيتوس" المناسب، يطلق بورديو على الهابيتوس اسم التاريخ المتجسد، لكن الهابيتوس يمكن أن يكون أيضا، وإلى حد ما ذاكرة متجسدة. يرى الكاتب أنه لا داعي للقول إننا لا نجد أن كل هابيتوس يمارس حياته ضمن فضاءات تطور فيها تاريخيا ويشعر فيها بالألفة والحميمية أكثر مما يشعر في غيرها(غسان الحاج، 2008، ص12).

كما يعتبر الإحساس بالجماعة مهما ليشعر المرء بأنه موجود في موطن أليف وحميم. فهو يتضمن وقبل كل شيء معيشة الفرد في فضاء يعتبر فيه أن من حوله "ينتمون إليه" ويشعر بأنهم يعتبرونه منتميا إليهم. والإحساس بالجماعة أساسا هو إحساس بالرموز المشتركة وبالأخلاقيات المشتركة وبالقيم المشتركة، والأهم من ذلك كله باللغة المشتركة. فالصورة المتخيلة للموطن هي فضاء يمتلك فيه الفرد قوة تواصل قصوى، بالمعنى الذي يحدده بورديو- أي امكانية الحديث على نحو ملائم في حالات محددة ومعروفة. الموطن هو فضاء يدرك فيه الفرد أن هناك بعض الأشخاص، على الأقل، ممن يمكنه أن يعول عليهم لمساعدته (أفراد العائلة أو الأصدقاء)(غسان الحاج، 2008، ص12-13).

يتم الحديث هنا عن أهمية انتماء الفرد داخل الجماعة، أو عن مفهوم الموطن. فبغض النظر عن هوية الفرد التي تعتبر مكونا أساسيا ومهما، تبرز أهمية هاته الهوية عندما تصبح في اطار الجماعة، فيكون بالتالي بين عنصرين الأول هو الدفاع عن مكانته داخل المجموعة التي تمكنه من الشعور بأنه موجود والثاني هو منح القيمة لانتمائه أو هويته الخاصة. يتم داخل فضاء الموطن تقاسم الإحساس بين الفرد والجماعة برموز وقيم مشتركة تمكنه من الشعور بوجود أشخاص في جانبه لتقديم المساعدة إن احتاجها.

من جهة أخرى، عرف عالم الاجتماع الكندي غي روشيه (Guy Rocher) الثقافة باعتبارها منظومة رمزية للتواصل بين أفراد الجماعة الاجتماعية كيفما كان حجمها، مثلها في ذلك مثل أحد مكوناتها وهي اللغة، وإنها أيضا منظومة للانتساب والانتماء إلى هويات تعمل الثقافة على إنتاجها والمحافظة عليها وتكريسها، إنها القالب الذي ينصهر فيه أفراد الجماعة انصهارا، يكسبهم سمات وخصائص مشتركة في التفكير والإحساس والفعل. ذلك أن الثقافة مجموعة مترابطة من كيفيات التفكير والإحساس والفعل، المتشكلة إلى هذا الحد أو ذاك، والتي تصلح لأن تكون من الأشخاص الذين يتعلمونها ويشتركون فيها جماعة خاصة ومتميزة(عبد السلام حيمر، 2009، ص31-32).

أصبح لكل فرد أسلوب حياة خاص به بدلا من وجود ثقافة عائلية موحدة، ينطبق هذا الأمر على أعضاء الطبقة الواحدة أيضا ذلك أنهم لم يعودوا يمارسون ذوقا واحدا، أصبح بإمكانهم الاختيار من بين بدائل كثيرة من أساليب الحياة. أصبحت هاته الأخيرة ذاتها متحررة من الارتباط بمجموعات معينة، فمثلا الأفراد من مختلف الخلفيات يفضلون أسلوب الحياة الخضراء تعبيرا عن خوفهم على البيئة، أو ربما يختارون ألعابا رياضية معينة أو فريقا رياضيا محددا(هارلمبس وهولبورن، 2010، ص84).

يوجد توتر شديد بين الرغبة بالانتماء الكلي والاستقلالية في صميم كافة الزمر من نادي كرة القدم وحتى الأمة، مرورا بالمنشأة، ولا تعاش هاته التوترات بالضرورة بشكل سلبي وإنما تشكل أيضا

تناقضات يمكن للأفراد أن يلعبوا بها كي يحققوا توازنا مقنعا بين هوياتهم المتنوعة(كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان، 2010، ص10).
تم بناء المكون الإدراكي حول الذاكرات والمعلومات والتمثلات عن الذات كما تشير دلفين مارتينو. ينكب الأفراد على إعادة تأويل متكررة لتاريخهم الشخصي انطلاقا مما تبديه التجارب بخصوص الذات، وذلك كي يجعلوا ذكرياتهم وصورتهم الراهنة عن ذاتهم ملائمة. تشكل الذات بالتالي منظومة تكيفية هائلة حسب تعبير الكاتب، تدافع عن نفسها وتصلح نفسها وتتحسن من أجل تكيف أفضل بل ومن أجل أن تتجاوز ذاتها(كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان، 2010، ص8).
بالتالي، تشكل طقوسيات الذاكرة والثقافة والمعتقدات أحد العوامل المفضلة للتنشئة الاجتماعية ولتشكل هوية الأفراد. تسمح عملية تشكل الهوية الثقافية للفرد بتقدير من الباحثين في العلوم الإنسانية بشكل عام، بضمان التشغيل الجيد لتصوره عن ذاته عن طريق الانضواء في جسم رمزي هو أبدي افتراضا. أوضحت عالمة الاجتماع آن مكسل مثلا ما تتصف به الذاكرة العائلية من تعقيد، فهي ومن خلال وجبات الطعام العائلية والاحتفاظ بالأشياء والحكايات اليومية، تسمح بانخراط الأفراد ضمن سلالة وثقافة مشتركتين(كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان، 2010، ص12).
تحدث علماء الأنثروبولوجيا عن هوية اجتماعية يستمد منها أي مجتمع اختلافاته وتميزاته عن المجتمعات الأخرى. والهوية الثقافية تشمل كل ما هو مشترك بين جميع أفراد المجتمع دون أن يفقد الشيء خصوصيته وتفرده (حورية الخمليشي، 2014، ص123). يتميز مفهوم الهوية الثقافية في حقل العلوم الاجتماعية بتعدد معانيه وانسيابيته (دنيس كوش، 2007، ص148).
تتمحور عناصر الهوية الثقافية حول أدوات وأشكال التعبير التي تربط بين أعضاء الجماعة، وحول تصوراتهم المشتركة للإنسان والعالم والمجتمع، وحول خيالهم الاجتماعي (محمد سبيلا، 2009، ص155). إلا أن مكونات الهوية الثقافية ليست معطيات محايدة وساكنة بل هي أدوات حياة وأدوات صراع، فهي تكتسب معناها وفاعليتها من تأويلها وكيفية استعمالها. وهي ليست معطيات محايدة إلا على المستوى الوصفي(محمد سبيلا، 2009، ص156).
إن تحديد الشكل الثقافي لمجتمع معين يبرز من خلال الطريقة التي نشأ عليها الفرد انطلاقا من القواعد والعادات التي تتبعها الجماعة التي ينتمي إليها، اذن فبتفاعل الفرد مع هاته العناصر تتأثر هويته الفردية بالثقافة التي يعيش في اطارها باعتباره عضوا في المجتمع.
يتميز الفرد بهوية ويتم بناء الذاكرة بالعناصر التي تغذيها بها هاته الهوية، فكون الفرد يعيش هوية آنية، فإنها تصبح ماضيا عندما تتجاوز الزمن الحاضر، وهذا الماضي يترسخ في شكل الذاكرة التي تكون إما فردية على مستوى الفرد أو جماعية عندما يتم تشارك ذكريات حدث من طرف مجموعة. أنتقل لدراسة كيف يكون المعنى في الخطاب.

ثانيا: تأويل المعنى في الخطاب الاجتماعي

تشكل دراسة الخطاب أهمية على المستوى المنهجي، لأن الخطاب يصدر من عالم اجتماعي تتعدد مصادره من مختلف الفاعلين الاجتماعيين وواقعهم المعيش. يتضمن هذا الأخير مجموعة من الأحداث والتفاصيل التي تلعب دورا مهما في إنتاج أو تشكيل صيغة الخطاب هاته.
يعني الخطاب (Discours) لدى لالاند (Lalande): "التعبير عن الفكر وتطوره بواسطة متوالية من الكلمات والقضايا المتسلسلة المترابطة" (عبد السلام حيمر، 2008، ص13). يعتبر علماء الاجتماع أن المواقف والأحداث البسيطة التي يتخذها الناس أثناء عبورهم الشارع العام أو مواجهتهم لأنماط سلوك وثقافات مختلفة في ظاهرها موضوعات مهمة وجديرة بالاستقصاء والبحث المعمق ويعود ذلك حسب أنتوني غدنز إلى ثلاثة أسباب رئيسية. تشكل أسباب التفاعل

الاجتماعي الجانب الأكبر يقول غدنز من أنشطتنا اليومية والروتينية والتي نمارسها عبر بنى وصيغ شعورية وسلوكية معينة(أنتوني غدنز، 2005، ص158-159).
يبرز من خلال التفاعل الاجتماعي أيضا موضوع تقدير الذات. يتم ذلك بفكرة المقارنة التي قدمها كل من تاجفيل وتيرنر، عندما يرى أعضاء الجماعة أنفسهم أنهم جماعة ايجابية بمقارنتهم بالجماعات الأخرى، بتفضيل رؤية الجماعة الداخلية أكثر ايجابية على الخارجية أي التي لا يكون الانتماء إليها (أحمد زايد، 2006، ص21). يجري الجانب الأكبر من تفاعلنا حسب غيدنز من خلال الكلام، أي التبادل العرضي للحديث في سياق غير رسمي مع الآخرين على الرغم من أننا نلجأ إلى التواصل من خلال المؤشرات غير الشفوية في سلوكنا وذلك لإعطاء معنى لتصرفاتنا أو لتفسير المعاني التي ينطوي عليها سلوك الآخرين تجاهنا(أنتوني غدنز، 2005، ص164).
يسهم ربط التفاعل بين الذات والمجتمع في ربط العالمين الشخصي والفردي بعضهما ببعض. كانت هوية المرء في الماضي تتأثر بدوره أساسا بانتمائه إلى جماعات اجتماعية عريضة أو ترتبط بعوامل ذات صلة بالطبقة أو الجنسية. في حين أصبح الأفراد اليوم أكثر حراكا من الوجهتين الاجتماعية والجغرافية. أدى ذلك إلى تحرير الناس وافساح المجال لبروز مصادر أخرى للمعنى لتلعب دورا أكبر في رسم تصور الناس عن هوياتهم(أنتوني غدنز، 2005، ص91).
ساهم هذا الحراك الجغرافي للأفراد في بروز معاني أخرى تسمح بتفسيرات متعددة أو تأويلات معمقة لأفعالهم أو هوياتهم، التي يمكن تفسيرها انطلاقا من غيرتز من التحليل الثقافي لها عبر توصيفات مطولة.
اعتبر غيرتز الكتابات الأنتروبولوجية هي نفسها تأويلات من الدرجة الثانية أو الثالثة على أحسن تقدير، حيث يقول أنه حسب تعريف التأويل الأنتروبولوجي ليس هناك إلا تأويل واحد يأتي في الدرجة الأولى وهو الذي يقدمه ابن الثقافة نفسه، بالتالي فهو يقدم تأويلا لثقافته نفسها (كليفورد غيرتز، 2009، ص101). والنقطة التي تشكل مركز البحث هو عرض ما تحتويه قطعة من التأويل الأنتروبولوجي: أي متابعة المنحى الذي يتخذه الخطاب اجتماعي، وبعبارة أخرى يقول غيرتز تثبيت هذا التأويل في شكل يمكن بحثه والنظر فيه، حيث أن التحليل الثقافي هو تخمين المعاني وتقويم هذا التخمين ورسم استنتاجات تفسيرية من التخمينات الفضلى (كليفورد غيرتز، 2009، ص109-110). وقد بين غيرتز أن التوصيفات المطولة تكتسب أهميتها في مطابقتها لمقتضى الحال وذلك في أنها حسب غيرتز تقدم غذاء لعقل عالم الاجتماع (كليفورد غيرتز، 2009، ص115).
انطلاقا من دراسة الخطاب الاجتماعي، يتم استخلاص المعنى بالقيام بتحليل ثقافي من خلال المنحى الذي يتخذه هذا الخطاب. يعبر هذا الأخير عن هوية الأفراد عبر التفاعلات التي تتم بينهم والتي تنتج معاني.
من جهة أخرى، يعيش الرجال والنساء العصريون حياتهم دون معرفة السبب في الحقيقة. إن الزامية تفسير هاته الأشياء تفرض القول "أنه أمر له معنى" أو "إنه أمر ضروري"، أو "إنه الذي يفعله الأخيار من الناس". لكن ليس هناك شيء طبيعي يتعلق بأي من ذلك لأن الناس لا يفعلون أيا من هذه الأشياء بشكل طبيعي، بل إنهم مجبورون على فعل ذلك باعتبار أن الإنسان يعيش حياة تخضع للعقل اللاواعي أكثر مما تخضع للعقل الواعي(جفري ألكسندر، 2010، ص13).
يقوم الأفراد بالتعرف على واقعهم انطلاقا من الخلفية التي نشئوا بها، وإلى ما يسعون إلى تحقيقه بوجود مجموعة من العوامل التي تؤثر في كل هاته التصرفات، بحيث يمكن القول أن الفرد يقوم

بها بعقل واعي. لكن الطرح المقابل يقضي بأن كل هاته الأفعال مجبر الفرد على القيام بها لأن حياته تخضع للعقل اللاواعي أكثر من الواعي. أناقش الفكرة انطلاقا من فكرة ادغار موران.
يتوفر العقل البشري على طاقات تنظيمية تحتاج لتفعيلها لشروط ثقافية-اجتماعية والتي تتطلب بدورها مؤهلات في العقل البشري لتنتظم. لذلك تساهم البرمجيات الثقافية في توليد معارف العقل/الدماغ والتي قد ولدتها في التاريخ التفاعلات التي تمت بين العقول/الأدمغة. توجد الثقافة في العقول وتعيش فيها كما العقول موجودة في الثقافة وتعيش فيها. يستمر موران ويقول أن عقلي يعرف من خلال ثقافتي وثقافتي تعرف من خلال عقلي، فبالتالي العناصر التي تنتج المعرفة تنتج بعضها بعضا وهناك وحدة تكرارية مركبة بين منتجي المعرفة ومنتجاتها، وهناك أيضا علاقة تجسيمية بين كل عنصر من هذه العناصر المنتجة والمنتَجة. ليحوي كل عنصر العناصر الأخرى وبهذا المعنى كل عنصر يحوي الكل ككل(إدغار موران، 2012، ص29).
كما تمثل اللغة محورا جوهريا للحياة الاجتماعية، ذلك ما استقر عليه رأي علماء الاجتماع منذ زمن بعيد. أصبحت الأشكال والأساليب التي تستخدم بها اللغة محط اهتمام عدد غير قليل من الدارسين من بينهم صاحب المدرسة التفاعلية الرمزية إرفنغ غوفمان ومؤسس المنهجية الإثنوميثودولوجية هارولد غارفنكل (Garfinkel,1984). تشكل المنهجية الإثنوميثودولوجية اتجاها في الدراسة الاجتماعية، تحاول أن توضح كيف يفهم الناس ما يقوله الآخرون ويفعلونه أثناء التفاعل الاجتماعي اليومي، وتهتم هذه المدرسة بالمنهجيات الجمعية أو الشعبية التي يستخدمها البشر في عمليات التبادل والتواصل ذات الدلالة فيما بينهم(أنتوني غدنز، ص164).
تشكل اللغة واقعا علمعقليا، ويجعلها دورها الرئيسي في التنظيم الاجتماعي تغوص في الفضاء الإنساني-الاجتماعي، ثم تعلو وتنتشر في نفس الوقت في الفضاء العقلي الذي ترتبط وتتناغم فيه مع آلات المنطق والتماثل والبراديغم وتشارك في تنظيم كائنات العقل(إدغار موران، 2012، ص242).
ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين اهتمام بعلاقة جديدة لم يتطرق إليها دوسوسير: علاقة ممارسة اللغة بالتغير الاجتماعي، وقد بين تلك العلاقة فلاسفة لغة مثال أوستين وفيتغنشتاين وونش الذين أكدوا "أن ليست اللغة انعكاسا مباشرا للواقع، ولكنها تمارس وظيفة أكبر من ذلك في تشكيل الحياة الاجتماعية". ثم أسهم باحثون اجتماعيون بعد ظهور الاتجاه البنيوي، في درس الظاهرة اللغوية، فبدأت تظهر أفكار متطورة في هذا السياق، تنسب إلى عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي ستروس وعالم الاجتماع إيرفينغ غوفمان وألفرد شولتزر، وما زالت المناهج الاجتماعية ترتقي وتتطور في نظرتها إلى اللغة، فظهرت آثار التطور السياقي على يد بورديو وغيدنز وهابرماس(عبد الرحمان بودرع، 2015، ص7).
بالتالي، تشكل اللغة دورا في حياة الفرد أو واقعه أو حياته الاجتماعية. تستند تأويلية الخطاب بالنسبة إلى ريكور وفي سياق تمييزه بين اللغة والخطاب، إلى أربع سمات (محمود أحمد عبد الله، 2009، ص29) أساسية:
-الخطاب هو تحقيق دائم زمنيا وفي الحاضر، بينما نظام اللغة تقديري وغريب عن الزمن. ويسمي ذلك إميل بينيفست ب "إلحاح الخطاب".
-لا تتطلب اللغة أي ذات، في حين يحيل الخطاب على متكلمه بفضل مجموعة من أدوات الوصل كالضمائر. ولذلك نقول أن إلحاح الخطاب مرجعي ذاتي.
-بينما تحيل علامات اللغة على علامات أخرى داخل النظام نفسه، وتستغني اللغة عن العالم، كما تستغني عن الزمنية والذاتية، يكون الخطاب دائما على صلة بموضوع ما يحيل على عالم يتوخى وصفه، والتعبير عنه وتشخيصه. لهذا لا تتحقق وظيفة الكلام الرمزية إلا في الخطاب.

-لا تعتبر اللغة سوى شرط للتواصل الذي تقدم به أنساقا ما، لا يتم تبادل الإرساليات إلا في الخطاب. وبهذا المعنى لا يملك الخطاب وحده عالما فقط، بل آخر مخاطب إليه يتوجه. وهذه السمات مجتمعة لديه تجعل من الخطاب حدثا(ريكور، 2001، ص142).

يمتاز الخطاب إذن بأربع سمات هي زمنيته، إذ ينفصل عن الزمن، لا يرتبط به، الموضوعية، في حال يثبت بالكتابة والتدوين ومؤلفه غائب عند القراءة، وموجه نحو عالم محتمل، ثم أخيرا آخريته، حيث يتوجه نحو مخاطب. بذلك، هذا هو جدل التنافذ والإبعاد لدى ريكور إذ يباعد بين النص المكتوب ومؤلفه بغية التوصل إلى قراءة تأويلية علمية تتحرى النص في مدونته اللغوية، كما يباعد بين المؤلف والمخاطب ممثلا في القارئ، جاعلا من النص أثرا مفتوحا على التعدد الدلالي ويفصل بين عالم النص الحالي وعالم النص المحتمل، لما يرى في النص متجاوزا لزمانه على نحو يتمكن فيه من تجاوز أفق المعنى القائم إلى أفق المعنى في المستقبل(محمود أحمد عبد الله، 2009، ص29-30)

لا يقتصر الخطاب الاجتماعي على التحليل اللغوي للنصوص المحكية والمكتوبة، ولكنه يتجاوز ذلك إلى أن يصبح أيضا خطابا تحليليا نقديا يهتم بالاستمرارية والتغيير، ويتضمن التفاعل الخطابي (Interdiscursive Analysis) أي ينطلق من معالجة النصوص من أنواع الخطاب والنصوص المنجزة في المجتمع، والتي تفيد ظاهرة معينة من ظواهره. إن الخطاب رؤية معينة للغة المستخدمة في المجتمع أو طريقة في التعبير اللغوي عن الفعل الاجتماعي، وهو بهذا المعنى عنصر يشارك في تكوين الأحداث الاجتماعية ويسهم في إحداث تغيير في معارف الناس ومواقفهم وقيمهم، إذ أن النصوص التي تخاطب المجتمع خطابا اجتماعيا محددا كالدعايات والإعلام وغيرها كلما عايشها الناس وألفوها أثرت في أذواقهم وهوياتهم(عبد الرحمان بودرع، 2015، ص15-16).

اجتهد العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية بشكل مستمر لتجاوز دراسة الخطاب بوصفه متنا يتشكل من بنية لغوية وما دفعهم لذلك هو دراسة الخطاب بوصفه ظاهرة اجتماعية. ركز هؤلاء الباحثون بذلك على الاعتبارات الخارج لغوية، أي على الرهانات والسياقات التواصلية التي يفرضها السياق على مختلف الفاعلين الاجتماعيين عند إنتاجهم لخطاب ما مفترضين بذلك أن الأحداث والوقائع تبنى اجتماعيا في ظل شروط وسياقات هي بذاتها اجتماعية. يظهر في العديد من الدراسات والأبحاث التي حاول من خلالها أصحابها أن يبينوا مدى تأثر الخطاب بسياق انتاجه، الكشف عن الطابع العلائقي الذي يجمع الخطاب مع ما يسميه ميشيل دوبري بمناطق الوضعيات"، وذلك في محاولة منهم لفهم مختلف الخطابات انطلاقا من تقديم فهم موضوعي للسياقات التي تنتج فيها (Dobry Michel,1987, p84)(أمغار مولود، 2017، ص244).

دفعت دراسة الخطاب بوصفه ظاهرة اجتماعية بالعديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية أن تتناسب خطاباتهم وطبيعة السياق. تشكل الوضعية التي يتخذها الأفراد في سياق معين انطلاقا من نظرية "سياق الحال" Context of situation تدفعهم إلى اختيار بعض المعاني التي يعتقدون أنها تتلاءم أكثر من غيرها مع وضعياتهم الاجتماعية والاقتصادية ومع السياق الذي يتحدثون فيه. إن أكثر ما يدفع الأفراد إلى الأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يوجدون فيه، يرجع بحسب للويد بيتزر Lloyd Bitzer إلى المخاطر التي تهددهم إذا لم يراعوا وضعياتهم في السياق الذي ينتجون فيه خطاباتهم(Lloyd Bitzer, 1992, pp1-14)). عمل السوسيولوجي البريطاني باسيل برينشتين تأكيدا على أهمية السياق على تبيين أن العلاقات الخطابية والتواصلية بين الافراد ما هي إلا انعكاس لعلاقاتهم الاجتماعية، وذلك من منطلق الافتراض أن السياق يؤثر في اختيار الأفراد لخطابهم، وعلى كيفية قولهم لهذا الخطاب. يعزز برينشتين طرحه هذا بتقديم مجموعة من الوضعيات التي توضح بشكل يصعب دحضه الكيفية التي يغير بها الأفراد من لغتهم وخطاباتهم

بمجرد تغيير السياق، وكمثال على ذلك يقول أن الإنسان الراشد، عندما يتحدث إلى طفل يستخدم خطابا يتألف من جمل ومفردات بسيطة نسبيا بالمقارنة مع التي يستخدمها مع من هم في سنه(أمغار مولود، 2017، ص245).

يرى غدنز أنه كثيرا ما نستخدم أنماط التفاهم هذه بصورة عادية من دون وعي، باعتبار أنه في كل لقاء بيننا وبين الآخرين، يتمثل جانب من معنى التفاعل بيننا فيما نتفوه به من كلمات، بينما يكمن الجانب الآخر في الأسلوب الذي يتشكل فيه القول في السياق الاجتماعي(أنتوني غدنز، 2005، ص164).

يمكن اعتبار الفرد متغيرا تابعا ومستقلا في نفس الوقت، تابع لأن التفاعلات مع مجتمعه تكسبه تجربة وفي نفس الوقت تحده، ومستقل انطلاقا من هويته الفردية، فهو ينتمي إلى ثقافة تقدم له نوعا من الانتماء والذي يمكن أن يستغله لصالحه ولو بشكل جزئي من الاستقلالية ليطور هويته من خلال رؤيته الخاصة ومعارفه المكتسبة، وبالتالي تنعكس هويته على أسلوب خطابه.

تمثل الأساليب الخطابية بنى ثقافية رغم أنها تكبح جماح الحركة بقوة فإنها تمنحها القدرة في نفس الوقت ولا يستطيع الإنسان فهمها. تتجلى هنا مهمة علم الاجتماع الثقافي في الإتيان بالبنى الثقافية غير الواعية التي تنظم المجتمع إلى ضوء العقل وقد يغيرها الفهم دون أن يقضي عليها، ذلك أن المجتمع بدون مثل هذه البنى لا يستطيع أن يحيا. وضع علم الاجتماع دائما في تصوره عدم الإدراك الكامل للرجال والنساء في تصرفاتهم والذي يرجع إلى قوة البنى الاجتماعية ذات التأثير الأوسع والأقوى والتي يستجيب لها الناس متحمسين مختارين، واذا قبلوا بها دون معرفة السبب فذلك من أجل المعنى(جفري ألكسندر، 2010، ص14).

يقول غيرتز أن من خصائص التأويل الثقافي كونه يتطلب البقاء أقرب إلى أرض الواقع عكس العلوم الأخرى، يعتبر أن المقاربة السميائية للثقافة هو فتح الطريق إلى العالم المفهومي الذي تعيش فيه موضوعاتنا لإقامة محادثة معها(كليفورد غيرتز، 2009، ص117). حيث تتخذ عملية التحليل الثقافي شكل منحى صاعد تتراكم فيه المكتشفات بشكل مستمر وشكل اندفاعات غير متصلة مع أنها مترابطة في سياق متوال من الحلقات التي تزداد جرأة مرة بعد مرة(كليفورد غيرتز، 2009، ص118).

بالنسبة للخاصية الثانية للنظرية الثقافية هي كونها ليست ذات صفة تنبؤية(كليفورد غيرتز، 2009، ص120). يجد غيرتز أن الإطار الذي يتم فيه التأويل يجب أن يكون قادرا باستمرار على تقديم تأويلات يمكن الدفاع عنها بينما تتبدى للعيان ظواهر اجتماعية جديدة(كليفورد غيرتز، 2009، ص121). ومنه يتطلب الأمر الكشف عن الدلالات الكامنة خلف أفعال الأشخاص الذين نتابعهم وبالتالي بناء نظام للتحليل تبرز في اطاره المميزات المكونة لهذه البنى، أي ما يتعلق بوصفهم ما هم عليه، وذلك بهدف استخلاص استنتاجات كبرى من وقائع صغرى كثيفة النسج، بحكم أن أشكال المجتمع تشكل مادة ثقافية.

تستخدم في علم الاجتماع عدة أطر نظرية متعددة الأطراف لتفسير الواقع الاجتماعي. وتختلف هذه النظريات فيما تقدمه من تفسيرات للظواهر الاجتماعية، غير أنها تشترك في افتراضها أن الواقع الاجتماعي قائم بصورة مستقلة عمن يعيشون فيه أو يحاولون تفسيره. لا يتفق جميع علماء الاجتماع على هذا الافتراض. فالمدرسة التصورية الاجتماعية ترى في مقاربتها النظرية أن ما يدركه الأفراد والمجتمع ويفهمونه باعتباره واقعا قائما إنما هو بحد ذاته وليد التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات. ومن هنا فإن محاولة "تفسير" الواقع الاجتماعي تغفل وتشيء (أي تعامل الشيء باعتباره حقيقة مفروغا منها) وتتجاهل العمليات التي يجري من خلالها بناء الواقع. وترى المدرسة التصورية الاجتماعية على هذا الأساس أن على علماء الاجتماع أن يوثقوا ويحللوا هذه العمليات، لا أن يقتصروا على مفهوم الواقع الاجتماعي الناجم عنها. (أنتوني غدنز، ص168)

يتشكل الواقع الاجتماعي من الأفراد والجماعات في تفاعل فيما بينهم، يكون وليد هذا التفاعل واقع قائم يفهمه كل من الأفراد والمجتمع حسب المدرسة التصورية الاجتماعية، يجب انطلاقا منها توثيق وتحليل العمليات التي يجري من خلالها بناء الواقع. اذا كان ما يدركه الفرد والمجتمع ويفهمونه باعتباره واقعا هو بحد ذاته وليد التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والمجموعات، فانطلاقا من هاته المدرسة يجب القيام بعملية تأويل لما ينتج عن هذا التفاعل أو معرفة المعنى الذي يمنحه الأفراد لما قاموا به من أجل الوصول إلى هذا الواقع.

يتكون فعل الفرد انطلاقا من خلفية تتأثر بالثقافة التي يعيش في اطارها. تشمل هاته الثقافة مجموعة من التفاصيل التي يبرز أثرها أولا على الخطاب الناتج عن الفرد، ثم ذاكرته باعتبارها رابط بين مجموعة من الأحداث التي عاشها والتي يمتزج فيها ما هو عقلاني منطقي، وما تكون انطلاقا من المشاعر والأحاسيس لينتج بالتالي المعنى. دون أن ننسى عندما يصبح هذا الفرد بين أفراد مجموعة أو مجموعات، فتتعدد الذاكرات رغم امكانية الاشتراك في ثقافة في خطوطها العريضة، إلا أن كل هاته النقط تترك أثرا وقد تغير مسار الفعل، بالانتقال من هوية الفرد إلى هوية اجتماعية.

وجب حسب فاركلوف اقامة تمييزات ضمن الهوية الاجتماعية تقود إلى انشاء مفهوم عملية الفعل. تبنى فاركلوف منظور آرتشر (Archer) الذي يقضي بأن الناس يتموقعون لاإراديا كفاعلين أولين بحسب الحال الذي يولدون عليه. وترتبط قدرتهم بتغيير مواقعهم بمدى قدرتهم على التفاعل والتحول إلى فاعلين متعاونين قادرين على الفعل الجماعي وبلورة التغيير الاجتماعي. (نورمان فاركلوف، 2009، ص298).

لكن بالرغم من أن الأفراد يولدون على حال، وقبل تغييرهم لمواقعهم انطلاقا من مدى قدرتهم على التفاعل في اطار الفعل الجماعي، فإنه يمكن لكل فرد أن يغير موقعه من خلال تعدد هوياته التي تمكنه من اختيار مكان تموقعه اجتماعيا.

وضع فاركلوف العلاقة بين الهوية الاجتماعية والهوية الشخصية ضمن منظور منطقي جدلي وذلك بين النمو المكتمل للناس كفاعلين اجتماعيين واكتمال نموهم كشخصيات، وليس أي من هذين النموين في نظره مضمونا. اعتبر أن المرء يصبح شخصية عندما يستطيع صياغة اهتماماته الأولية وتحديد أهدافه النهائية ويتمكن من اقامة توازن بين أدواره الاجتماعية وترتيبها وفق الأولوية بالاستناد إلى تلك الاهتمامات والأهداف. ووجد فاركلوف أن هذه الصيرورة في حد ذاتها مقيدة اجتماعيا: اذ تقيد الهوية الاجتماعية الهوية الشخصية. هذا التقييد الذي يشكل جزءا من العلاقة المنطقية الجدلية بينهما(نورمان فاركلوف، 2009، ص298).

عندما يختار الفرد الانتماء إلى هوية اجتماعية معينة تتراجع هوياته الأخرى من جهة وتنسجم خصائص هويته في اطار الهوية الاجتماعية التي اختارها من جهة أخرى، فيصبح التكلم بالتالي عن هوية اجتماعية واحدة لها خصائص معينة عوض هويات الأفراد الذين يندرجون في اطار هاته الهوية.

خلاصة:

تشكل الهوية توازنا بين الذات والآخر عبر روابط اجتماعية تمكن من إنتاج الواقع الذي يتشكل من وقائع ورموز وقيم و معايير تساهم في إنتاج المواقف. تنتج الهوية في اطار الانتماء للجماعة الاجتماعية مجموعة من المعاني انطلاقا من أفعال الأفراد التي يتم الكشف عن الدلالات من ورائها بالقيام بالتأويل المكثف مع البقاء أقرب إلى أرض الواقع.

تندرج أفعال الأفراد ضمن أساليب خطابية تتم في اطار الثقافة التي تعيش ضمنها المجموعة. بالتالي وانطلاقا من هاته الأساليب الخطابية يتم شرح التعبيرات الاجتماعية من خلال تأويلها واستخراج المعنى الذي تؤول إليه.

كما تعتبر الذاكرة مهمة في تشكيل الهوية ومشاعر انتماء الأفراد إلى جماعاتهم من خلال الأحاسيس التي تربط بينهم وبين الفضاء الذي تنتسب إليه هاته الجماعات. تتجلى أهمية الذاكرة في دورها في إنشاء المعنى من خلال مجموعة من العوامل المرتبطة بها، كالثقافة والقيم والجماعة الاجتماعية والتجارب التي تمر منها أو التي تحتفظ بها. تصبح بالتالي أحد عوامل ارتباط الأفراد بمكان انتمائهم وبلورة هوياتهم.

يتمتع الأفراد باعتبارهم فاعلين داخل المجتمع وبالإضافة إلى هوياتهم الفردية، بهوية اجتماعية تتحدد حسب تموقع كل فرد داخل المجتمع. بالتالي، فإن تعدد الهويات يجعل الفرد في مجال من الاختيار أو خلق التوازن بين اختيارات متعددة لجعل ذاكرته خالية من التعقيد، كما أن هويته الفردية في اطار انتمائه داخل الجماعة، تسمح له بتكون ذاكرة ثقافية ملائمة مع تجاربه وتمكنه من الإحساس بمشاعر وأحاسيس تحافظ على خصوصيته.

قائمة المراجع:

1. ألكسندر جفري(2010)، معاني الحياة الاجتماعية–نحو علم اجتماع ثقافي، الناشر أكاديميا إنترناشيونال.

2. الحاج غسان (ربيع 2008)، الهجرة ودور الذاكرة والطعام في عملية إنشاء موطن، إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، ع(الثاني)، مجلة أكاديمية فصلية محكمة تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية.

3. الخمليشي حورية(صيف 2014)، الهوية و الذاكرة و رهانات الكتابة، ع(الرابع)، يتفكرون فصلية فكرية ثقافية.

4. بودرع عبد الرحمان (2015م 1436ه.)، في تحليل الخطاب السياسي قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر، (الطبعة الأولى)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

5. حيمر عبد السلام (تشرين الثاني/ نوفمبر 2008)، في سوسيولوجيا الخطاب من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولجيا الفعل، ط(الأولى)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

6. حيمر عبد السلام (2009)، في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل الاجتماعي ومن منطق العقل إلى منطق الجسد (أو التطبع)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

7. رحومة عادل بن الحاج (شتاء 2010)، تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية، إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد التاسع، مجلة أكاديمية فصلية محكمة تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية.

8. زايد أحمد (أبريل 2006)، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات- قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات-، ع(326)، سلسلة عالم المعرفة.

9. سبيلا محمد (2009)، مدارات الحداثة، ط(الأولى)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

10. عبد الله محمود أحمد (خريف 2009)، تأويل الفعل الاجتماعي عند بول ريكور قراءة نقدية، إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، ع(الثامن)، مجلة أكاديمية فصلية محكمة تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية.

11. غدنز أنتوني(2005)، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ط(الرابعة)، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان.

12. غيرتز كليفورد (2009)، تأويل الثقافات، ط(الأولى)، بيروت.

13. طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ وميغان موريس(أيلول سبتمبر 2010)، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ط(الأولى)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
14. فاركلوف نورمان (كانون الأول ديسمبر 2009)، تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ط(الأولى)، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
15. كاترين آلبيرن وجان كلود روانو بوربالان(2010)، الهوية والهويات الفرد، الزمرة، المجتمع، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق.
16. كوش دنيس(آذار مارس 2007)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ط(الأولى)، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.
17. موران إدغار (كانون الأول ديسمبر 2012)، المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، و تنظيمها، الجزء (الرابع)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان.
18. هارلمبس وهولبورن(2010)، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ط(الأولى)، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.
19. Vincent de GAULEJAC « IDENTITÉ ». http://www.unige.ch/fapse/SSE/teachers/cifali/cours/Vocabulaire_psychosociologie/identite_degaulejac.pdf

التصوير الجداري وآليات الممارسة الإنسانية في الوطن العربي: قراءات في البعد الجمالي والسوسيولوجي

د.**بدير محمد، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر**
أ.بن عزة أحمد، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر

Mural photography and the mechanisms of humanitarian practice in the Arab world : Readings in dimension aesthetic and sociological

Dr. Badir Mohamed, University of Abou Bekr Belkaid Tlemcen, Algeria

Benazza Ahmed, Researcher, University of Abou Bekr Belkaid Tlemcen, Algeria

ملخص: تعدّدت أساليب التعبيرات اللغوية والفنية وتنوعت وغدت غنيّة بموضوعاتها وتقنيات العمل فيها، وقد برزت الجداريات باعتبارها ظاهرة تستدعي المسائلة العلمية والبحث في فحواها الدلالي والخطابي، فقد برزت في إرهاصاتها الأولى، كوسيلة للتأريخ والتعريف بالحضارات العتيقة، إلى أن أصبحت عنصر ثقافي وعيّنة حيّة للحقائق الجمالية والسوسيولوجية، فأثرت على نفسية متلقيها بصناعة الفرجة أو بأدلجة الفكرة لتصطدم مع الأفكار الأخرى وتنتج آراء جديدة، بكتابات وخطوط أو في شكل لوحات فنية تشكيلية، أو ملصقات فوتوغرافية على مختلف الخامات وباستخدام الوسائل المتعدّدة، كما تنوعت أمكنتها من التصميم الداخلي إلى الخارجي، كتعبير عن الاحتجاج في عالم مليء بالقيود، تحت شعار كل ممنوع مرغوب والجدار صوت من لا صوت له، وأيضا كأداة تزيين للجدران بسبب تركيبتها وتشكيلها بين الدال الثابت والمدلول المتحول، لذلك صَعُبَ حصرها في مواد وأطر مألوفة بسبب تناقض العلاقات القائمة بين المتخيل والمتحقق، ولمتعد في الغالب تلمس الجدران ليتكئ عليها الزمن، بل تعدت لتصبح وسيلة تواصل جماهيري وأداة للتعبير عن الآراء السياسية والأفكار الاجتماعية والمرجعيات السوسيولوجية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: الجدارية، الأبعاد، الجمالية، السوسيولوجية، التعبير، الاتصال.

Abstract : The methods of linguistic and artistic expressions varied and became rich in subjects and techniques of work in them, and the murals

emerged as a phenomenon that calls for scientific accountability and research in its semantic and rhetorical content, it has emerged as a means of history and the definition of ancient civilizationsuntil they have becomecultural element and a vivid specimen of the aesthetic and sociological truths, it affected the psychology of the recipient of the spectacle industry or the idea, in the form of plastic art paintings, writings, lines, sculptures and posters, on various materials, using multiple meansand varied Interior design to the exterior, as an expression of protest in a world full of constraintsunder the banner of every desired forbidden and wall soundless,so it is difficult to confine it to familiar materials and frames, because of the contradiction of relations Between imagined and the verifiedand it is often no longer to touch the walls to lean on them, but to become a means of mass communication a tool for the expression of political views social ideas and sociological and cultural references.

Keywords :mural, dimensional, aesthetic, sociological, expression, communication.

مقدمة:

منذ البدايات الأولى كانت الكتابة هي الهاجس والفكرة في التغيير والتعبيرلتتمكن من التأثير وإيصال رسائل مختلفة، فالإنسان القديم دأب على تسجيل الأحداث التي مرت عليه، أو رغبة في الانتصار على مظاهر الطبيعة وما يحيط به من كائنات وجماد، فجسدها في خطوط وكتابات تعبيرية عكست ما يحمله خياله، ولِبَثّ الرّوح في جدران كهفه، وإشاعة نوع من التواصل السحري في فراغه العمراني الموحش، لذلك لا يغيب علينا إذا أشرنا إلى أن الكتابات الجدارية، لا يَكْمُن محتواها في الخواص المميزة لها في الشكل الفني فحسب، ولا في النوعيات الخاصة للنص البصري، بل لتحرير واضعها من الضغط النفسي والتعبير عن المشاعر والأحاسيس التي تربط الفرد بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، " فالتصوير الجداري، ذاك النوع من الأعمال الفنية المرسومة والمصورة بالخامات المختلفة التي تنفذ وتتصل مباشرة بجدران المباني والهيئات والعمائر، تصور أشخاصا ونباتا، وحيوانات، أو حتى أشكالا تجريدية، من خلال موضوع قصصي أو أسطوري أو تاريخي أو ديني، بحيث تكون علاقة تلك الأعمال الفنية بالعمارة، قائمة وملازمة، بل تعدّ جزءًا من مقومات العمارة العضوية والجمالية"(السيد القماش، 2009، ص48).

وبناءا لما تقدم ذكره، فإن الحديث عن الجداريات التي شكّلت ظاهرة في أبعادها الجمالية والوظيفية والممارسات الانتقالية، تأخذنا إلى الامتداد الكرونولوجي منذ آلاف السنين إلى يومنا هذا، لكي نطرح التساؤل عن فحوى الأبعاد والغايات الشمولية التي وجدت لأجلها الجداريات؟.

وعليه، تستمد هذه الدارسة أهميتها بالنظر إلى الموقع الجوهري الذي تحتله التصورات الجمالية والسوسيولوجية، للتصوير الجداري في الممارسة الإنسانية، وأثرها على سلوك المتلقي، وهذا يعطي سياقا مغايرا في طبيعة المعاملة مع أسلوب التشخيص والممارسة لتلك الصور الجدارية المجسدة، ولفَك سؤال الإشكالية، استوجبت علينا الدراسة تفكيكها وتحليلها إلى تساؤلات فرعية أهمها:

_هل بقيت الجداريات في نظر النخبة، تعبير عن عنف ضمني موجه لكل شرائح المجتمع؟.
_هل كانت محل صدفة أم أنها عن قصد نابع من احترافية؟.
_هل تعدّدتأشكالهاواستخداماتهاوأهدافهالقطع الإمداد القهري للسلطة والمجتمع؟.
_ثم هل فعلاً قلّصت المسافات بين المرسل والمتلقي؟.

أولا: البعد الوظيفي وآلياته في تحقيق الممارسة الجدارية

مع تطور المدنيات الأولى، بدأت الجداريات تطرح تراث الشعوب وتاريخه وفكره سواء أكانت برؤية جمالية أو فكرية، تحمل رسالة ثقافية من جانب وجمالية من جانب آخر، فنقلت الجدارية في الحضارة المصرية المبعث الديني أو تسجيل الشرائع والقوانين، مثل مسلة 'حمورابي'، أو الحياة الاجتماعية القائمة على تمجيد الملوك والأبطال وتخليد بطولاتهم الحربية، كما نقلت أيضا تمجيد صور الأساطير والثقافات والمعتقدات الموروثة في الحضارة البيزنطية الممزوجة بالفن اليوناني وفن الشرق، فكانت تظهر في عمارة الكنائس، بينما العصر القبطي تمحورت موضوعاتها حول قصص الأنبياء وحياة المسيح، (أنظر الصورة01).

نلتمس إذن من خلال الصور الجدارية، قدرتها اللامحدودة على تغيير الإحساس بأبعاد الزمان والمكان، حينما يتخطى المصور حدود الأشكال لتصبح أقرب منالاً وأيسر فهما في القول أنها " ظاهرة فنية ثقافية، تعبر عن الفكر الإنساني في لغة بصرية تناقلتها الأجيال، تمكّننا من التأثير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، على المدركات البصرية للأفراد، فتحرك انفعالاتهم وتثري أذواقهم وقيمهم الاجتماعية، والذي يؤدي إلى تعديل السلوك الحضاري لدى الأفراد، فهي تهدف إلى مرحلة من مراحلها، إلى مغزى تربوي ترفع من المستوى الثقافي للجماهير"(خالد خوجلي إبراهيم، 2015، ص33)، ودائما تمتاز بقربها من الجمهور الذي يتأملها بالشوارع والميادين العامة وعلى واجهات المباني أو داخل المتاحف والفنادق، بل أصبحت بمثابة عمل توثيقي تسجيلي ورمزي، نسترجع في مجملها أحداث الماضي للحضارات السامية السابقة والمتعاقبة سواء بأبعاد دنيوية أو دينية، وأخرى برزخية من العالم السفلي في عالم المقابر، أين كان يعتقد الإنسان أنها ضمان الحياة المستقبلية للملوك وأهاليهم، وهذا الارتباط ساهم في إثراء التراث المحلي لكل حضارة ولكل دولة ومنطقة، فهي تؤكد لنا صلة الإنسان بالتراث العالمي المشترك،

وما يفكر فيه من تطلعات وكمدونة لعادات وتقاليد البشر، لذلك يمكن اعتبارها اليوم إحدى التعبيرات الفعلية للتغيرات اللغوية والثقافية والسوسيومكانية، تبعا لطبيعة البيئة الجغرافية والثقافية السائدة التي يشكو من خلالها الإنسان سخط الطبيعة وغضبها عليه، فهي المعلم والمؤشر الزماني والمكاني للشعوب وللجماعات التي خلت، مما جعلها تتقدم حتى على الكثير من القوانين، بسبب الانحدار الذي ظهرت فيه منذ قرون ولازالت كظاهرة إنسانية عامة واسعة الانتشار، مثلما نلاحظه في العصر الأموي وفي الفترة الرومانية.(أنظر الصورة 02 والصورة 03).

من الملاحظ في الصورة 02، أن وجودها كان من باب تكسية جدران وأرضيات العمارة الإسلامية بالزخارف الجصية أو ما يسمى بالفريسكو، في لوحات زخرفية مثلت أولى فنون الفسيفساء، ونتيجة لتأثر المسلمين بأساليب الحضارات السابقة، شهدت مواضيعها وتقنياتها تغيرات وتطورات واهتمام من قبل خلفاء والملوك والأمراء، لذلك تأسست لها نظرة مستقبلية، ففي الشكل 03 نلاحظ كيف عمدت إلى تأريخ قصص الملوك والأباطرة، فصارت الجدارية تشكل مجالا خصبا للباحثين، وإن اختلفت خصوصيتها فمنحتها سمات جمالية تفصح عن مصيرها، وتدفع بالمشاهد إلى الرؤية والتبصر مليا، فيلتقط المار بجوارها أفكار تعبر عنها والرسالة التي ترسلها، تحكي الواقع تارة والعنف الرمزي والجمالي تارة أخرى، قد لا تتطابق مع التنميق وإنما كذلك مع الصِدّق في التعبير الفني، واليوم أصبحت أيضا أداة للتحرر وتعرية لجرائم الحرب والإنسانية كجدارية جرنيكا للفنان بيكاسو، إذ سرعان ما تحولت إلى علامة بارزة تساهم في تكوين وبلورة رأي ملايين البشر عن أنفسهم، فبقيت عصية على القوننة والتكريس، ولم تتخل عن دورها كعنصر إثارة للحماسة والسجال، ولا نقف عند جرنيكا الغرب، فهناك ملصقات النضال العربي خاصة الفلسطيني، التي نراها لا تقل عنها أهمية وقيمة، كوسيلة تصدي أمام الإعلام الفلسطيني المشدد عليه من قبل الإسرائيليين أثناء تغطية الأحداث المختلفة، فوجد فيها المُمارس كائن ما كان الملاذ والمتنفس للتعبير ومرتعًا لجو اجتماعي وتواصلي وحالة من حوار حيّ ومستمر، يدوم ما يشاء من الزمن بين الناس بالألوان والأشكال.(أنظر الصور03).

ثانيا: فحوى الأبعاد الجمالية والسوسيولوجية في الجدارية

يعتبر التصوير الجداري من أقدم الفنون المتوغلة في التاريخ التي عرفها الإنسان وأكثرها قدما وأصالة، فقد مارسها إنسان الكهف قديما داخل كهفه بأبسط الأدوات المتاحة في ذلك الوقت، منهجا وأسلوبا للتعبير عن الرأي، حتى أصبح وحدة لا تخشى التجريب وامتزج هذا النوع من الفنون مع ما تقتضيه المقتضيات الاجتماعية، واستجاب للتطورات البيئية والعلمية والتكنولوجية وبات من الضروري أن يعتبر أداة تواصلية تفاعلية، يتخاطب بها بنو البشر على اختلاف مشاربهم وتزويد الحضارات الإنسانية بالطاقة اللازمة "فالفنون هي الأوسع تواصلاً وقدرة على الحضور في التاريخ، لخاصية التأثر والتأثير في الحساسية الشعبية وفي ذائقة النخبة، فهو يتداخل وأنشطة مؤسسات المجتمع التعليمية، وكأنه الوثيقة الأكثر تعبيراً عن الناس بمختلف شرائحهم، فضلا على أنّها المتحف الأول في التاريخ قبل أن يصبح مادة متحفية "(مصطفى عيسى، 2010، ص35)، زيادة على ذلك فإن هذا النوع من الفنون، توفرت له المساحات العمرانية بقيم فنية

وعلاقات تفاعلية وحركية مكونة ذاكرة شعبية لشر الفرجة والبهجة، أينما وجدت باعتبارها متلقي للمادة الفكاهية بامتياز " فمنذ تلاقح الحضارات، فإن الجدارية كان لها لغتها الخاصة، من رموز وشفرات حملت بين دفتيها معاني، مرتبطة بالجماعة التي ينتمون إليها (عامر نورة، 2005، ص110)، وبصرف النظر عن البعد الروحي والديني والرمزية الإلهية التي ساهمت في نشوء الانجازات الجداريات، كإبداع فني يتطور وفق أساليب محلية في عصور جديدة " إلا أنه ظل أسلوب فني، حليفًا مخلصا للطبقات الكادحة متخذاً من الشارع مكانا ومستقرا له، باعتباره حاضن المفاهيم والتيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية، لأولئك الذين لا يملكون إلا أفكارهم وريشاتهم للتعبير عن أحلامهم وآرائهم، وسبيلا للذين يعانون ويلات الحروب والمهمشين والمضطهدين عرقيا، ومكانا للتواصل والتعبير عن أنفسهم ونبذ العنف المجتمعي والصراعات الدولية" (رشا أحمد نبيل، 2019، ص175).

تواجدت الجداريات وتزايدت الكتابات ولا تزال تستمر الشعارات في كل مكان يصلح للكتابة، فكما هي مدونة حافظة لتاريخ الأمم وتَـنْظَـمُ إلى قائمة الوثائق التاريخية والمخطوطات التذكارية، لتزودنا بمعلومات قيّمة عن تاريخ الفن وعن الأديان والعبادات والطقوس فيمن سبقونا من أزمنة غابرة، فإنها أداة قوية للتعبير في مظهره الحداثي، وإن كانت في بعض الأحيان تعكس حالة الواقع وما يخالج ذائقة الإنسان الفنية بأسلوب محمل بالعنف والغرابة والتعجب، وعلى تماسٍ مباشر من الإحساس فتخرج عن المألوف وحدود التعبير الملتزم، إلا أننا نلمس وبشكل واضح من خلال التنوع والتفرد في هذا الجانب، السعي الواضح للتعبير بدلالة سياق المشهد عن مضمونها كاملة أو مفتقدة لجوانبها المبتور في جمل أو كلمات مختزلة، فإنها تبقى عنصر مهم ومؤثر في تشكيل الثقافة البصرية لدى الفرد والتميز بين مجتمع وآخر، حيث تعطي هوية وطابع خاص لكل موقع وزمان وتسجيل الأحداث الفارقة في حياتهم، إلى جانب منطق العصر ونمط الذوق عند المتلقي " فللنص البصري المتمثل في الفن الجداري حقول معرفية ثقافية بشكله الذي يمنحه سمة التفرد، عن سائر النصوص الإبداعية الأخرى، وفق ما تقتضيه قوانين الخطاب التشكيلي والضرورة الفنية المنصهرة، في الخطوط والألوان والأفكار، بحسب تراتيل متوازية" (دلال حمزة محمد، 2015، ص1313)، فمثلا في الصورة 4، نرى عينة من الكتابات لا تعكس الجمالية الفنية وإنما الخصوصيات السوسيولوجية، المرتبطة في العمق بتعبير طائش أو كالتسويق لتناول وبيع المخدرات، وهي ميزات متجذرة في الثقافة الاستهلاكية التي يتميز بها مجتمعنا الجزائري وحتى مجتمعات عربية أخرى.

يرجع اختلاف التنوع مع الجدارية، حين تصبح النفس الشاعرية والأنامل الفنية تحجب المرئي وتبصر اللامرئي، وتكشف عن مواجهة سلطة موازية لا يمكن لأي من صور الوجود أن تنفي الآخر، تكشف عن سطوة وفتنة السياسي وإغراءات الاقتصادي وفصاحة الأخلاق، وطرح التابوهات أمام أعيننا وغيرها من الرسائل السوسيولوجية والثقافية " والتي لا يستوعبها أذهان الحكام والفقهاء، عن ثقافة مكلّلة بالأغلال، ولفسح الحرية التي شكلت في أحضان الفنون والأديان والفلسفة، حينما صمّوا آذانهم على مدى قرون بفعل قوانين الفضيلة المنمقة، عن سماع صرخة

العبيد التاريخية، ويُضحّى بالنخب الفكرية والفنية في محارق أزمات المؤسسات الاستبدادية"(مصطفى عيسى، 2010، ص40-41)، التي تخشى التعبير عن الحرية بالفن لأن أذواقهم وأحاسيسهم، ترهّلت وباتت صمّاء عاجزة عن الإنصات وعمياء فاقدة القدرة على البصيرة، فدفنت النخب وأصوات المستعبدين.

سمحت الجدارية من خلال أثرها الممارس خوض مغامرة افتراضية لم يسمح لهم الوسط البيئي من المشاركة في العالم الواقعي، فانتقل التشكيل والخطاب الفني من بعده الميتافيزيقي إلى واقع حقيقي ينبذ الجمود وينفتح على كافة الأفكار والمجالات. وبالتالي، أصبحت الجدارية قِبلة لمنظور أمني عدواني آخر، أتت عن طريق حامل اجتماعي شعبوي غير تقليدي، لها ما لها من التأثير على صنع الواقع والقرار السياسي والاقتصادي والثقافي في المجتمع، لتكشف في كثير من الأحيان الوجه الدفين للقامع الذي يمارس سطوته من موقعه، وتتيح للمارّة بين الشوارع أن يروا الآخرون على حقيقتهم، وأصبحت سلطة في يد المثقف ووسيلة توعية وتهذيب أيضا مثلما حدث في الثورات العالمية والعربية وفي مسيرات الحراك، بأخذها أشكالا متباينة في النوع والدور، حسب السياق الزماني والمكاني" ومن هنا تتغير النظرة إلى الفن الجداري، الذي كان ولا زال، يصرّ على دعم مواقف المجتمع ويطرح القضايا والتحدث في المشكلات، فاستطاع أن يمحي الحواجز المكانية وجعل من فن الشارع عملا إجراميا ومُدانا بقوة القانون، وبالتالي تنتقل شرعية الشارع إلى يد العامّة، ويُصبح متلقي العمل الفني من مشاهد سلبي إلى مشاهد إيجابي متفاعل، ويصبح جزءا من العمل الفني، يُحتّم على الجميع التعامل مع الفنّ والمجتمع والبيئة، بشكل مختلف ومغاير "(رشا أحمد نبيل، 2019، ص180).

بما أن الفن هو الإدراك العميق لما يحدث في الحياة وتجربة هامة تشكل الوعي الجمالي بالعالم من حولنا، فإن الجدارية تمثل مشهد سردي لأحداث في أزمنة متغيرة، جعلت من الواقع والخيال روحاً واحدة، تصور مشاهد سواء لغرض التجميل والإعلام أو التعبير بمختلف أشكاله على مهارة عالية ووعي تام، بالغرض التعبيري والرمزي، ونتبصر إلى الكيفية التي ينجذب المُشاهد للتفاعل مع العمل الفني " والذي بدوره له بعدان أو طبيعتان، إحداهما تحتفظ بتفردها كعمل كلاسيكي بحّت، والأخرى ذات طبيعة متحركة ومتغيرة، وكلما تطورت التقنيات والتجارب يصبح من الممكن تقديم ذات العمل الفني بشكل دائم الاختلاف والتجدد، وتساهم تلك التجارب في تحريك الماء الراكد في عالم الفن التشكيلي وإنعاشه، وبالتالي تقديم تجربة بصرية جديدة، ومختلفة وممتعة"(رشا أحمد نبيل، 2019، ص180).

من جانب آخر وحتى نعرض وجهات النظر المختلفة، فإن واقع الاختلاف في الرؤى ولو في جزء بسيط لتجسيد التصورات الاجتماعية لكل فئة وتعديل المواقف، فإن توضيح خلفية الإشكالية وحل التساؤلات التي طرحنها، تُقِرّ بأن المنجز الفني واحد من أهم المحركات الجمالية والفنية والتعبيرية التي يتم استثارها من قبل نخبة من المفكرين والفنانين، أو حتى عامة الناس كما اصطلح عليه الفن الحداثي، نجد أنّ الجداريات وبشكل خاص شكّلت أيضا أحداث الفعل التعبيري

بجماله وقبحه، والإفصاح عن المكنونات الداخلية "لخطاب كتابي لا مشروع اجتماعيا، والذي يتخذ من الجدران وما يمكن أن يحلّ محلها، مكاناً للتعبير، ويتضمن كُلُّ ما من شأنه، أن يُلحق ضرراً، معنوياً أو مادياً، بالمرافق والأشخاص والمجتمع كلّه، ويكون نتاج دوافع عديدة ذاتية واجتماعية "(جابر نصر الدين براهيمي الطاهر، 2003، ص305)، فقد حملت في طياتها مظاهر العنف المقنع الخفي خصوصا في الأحياء الفقيرة والشعبية، في فضاءً من الخربشات والجُمل الوضيعة والقبيحة ضد المجتمع وبيئته جملةً وتفصيلاً، فتصبح بديل لغة التحاور والتخاطب أمام العدالة الاجتماعية، نتيجة حرمان الفرد من الحقوق السياسية وظروف قهرية ممارسة ضده، أو ربما ردة فعل لعنف قائم أو تسلط سياسي، مثلما يبرز في كثير من الدول خاصة في المظاهرات التي تنادي بتغيير الدساتير الوضعية وتنحية رؤساء الدول والحكومات، أين يُحس المرء بالعجز في إيصال صوته بوسائل الحوار العادية وتترسم القناعة لديه بالفشل في إقناع الغير بالاعتراف بوجوده وكيانه وقيمته، فتصبح تلك الجداريات الوسيلة لتجنب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة اتجاه مطالب الحياة، فيتوجه صاحبها إلى محيط بيئته بتعبيرات وسلوكيات سافرة علنية مستمرة أو دورية، تهدف إلى إزالة أو تشويه كل ما تحويه المجتمعات من قيم حضارية وأصول دينية ثابتة، وتنادي بإسقاط الأنظمة والحكومات ويترتب عنها أضرار مادية وبشرية على حد سواء.

ثالثا: الجدارية بين التأطير والتفعيل

لم تعد الجداريات نشاطا مؤقتا يخضع للرغبات الظرفية بل انتقل إلى صناعة تسعى للتوسع المستمر في شكل متطور ومتجدد، وقد سبقتنا إليها التجربة الغربية أين كانت بدايتها في الستينيات من القرن الماضي، ثم أخذت تلك الجداريات في غالبيتها منحنيات فنية بسبب الوعي والتطور الفكري، فخصصت لها الدول المتطورة فضاءات واسعة لهواتها وتأطيرهم لاستغلال طاقاتهم والسماح لهم بالتعبير عنها كما هو موجود في " محطة مترو أنفاق الجامعة 'Universita'، بايطاليا، الذي وفر تجربة حسية وجمالية جديدة بالأحجام المتنوعة والمواد المبتكرة، القادرة على تلبية أفضل الاحتياجات التعبيرية وتقديم المتعة البصرية، مثلما جسدها الفنان كريم راشد في جدارية تواكب عصر التكنولوجيا المعاصرة بتقنية LED ولغات العصر الرقمي، أما في محطة ميترو 'أنفاق غاريبالدي' فقد عمد الفنان 'أنجلو بيستوليتو'، إلى عرض صورة المسافرين بالحجم الطبيعي أثناء سفرهم فتعطي الجدارية تعايش للصور الثابتة مع انعكاس واقعي وحقيقي أثناء مرور مرتادي المحطة وتفاعلهم مع ذواتهم وكأنهم جزء من هذا العمل الذي يربط الفن والحياة"(سمر إبراهيم، 2018، ص375) (أنظر الصورة 05)، مما يزيد الإحساس بالمتعة لدى الفنان عندما يتقاسم معهم الأذواق المتعدّدة من مستويات التلقي المختلفة، كما تساهم لحدّ كبير في تحطيم الصورة الذهنية عن كونها مقصد سياحي فقط، وإنما من حيث امتلاك الجدارية لعوامل التغيير في المجتمع "بخصائص داخلية سواء أكانت تشكيلية أو أدبية أو موسيقية تؤثر في مشاعر اللذين يتلقّونها بأحاسّيسهم، فَتُبْهرهم وتهّزهم وتؤثر في مختلف أصناف قدراتهم الإدراكية وفي أنْظِمَتِهم القيّمِيَة، وهكذا يؤثر الرسم في تصور العالم المحيط بمتلقّيه"(ناتالي إينيك، 2011، ص 175).

على غرار إيطاليا، فكرت دول أخرى في حصر هؤلاء الفنانين في موقع واحد لعدم "خربشة" جدران المدينة، فقامت إسبانيا بتحديد جدار محطة القطار في مدريد وتحديد وقت من كل عام لمسابقة أجمل رسم جرافيتي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية بولاية كاليفورنيا وبالتحديد في مدينة 'وينوود'، بمدينة ميامي، أين تم تخصيص هذه المدينة بأكملها لفناني الجرافيتي، وبانتشار شركات تتعاقد مع الفنانين برسم جدرانها، وكذلك محطات القطار والمنازل، وبهذا تكون الدولة تخلصت من الرسم على الممتلكات الخاصة والعامة بطريقة حضارية، وزادت من الحضور لمحبي هذا النوع من الفن في العالم، مثل "مشروع ميكارو في سنة 2012، على يد أربع أعضاء من المجموعة A.O.S، التي نفذت جدارية على مساحة450 متر مربع، تغطي فندق 'الميكارو' المتواجد أمام محطة شارع 'سانبنكراس' بلندن، كما أخذت الجداريات تحول من نوع آخر، وانتقلت من طابعها الثابت إلى المتحرك، عبر تجسيدها على عربات القطار المتواجدة بقرية 'الأندرغراوند' في فضاء ثقافي حي"(جدار التظاهرة الفنية بالرباط، 2015، ص30)، (أنظر الصورة 05 و06).

مهما تعددت أشكال الأبحاث سواء أكانت فنية وثقافية أو اجتماعية وسياسيَّة، إنما في الحقيقة تلك الاختلافات هي ثراءٌ علمي لفهم أي ظاهرة قيد الدراسة، فالجدارية عمت وانتشرت في كل المجتمعات المتطورة أو النامية أو حتى المتخلفة " وباتت تستخدم في كثير من لغات العالم لتعني الرسم أو الكتابة على الجدران باستخدام أصباغ أو رذّاذات (بخاخات) لونية، والذي يعتبره البعض فنًّا وآخرون تخريباً للممتلكات العامة "(مهند جعفر حسين، 2008)، فكما يمكن توظيف هذا النوع من الفن لتوظيف من أجل التوعية والبعد الجمالي والسياحي، فإنه من غير الغرابة أن يتم استعمال الجداريات في التعريف بمناطق استحواذ ونفوذ العصابات وتوسع شرايين الطرق والجسور، مثلما مارستها العصابات الأمريكية طوال الستينيات لتعليم مناطق نفوذها، وأيضا ارتكزت وانتشرت الكتابات الجدارية في أوروبا على الأحياء الشعبية والجامعية كرد فعل عن التمييز العنصري الممارس ضدّ الأفارقة والمهاجرين، أو من أجل المعارضة السياسية. (أنظر الصورة08)

نلاحظ اليوم كذلك وجود ظاهرة سلبية في الرسومات الجداريات الغير مؤطرة، والتي انتشرت في الأماكن العمومية بشكل ملفت للانتباه في العالم، وهي تواجدها المتزايد من باب مخالفة القواعد أو القوانين العامة للنظام، وأنّ كثرة وجودها له علاقة بالأماكن التي يكثر فيها رمي القمامات، مما يؤثر بشكل سلبي على سلوك الأفراد بشكل كبير، حينما تؤثر على المظهر الخارجي للأحياء والمدن وعلى المنشآت العمرانية، فتعبر عن رغبات داخلية ممنوعة في المجتمعات المحافظة، كالبوح بالمكبوتات الجنسية أو التصريح بالعلاقات العاطفية، مثلما وضحته الصورة 04 سابقا، وقد تتعدى مواضيعها الرياضية والموسيقية والسياسية إلى رهانات خطيرة في الحاضر والمستقبل، لم تسلم منها المدارس والجامعات من على كراسي القطارات والحافلات المراحيض بل حتى المقابر، وما يزيد شدّة على شِدة ظهورها على النصب الأثرية المهمة، مثل أقواس النصر في مختلف المناطق السياحية وفي المآثر السياحية بالطاسيلي بالتحديد، لدرجة طمس هذه

المعالم الحضارية وتغيير طابعها التاريخي وتفقيرها رمزيا وإخضاعها لاستخدامات نفعية، فأصبحت تلك الآثار مرتعاً للشخبطات واللطخات اللونية، كضمان لاستباق تدوين إمضاءات مدونيها، فتحاكي صراع المصالح والهويات والنزعات الجهوية والعنصرية، ويصبح التفريط بالمجان في المعالم والمواقع القديمة غير المحروسة من أجل استئصال جذور ذاكرة الأمم، في ظل تغييب كامل من طرف الإعلام أو التغاضي عن الأبعاد الخطيرة لهذه الظاهرة التي استفحلت وبدأت عوالمها على مشارف القرن الواحد وعشرون بالظهور والانتشار، خصوصا وأن التوصيف الشعبي العربي والدول النامية للبقايا الأثرية، ينظر إليها أنها خارجة عن الزمن الذي وُجدت فيه ذاكرتهم بالتكوُن والتشكُل، مادامت هذه الآثار قد وُضعت في مجالهم الذهنيّ والمخيّال الثقافي الخالي من أيّة دلالة تربطهم بالواقع المعاش والتطور الحاصل، وأن استعادة الشرعيّة التاريخية لآثارهم ومعالمهم التاريخية لذاكرتهم تعتبر هامشية وعرضية، عفا الزمن عليها من الذاكرة الجماعية. ومن هذا القبيل، يكمن دور الدراسة أمام هذه المعضلة التصريح بهذه الخطورة المحدقة في الاستعمال السيئ والسلبي لفن الجداريات والبحث في سبل الوقاية من تفشيها في شقيّها المتدني والوقاية من عشوائيتها، والتنبؤ بالسلوك الفعلي لها في الوقت الحالي والتنبيه إلى فحوى ممارستها من الشباب والفنانين الأقرب إلى السلبية منه إلى الايجابية عند الممارسة.

إن الفكر البصري للجداريات في شقيها الإيجابي، يعتمد على عنصر التعبير الفني الذي تتسع لها مساحات كفن للعامة، مثلما يُبين أستاذ فن العمارة 'دوغلاس كوبر1911-1984، " هدف الجدارية أصلاً هو تحويل المرافق العامة إلى مساحات تشكيلية ولونية تحمل أحلام سكان المدينة وتعكس قضاياهم، ولصيقاً بهموم الإنسان العادي ومجسداً لرؤاه وتطلعاته، وبهذا تنطبق عليه مقولة الفنّ للفنّ والمجتمع، وبهذا يكون فنًّا بسيطاً ومباشراً، بحيث يفهمه رجل الشارع العادي دون الحاجة إلى تفسير أو تأويل"(جبار كنزة، 2014، ص71)، بالرغم من إمكانية حمل العديد من المعاني التي تتطلب استخدام العديد من الكلمات البعيدة عن اللغة البذيئة التي تكتب على الجدار، والتي تُنمّي القدرة على إدراك الوقائع والأشياء والحكم على مدلول المنتوج الفني وتعيين المواقف منها، فالوعي المتضمن معالجة المطالب في شكلها الجمالي، يمكننا من ترجمة هذه المواقف والمعالجات إلى أعمال مادية التي تم إنشاؤها في الشارع وللشارع، فما كنا نتصور مرة واحدة أن الفن الذي يمارس بشكل غير قانوني في الأحياء وكان يعتبر تلوث حضري، أن يصبح اليوم فنّ كبير وبشكل معترف به من التعبير الفني والديمقراطية الثقافية، والدليل على ذلك أن مختلف المصممين يستلهمون من فن الجداريات أفكارهم من فن الشارع، وأصبح لفناني الشارع فرصة تجارية وإعلانية لمساهمتهم في الكشف عن معالم الجداريات عبر الثقافات الحضارات المختلفة.

وبناءا لما سبق ذكره، لاحظ الباحثان أن الجداريات تتصف أحيان بتقطيع لرواية الحدث والرسالة المرسلة بكتابات عفوية أحيانا تفتقد إلى العنصر النظامي في سياق الصياغة التي كتبت لأجلها، فالذي كتبها يرسم ما يعرفه ويفهمه من أشياء كما تميل أشكالها إلى التسطيح والسذاجة، لا بما يفقهه من توزيع للعناصر التشكيلية ولتراكيب فنية، فهي تمتد وتتوسع لتشمل عامة الناس وتارة

أخرى تتصف باحترافية على حسب المنطقة الجغرافية والخطاب السردي المراد توصيله للمرسل، فحظيت بالمثالية والتقديس والتأثير مهما تباينت الآراء حول إيجابيتها وسلبياتها، لتحقق التكامل بين النص المكتوب والصورة المرسومة من أجل تعميق الذوق الجمالي للنص الفني عند المتلقي، فنجد تداخل لصور غريبة ومفاجئة غير متوقعة، كما توصلت الدراسة من خلال زيارات عفوية لبعض الأماكن، أنها شكل من أشكال التعبيرات الغير رسمية وتكتب غالبا بالليل من الفئة الشبابية من الجنس الذكري.

أما في الأماكن الغير مرئية والمغلقة فإن فئة الإناث هي الأكثر استغلالا وممارسة لهذا النوع من الكتابة الحائطية، كما تمارس في أوقات الاحتجاج والمظاهرات، ولاحظنا انتشارها أيضا في المؤسسات التعليمية، كونها تعطي إحساس لصاحبها بالحرية المطلقة للتعبير عن مكنوناته المكبوتة فهي لا تلزمه بمسؤولية طالما بقي مجهول الهوية، يحاول من خلالها التقليل من حدة القلق والهوس والقهر الذي يشعر به، فهي لا تحتاج إلى قواعد والكثير من الدراية، ولا تقيده حقوق الملكية أو شروط النشر، فتظهر في الغالب بين عامة الوسط الاجتماعي، تعكس طابع شخصية صانعها وأحيانا أخرى تعبير عن وضعية اجتماعية أو اقتصادية معينة، وقصدية سياسية في الوقت ذاته، فبع قراءة جملها وصورها يمكن بسهولة استخلاص معانيها وتفتح أبواب معانيها لأول متلقي، ومن خلال هذا الطرح العلمي وبإسقاطه واقعيا، فإننا نلفت كما أشرنا سابقا إلى خطورتها الغالبة والعمل من أجل تحسين ظروف المجتمع العربي الذي يأخذ سلوكيات أكثر عنفا، كلما ازداد فيه انتشار تلك الكتابات، وكما أوضحنا ذلك أعلاه، ونحن نعيش سباقا مع الزمن لتثبيت مفاصل عملية بناء الوطن على أساس النهج الجديد الذي يحصل بعد كل تغيير.

فإن الاهتمامات الإيجابية بفئة الشباب، تفرض الموازنة في مراعاة احتياج هذه الفئة وتسخير إمكانياتها بشكل إيجابي، حتى يستطيعوا من إفراغ طاقاتهم والتعبير عن إمكانياتهم بالشكل الصحيح، التي ترى نفسها أنها ضحية اللامساواة الاجتماعية والقمع المسلط عليها، وإن البحث في أسباب حمل السلاح دفاعا عن الوطن، يوازي في مجمله التساؤل عن فقدان الشعور بالروح وطنية مطلقًا أو بالانتماء إلى الوطن، هي من جعلت كاتب الجداريات ينكر ويلعن واقعه وتعرّيه أخلاقيًا، فيقدم لنا عبر الجداريات تعريفًا، من أنه غير مستفيد من ثمار المواطنة في كيانها الاجتماعي والسياسي، والتي فشلت فيها السلطة في توفير البدائل لتأسيس العدالة والديمقراطية، وما الفرق بين الطرفين سوى أن الجداريات الممارسة خلسة وخفية بدون ترخيص وبتعبيرات غير رسمية، فإن السلطة اقتصرت على جداريات بتعبيرات رسمية عبر إنشائها أمام مؤسساتها الرسمية أو شعارات من على واجهات المباني الحكومية والمباني الراقية، وهو ما تراه هذه الشريحة محاولة تزييف وعيهم وتحريف طموحاتهم واحتياجاتهم، لاسيما عند محاولة الكلام باسمهم بدون حقائق تعكس واقعهم المرير واستفزازهم بأنهم يعيشون العيش السعيد و الرزق الرغيد، وفقاً لأجندات وفئات اجتماعية هرمية.

إنّ هذه القطيعة بين السلطة والشعب، يدفع بالكثير من ممارسيها إلى اعتماد كل ما هو ممنوع اجتماعيا وطبقيا أو سياسيا، يصبح عندئذ مباحا جداريا تعبيرا عن الرفض والاحتجاج، كما خلصت الدراسة من ناحية أخرى أن الفن الجداري يعتبر من أبرز النتاج الإبداعي، بتكوينه وأشكاله المسايرة للمراجع الفكرية للمجتمع، ومدى تأثيره في الوعي الثقافي برموز ترفع الإدراك الحسي عند المتلقي، إذا ما وجد فيه المضمون والفكر وفق توازن غير مخل بالحياء، يتكشف صاحب الكتابات الحائطية والفنان هويته وقدرته على التماهي مع الواقع، ويستنجد من فهم جماليات تكوينها، وتصبح الجداريات هي ذاتها المعنى وهي ذاتها اللغة " فهي حينما تكون مقروءة قراءة بصرية حاملة لمعنى، تعيد هي قراءتنا وتعيد إعادة صياغة أفكارنا وتغير خارطة ذائقتنا وتحول تفكيرنا من ترف التلقي المستهلك، إلى تلقٍ تحرره من نفسه، فيتحول من داخله إلى كائن لوني، وبذلك تكون هي نفسها معنى، وليست حاملة"(جميل حمادة، 2008، ص11).

تلكم هي أهم الملاحظات العلمية المسجلة، التي تمت بعد تحليل حوالي 100 عينة من الجداريات، من طرف الباحثان في الشوارع والجامعة وبعض مؤسسات التعليم المتوسط بالجزائر، بحكم أن أحدهما أستاذ جامعي والآخر باحث جامعي وأستاذ التربية التشكيلية، فقد سمحت لنا الوظائف المتنوعة، الإلمام بجوانب عدة عن الأبعاد الجمالية والسوسيولوجي للجدرايات.

خاتمـة:

لا يمكن للعمل الفني أن يوجد أو يكون دون وسيط مادي، وحينما يتحقق على الجدارية فإنه يتحول إلى منطق يرتبط بالغرض الذي يسعى من ورائه ووجد من أجله، غير أن الحرية في اختيار هذه الخامة لم يترك عشوائيا للصدفة، وإنما للإدراك العقلي والخبرة الفنية الجديدة لتكون أداته في التعبير بالاعتماد على الجرأة والبراعة، كما تعتبر وسيلة اتصالية تترجم الكثير من المعاناة ومن خلالها تظهر للعلن الطابوهات والممنوعات والرغبات، تعبر في مجملها عن مضمون نفسي اجتماعي وفني وربما رؤى أخرى، وعندها ندرك أن الصورة الصادقة التي تحكي الإحساس الصادق، هي أحد أوجه النشاط الإنساني الأكثر توثيقا لحركة الحياة، ونكون قد وصلنا بين هذين الفريقين لممارسيها الشعبوي والنخبوي، إلى مفارقة عجيبة تتوسط بين تجريم مرتكبيها وبين تبرئة ممارسيها، وأن الحقوق المتبادلة بين المعارض والمؤيد للجداريات كفن أو كظاهرة أو في ما يتعلق بينما، هو حسب طبيعة السلوك الأخلاقي الذي تفرضها القيم الاجتماعية وكذا الحرية الفنية المعاصرة وحتى السمات الشخصية للمتلقي الذي يستقبلها، فإنها تؤثر على إدراكه ومعلوماته والحالة النفسية التي تقرها الدراسات الاجتماعية في الحياة المعاصرة.

ملحق الصور:

صورة1: جدارية الإله أوزوريس يحاكم الموتى في مقبرة العمال في الأقصر بمصر

المصدر: (دلال حمزة محمد، 2015: 1313).

صورة2: جدارية تحمل رسوم مختلفة بتقنية الفريسكو في قصر الحير الغربي بدمشق في العهد آلأموي

المصدر: (علي السرميني، ملخص الفن الإسلامي : فسيفساء وتصوير جداري ص 615).

صورة3: جدارية هرقل التي تعود الفترة الرومانية، تحكي قصة تأسيس الإمبراطورية اليونانية

صورة4: أحد الجداريات المرسومة في شوارع فلسطين التي تشكل أرقى أساليب الحرية التي يسعى الشعب الفلسطيني على تحقيقها

المصدر: (موقع فلسطين الآن : http://paltimes.net/post/15491).

صورة5: الظرف الوظيفي للكتابة الجدارية في الثقافة المحلية وتصور ناتج سلوكيات الفرد

المصدر: (العينة من ولاية تلمسان).

صورة: أهم الجداريات القائمة على تكنولوجية LED بشارع كاتالانا "Rua Catalana في نابولي

صورة: 06 توضح شكل فندق "الميكارو' بلندن وعلى جانبها لنوع من جدارية متنقلة على الحافلة

المصدر: مطوية التظاهرة الفنية بالرباط، المرجع سابق

صورة: 06 رسم للمعارضة السياسية Joséphine Bernadette، من أنجاز الفنانين الايرلنديين Bogside Artists

المصدر: (https://en.wikipedia.org/wiki/Bernadette_Devlin_McAliskey، تاريخ الولوج إلى الموقع:2019/03/24).

قائمة المراجع:

1. الجدار(2015)، مطوية التظاهرة الفنية حول جداريات الطريق، المغرب، الإصدار الأول، الرباط، المملكة المغربية.
2. السيد القماش(2009)، التصوير الجداري والعمارة المعاصرة علاقة متبادلة، ط1، دار المحروسة، للطباعة والنشر، مصر.

3. جابر نصر الدين براهيمي الطاهر(2003)، العنف الرمزي في ضوء الكتابات الحائطية، في العنف والمجتمع مداخل معرفية متعدّدة، أعمال الملتقى الدولي الأول في 2003/03/09، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة بسكرة، الجزائر
4. جبار كنزة(2014)، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية، رسالة شهادة ماجستير في علم النفس، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
5. جميل حمادة(2008)، المتلقي والثقافة البصرية، مجلة التشكيل الكويتي، مجلة دورية تعني بالشأن البصري، تصدرها جمعية الإمارات للفنون التشكيلية، العدد 20.
6. خالد خوجلي ابراهيم خوجلي(2015)، تقنيات التصوير الجداري الحديثة وتطبيقاتها في العمارة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفنون، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان.
7. دلال حمزة محمد(2015)، السمات الجمالية للشكل في الجداريات المصرية القديمة، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مجلد 23، العدد 03، بغداد.
8. رشا أحمد نبيل(2019)، تكنولوجيا التقنية البصرية وأثرها على تطور الجداريات المعاصرة، مجلة العمارة والفنون، عدد14،الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، الأردن.
9. سمر سعيد إبراهيم(2018)، دور الفن الرقمي في التصوير الجداري بمحطات ميترو الأنفاق الايطالية، مجلة العمارة والفنون، العدد 10، الأردن.
10. عامر نورة(2005)، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس والتربية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
11. مصطفى عيسى(2010)، الفن والسلطة، ط1، دار الكتب القطرية، الدوحة.
12. ناتالي إينيك، سوسيولوجيا الفن، تر: حسين جواد قبيسي(2011)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
13. جدارية منجزة من طرف الفنانين الإخوة بوقسياد Bogside، والتي تجسد صورة المعارضة السياسية (Josephine Bernadette McAliskey)
https://en.wikipedia.org/wiki/Bernadette_Devlin_McAliskey، تاريخ الولوج إلى الموقع:2020/03/24.
14. مهند جعفر حسين:الكتابة على الجدار بين الفن والسياسة، الحوار المتمدن، العدد 2436، الصادر بتاريخ 16/10/2008 على الموقع التالي:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=150273، تاريخ الولوج إلى الموقع:2020/03/24.

واقع وآفاق النشاط الزراعي بأرياف سهل الغرب: حالة جماعتي الصفصاف وسيدي الكامل (إقليم سيدي قاسم)

أ.جمال نصير، طالب باحث في سلك الدكتوراه، جامعة ابن طفيل، القنيطرة– المغرب.

The reality and prospects of agricultural activity in the rural plain of A case study of Sefsaf and Sidi Al Kamel communes Gharb: (Province of Sidi Kacem)

Jamal Nasyr, Ph.D. student, Ibn Tofail University, Kenitra- Morocco.

ملخص: تتمحور مضامين هذه الورقة البحثية حول واقع النشاط الزراعي بأرياف سهل الغرب من خلال دراسة حالة جماعتي الصفصاف وسيدي الكامل (إقليم سيدي قاسم)، ومعرفة العوامل المتحكمة في هذا النشاط، إلى جانب تسليط الضوء على المشاكل التي يعاني منها، وذلك من خلال الإحاطة بجميع مكوناتها، باعتبارها عاملا معرقلا لتنمية وتطور هذا النشاط. وأخيرا استعراض بعض الاقتراحات والتدابير العملية التي من شأنها أن ترفع من إنتاجية هذا النشاط وتجعل منه أحد أسس تحقيق التنمية القروية.

الكلمات المفتاحية: النشاط الزراعي، أرياف سهل الغرب، جماعتي الصفصاف وسيدي الكامل، الإنتاجية، التنمية القروية.

Abstract: The contents of this research paper revolve around the reality of agricultural activity in the rural plain of Gharb through studying the case of the Sefsaf and Sidi Al Kamel communes (Province of Sidi Kacem), and knowing the factors which control this activity, in addition to shedding light on the problems that it suffers from, by taking note of all its components, as a hindering factor to the development and evolution of this activity. Thus, this research paper will present some suggestions and practical measures that will raise the productivity of this activity and make it one of the foundations for achieving rural development.

Keywords: Agricultural activity, rural plain of Gharb, communes of Sefsaf and Sidi Al Kamel, productivity, rural development.

مقدمة:

يشكل النشاط الزراعي بجماعتي الصفصاف وسيدي الكامل عماد الاقتصاد المحلي وأساس التنمية، لكونه يشكل مصدر عيش ودخل وتشغيل معظم الساكنة بالمجال. ويشهد حاليا تحولات بارزة، مست البنية العقارية، التقنيات الزراعية، السقي والإنتاج، ونوعية المزروع، مستفيدا في ذلك من الظروف الطبيعية الملائمة (انبساط السطح، جودة التربة وتنوعها، مناخ متوسطي، موارد مائية سطحية وجوفية مهمة) وتدخلات الدولة (التجهيزات الهيدروفلاحية والمسالك الطرقية) ووجود يد عاملة مهمة.

لكن في مقابل ذلك، يواجه هذا النشاط عدة إكراهات، مرتبطة أساسا بتعدد الوضعية العقارية للأرض، وصغر حجم الحيازات الفلاحية وتشتتها، وارتفاع تكلفة مياه السقي...إلخ. الشيء الذي يستدعي إعادة النظر في هذا الوضع، ونهج إصلاح زراعي شامل يعيد لهذا النشاط حيويته، نظرا لما له من أهمية قصوى في تحقيق التنمية المحلية، ومن ثمة التنمية القروية.

1. الإطار المنهجي للبحث

1.1. إشكالية الدراسة

يشكل النشاط الزراعي عصب الاقتصاد المحلي بجماعتي الصفصاف وسيدي الكامل، لكن في مقابل ذلك يعاني من مجموعة من الإكراهات التي تحول دون تطوره. لذلك فإن إشكالية هذه الدراسة تتمحور في سؤال مركزي أساسي: ما هو واقع وآفاق النشاط الزراعي بمجال الدراسة؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات فرعية، لعل أبرزها:

- ما مدى مساهمة الموقع الجغرافي في قيام النشاط الزراعي بالمجال؟
- إلى أي حد ساعد هذا النشاط في تحسين الإطار الاقتصادي والمعيشي للسكان؟
- ما هي إكراهات هذا النشاط، وما آفاقه المستقبلية؟

2.1.أهمية وأهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على واقع النشاط الزراعي بجماعتي الصفصاف وسيدي الكامل ومعرفة مدى مساهمته في التنمية المحلية، لذا حاولت هذه الورقة تحقيق الأهداف التالية:

- معرفة نقط القوة والضعف بالنشاط الزراعي.
- تحديد آفاق النشاط الزراعي بالمجال.
- تحديد الآليات المناسبة للرفع من مساهمة النشاط الزراعي في التنمية المحلية.

3.1. منهجية الدراسة

اقتضت منا طبيعة الدراسة إتباع المنهج الجغرافي عبر وصف مختلف الجوانب المتعلقة بالنشاط الزراعي وتفسير الآليات المتحكمة فيه، وصولا إلى التعميم. ثم المنهج الاستقرائي الذي انتقلنا فيه من الخاص، عبر دراسة حالة، إلى ما هو عام. كما تم الاعتماد على مجموعة من المراجع والمصادر ذات الصلة بالموضوع.

بالإضافة إلى اعتمادنا على العمل الميداني الذي شمل عينة مكونة من 218 أسرة، من أصل 6768 أسرة؛ أي ما يمثل 3,22% من مجموع الأسر بالجماعتين، وعلى أساس عينة تتكون

من 20% من مجموع أسر أربعة دواوير، روعي في اختيارها مجموعة من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية.

4.1. أهمية الموقع الجغرافي

تنتمي الجماعتان المدروستان إداريا إلى إقليم سيدي قاسم، جهة الرباط سلا القنيطرة. وتندرجان من الناحية الجغرافية ضمن قلب سهل الغرب، وبالضبط في المجال البينهري بين سبو وبهت.

ومن ناحية الجذور الإثنية، تشكل الجماعتان جزءا من قبيلة بني احسن، إحدى قبائل بني معقل التي استقرت بالمنطقة منذ القرن الثامن عشر.

تتخذان شكلا طوليا بموازاة نهر سبو (أنظر خريطة رقم 1). ويبلغ عدد سكانهما حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى الأخير لسنة 2014 55274 نسمة، مكونة من 8907 أسرة موزعة على 53 دوارا. وتحتلان مساحة تناهز 270 كلم مربع.

خريطة رقم 1: توطين مجال الدراسة

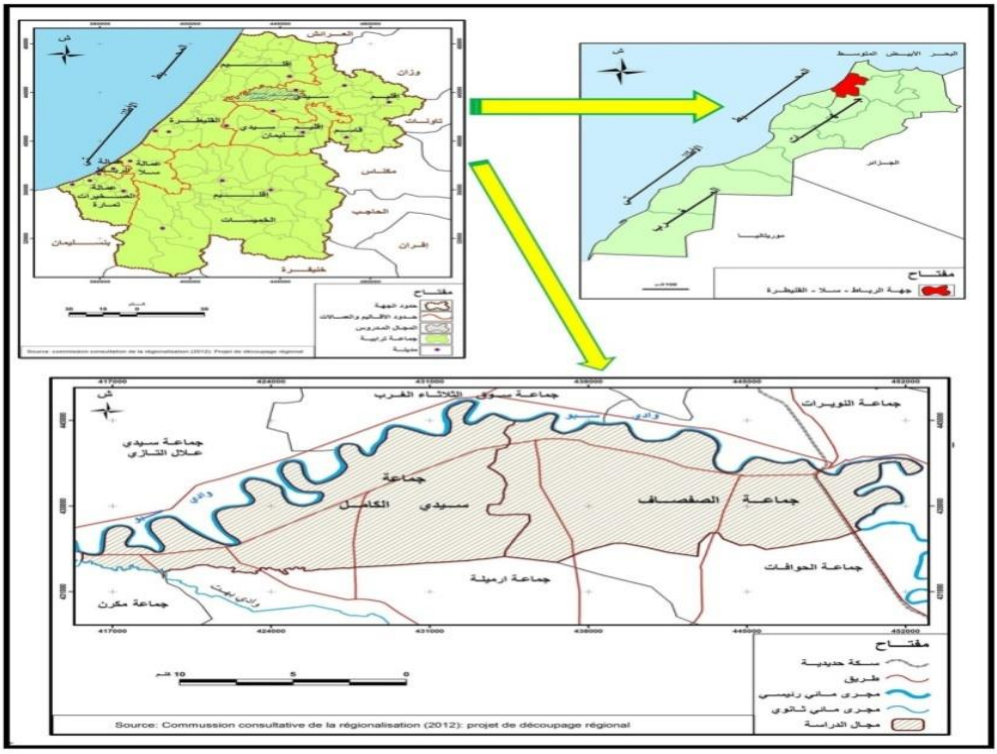

خول هذا الموقع الجغرافي المتميز لمجال لدراسة الاستفادة من مختلف التدخلات العمومية بعد الاستقلال، خاصة فيما يتعلق بالتجهيزات الهيدروفلاحية (مشروع سبو) والشبكة الطرقية اللتين تعتبران لبنة أساسية في تحقيق التنمية الزراعية.

كما أن لهذا الموقع دور مهم في تنوع المؤهلات الطبيعية؛ من طبوغرافية منبسطة، ومناخ متوسطي، وتربة متنوعة (الترس، الدهس، الفرشاش)، وموارد مائية سطحية (نهر سبو، واد

بهت) وجوفية (فرشة الغرب) هامة. وتشكل هذه المؤهلات أساس التنمية الزراعية، ومنطلقا أساسيا في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

2. واقع النشاط الزراعي بالمجال

1.2. بنية وتوزيع الحيازات الفلاحية بالدواوير المدروسة

تم تقسيم الحيازات الفلاحية بالدواوير المدروسة إلى أربع فئات: فئة أقل من ثلاثة هكتارات، فئة ما بين 3 و5 هكتارات، فئة ما بين 5 و10 هكتارات وفئة أكثر من 10 هكتارات.

جدول رقم 1: توزيع الحيازات الفلاحية بالدواوير المدروسة

الدوار	فئات الحيازة الفلاحية	عدد الحيازات	%	المساحة ب هـ	%	متوسط المساحة لكل حيازة
اولاد يوسف	أقل من 3 هـ	35	37,63	41,8	6,83	1,19
	3 - 5 هـ	24	25,81	82,5	13,47	3,43
	5 - 10 هـ	24	25,81	170	27,76	7,08
	أكثر من 10 هـ	10	10,75	318	51,94	31,8
المجموع الجزئي		93	100	612,3	100	6,58
اولاد نصر	أقل من 3 هـ	15	42,85	18,3	12,73	1,22
	3 - 5 هـ	12	34,29	41,5	28,86	3,45
	5 - 10 هـ	5	14,29	36	25,03	7,2
	أكثر من 10 هـ	3	8,57	48	33,38	16
المجموع الجزئي		35	100	143,8	100	4,10
الكدادرة	أقل من 3 هـ	19	54,28	18	17,80	0,94
	3 - 5 هـ	5	14,29	18,3	18,10	3,66
	5 - 10 هـ	10	28,57	53,8	53,22	5,38
	أكثر من 10 هـ	1	2,86	11	10,88	11
المجموع الجزئي		35	100	101,1	100	2,88
العتامنة	أقل من 3 هـ	47	85,45	50,9	54,21	1,08
	3 - 5 هـ	3	5,46	10,8	11,50	3,6
	5 - 10 هـ	4	7,27	20,4	21,72	5,1
	أكثر من 10 هـ	1	1,82	11,8	12,57	11,8

المجموع الجزئي		55	100	93,9	100	1,70
المجموع العام	أقل من 3 هـ	116	53,21	129	13,56	1,11
	3 - 5 هـ	44	20,18	153,1	16,1	3,47
	5 - 10 هـ	43	19,73	280,2	29,46	6,51
	أكثر من 10 هـ	15	6,88	388,8	40,88	25,92
المجموع الكلي		218	100	951,1	100	4,36

المصدر: البحث الميداني، يوليوز غشت، 2015.

يتضح، استنادا إلى معطيات الجدول، أن توزيع الأراضي بالدواوير المدروسة يعرف تباينا واضحا. فإذا كان متوسط المساحة لكل حيازة على الصعيد الوطني حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 هو 6,1 هكتار، فإن هذا المتوسط - إذا استثنينا دوار اولاد يوسف الذي يبلغ به 6,58 هكتار- يظل بعيدا كل البعد عن باقي الدواوير المدروسة؛ حيث يصل فقط إلى 4,10 هكتار بدوار اولاد نصر و2,88 هكتار بدوار الكدادرة، ولا يتعدى 1,70 هكتار بدوار العتامنة.

ولهذه الوضعية عواقب وخيمة على مستوى استخدام المكننة والتمويل والإنتاج، ولا تساعد على تحسين الظروف المعيشية لفئات عريضة من الفلاحين. وبالتالي لا يمكن للنشاط الزراعي وحده أن يكون هو المصدر الوحيد لتحقيق عيش هؤلاء، خاصة في ظل التغيرات المناخية التي أصبحت تعرفها البادية المغربية بصفة عامة، والتي يحتمل أن تزداد حدتها خلال العقود القادمة.

يلاحظ أيضا أن الحيازات الفلاحية الأقل من 3 هكتارات تمثل 53,21% من مجموع الحيازات المدروسة، ورغم ذلك فهي لا تحتكر سوى 129 هكتار من أصل 951,1 هكتار؛ أي ما يمثل 13,56% من المساحة الإجمالية وبمتوسط 1,11 هكتار لكل حيازة، وهو ما يطرح على هذه الفئة مجموعة من الصعوبات في تحقيق الحد الأدنى من العيش الكريم. أما الحيازات الفلاحية الأكثر من 10 هكتارات، بالرغم من أنها لا تمثل سوى 6,88% من مجموع الحيازات المدروسة، فإنها تحتكر 388,8 هكتار؛ أي ما يمثل 40,88% من المساحة الإجمالية و25,92 هكتار لكل حيازة وتستغل بشكل عصري.

وبشكل عام، يعرف توزيع الأرض تفاوتا واضحا بين مختلف الفئات الاجتماعية الريفية، نتج عنه ظهور مجتمع ريفي غير متجانس، يتحكم فيه عامل التملك. ففي قمة الهرم، تستأثر أقلية على رأسمال عقاري يتجاوز حاجياتها، وغالبا ما تمتهن تلك الأقلية أنشطة تزيد من قوتها وسلطتها السياسية والاقتصادية. وفي أسفل الهرم نجد فئة هي الأخرى غير متجانسة، تتكون من الملاكين الصغار، وتستغل ملكيات عائلية من أجل الاستهلاك الذاتي (ضايض حسن، 2012، ص145). وبذلك، فإن الأرض لم تعد فقط أداة للتنمية المحلية، بل عاملا منتجا للفوارق الاجتماعية.

2.2. تعدد الأوضاع القانونية للأرض، عرقلة للتنمية الزراعية

يشكل العقار أساس النشاط الزراعي. أفرز تطوره بالمنطقة المدروسة حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 عدة أوضاع قانونية متفاوتة من حيث المساحة؛ فمن مجموع 21519 هكتار

بالجماعتين (11420 هـ بجماعة الصفصاف و21519 هـ بجماعة سيدي الكامل)، احتل نظام الملك الخاص المرتبة الأولى بمساحة 11479 هكتار، أي ما يمثل 53,34%، متبوعا بأراضي الجموع بنسبة 33,45% بمساحة قدرت بـ 7199 هكتار، في حين احتل الملك العام المرتبة الثالثة بنسبة 13,12% وذلك بمساحة ناهزت 2824 هكتار. بينما أراضي الأحباس والجيش مجتمعين لم يحتلوا سوى 0,09% بمساحة لا تتعدى 17 هكتار. وتشكل هذه التعددية العقارية عقبة أمام عصرنة وتطوير النشاط الزراعي، لكونها لا تمنح الضمانات الكافية للفلاحين لتكثيف الاستغلال والاستثمار.

وعند دراستنا لمعطيات البحث الميداني وجدنا فقط ثلاثة هياكل عقارية، ناتجة عن التطور التاريخي الذي كانت ترجع فيه الهيمنة للملكية الجماعية قبل دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة.

جدول رقم 2: توزيع البنية العقارية حسب الدواوير المدروسة بالهكتار

الجماعة	الدوار	الملك		الجموع		أراضي الدولة		مجموع المساحة
		المساحة	%	المساحة	%	المساحة	%	
الصفصاف	اولاد يوسف	164.7	26,90	399.8	65,29	47.8	7,81	612.3
	اولاد نصر	129.2	89,85	5.1	3,55	9.5	6,60	143.8
المجموع الجزئي		293.9	38,87	404.9	53,55	57.3	7,58	756.1
سيدي الكامل	الكدادرة	25.4	25,12	65.4	64,69	10.3	10,19	101.1
	العتامنة	00	00	66.2	70,50	27.7	29,50	93.9
المجموع الجزئي		25.4	13,02	131.6	67,49	38	19,49	195
المجموع الكلي		319.3	33,57	536.5	56,40	95.3	10,02	951.1

المصدر: البحث الميداني، يوليوز غشت، 2015.

الملاحظ أن أراضي الجموع تشكل أكثر من نصف المساحة المدروسة، أي ما يمثل 56,40% من مجموع الأراضي بالدواوير المدروسة، لكنها تعرف تباينا واضحا بين مختلف الدواوير. فإذا كانت مثلا هذه الأراضي تشكل 65,29% من المساحة المدروسة بدوار اولاد يوسف و64,69% بدوار الكدادرة و70,50% بدوار العتامنة، فإنها لا تمثل من مساحة دوار اولاد نصر سوى 3,55%. ويعاني هذا النوع من الأراضي من مجموعة من المعوقات القانونية والاجتماعية والتمويلية التي تحول دون الاستثمار الأمثل للإمكانيات المهمة التي يتيحها. لذلك باشرت الجهات المعنية خلال الشهور الأخيرة القيام بالدراسات اللازمة من أجل التمليك الفردي لهذا النوع من العقار في المناطق السقوية، مع مجانية هذا التمليك.

أما أراضي الملك الخاص، فإنها تمثل 33,57% من مجموع الأراضي بالدواوير المدروسة؛ أي بمساحة تقدر بـ 319,3 هكتار، ولا تشكل أي عقبة أمام التنمية الزراعية، وتؤمن لصاحبها حق

التصرف فيها بكل حرية، غير أن معظمها غير محفظ. بينما أراضي الدولة فلا تمثل سوى % 10,02 من مجموع الأراضي بالدواوير المدروسة وبمساحة لا تتعدى 95,3 هكتار.

وقد أجمعت كل الدراسات على أن لهذه الأوضاع القانونية آثارا مباشرة على التنمية الفلاحية، ذلك أن بعض هذه الأشكال، تعرقل تطور بنيات الإنتاج الفلاحي وتحول دون مسايرة التحولات العميقة التي تعرفها المشاهد الزراعية والحياة الريفية (بوشلخة محمد، 2007، ص158).

3.2. تشتت الحيازة الفلاحية يؤثر سلبا على الإنتاج

يؤثر تشتت الحيازة الفلاحية سلبا على الفلاح من حيث طرق استغلاله للأرض وخدمتها، ومن ثمة تقليص مردوديتها. فقد بلغ عدد القطع الأرضية بالجماعتين المدروستين حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 حوالي 18424 قطعة، منها 9325 قطعة بجماعة الصفصاف و9099 قطعة بجماعة سيدي الكامل. وتتوزع هذه القطع على 3384 استغلالية؛ أي ما يعادل 68,2 قطعة لكل استغلالية بمساحة معدلها 1,37 هـ لكل قطعة، وهو ما يشكل حاجزا أمام استفادتها من التطور التكنولوجي، وبالتالي يحد من إنتاجيتها ومردوديتها.

وعند دراستنا لمعطيات البحث الميداني وجدنا أن هذه الوضعية لم تتغير كثيرا؛ فقد تبين أن عدد القطع الأرضية بالدواوير المدروسة بلغ 659 قطعة موزعة على 218 حيازة فلاحية؛ أي ما يعادل 3,02 قطعة لكل حيازة بمساحة معدلها 1,44 هـ للقطعة، وهي معدلات قريبة من إحصاء 1996، لكن مع وجود تفاوت واضح في معدلات هذه القطع بين مختلف الدواوير.

جدول رقم 3: توزيع قطع الحيازات الفلاحية بالدواوير المدروسة

الجماعة	الدواوير	الحيازات الفلاحية وعدد قطعها			معدل عدد القطع لكل حيازة
		عدد الحيازات	عدد القطع	النسبة المئوية	
الصفصاف	اولاد يوسف	93	383	82,54	4,11
	اولاد نصر	35	81	17,46	2,31
المجموع الجزئي		128	464	100	3,62
سيدي الكامل	الكدادرة	35	93	47,69	2,65
	العتامنة	55	102	52,31	1,85
المجموع الجزئي		90	195	100	2,16
المجموع العام		218	659	100	3,02

المصدر: البحث الميداني، يوليوز غشت، 2015.

الملاحظ أن عدد القطع الأرضية مرتفع بكل من دوار اولاد يوسف ودوار العتامنة؛ تصل بالأول إلى 383 قطعة، أي بمعدل 4,11 قطعة لكل حيازة، بينما تصل بالثاني إلى 102 قطعة وبمعدل 1,85 قطعة لكل حيازة. في حين، تصل بدوار اولاد نصر إلى 81 قطعة وبمعدل 2,31 قطعة لكل حيازة، وبدوار الكدادرة 93 قطعة وبمعدل 2,65 قطعة لكل حيازة فلاحية. وضع كهذا،

يشكل عرقلة أمام عصرنة النشاط الزراعي وتكثيف الإنتاج، حيث ضياع الجهد بين القطع الأرضية.

ومن نتائج تشتت قطع الحيازات: إقامة مزيد من المسالك لولوجها والتي تقتطع من مساحات هذه القطع لتتحول مع توالي الأجيال والحقب إلى قطع متناهية في الصغر غير مؤهلة لتشغيل كل أفراد الأسرة وللتكثيف الزراعي الذي يؤدي إلى تطوير المردودية (الأكحل المختار، 2004، ص239)، وهو ما يدفع بأصحاب هذه القطع إما إلى بيعها وهجرة البادية، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التزايد الكبير الذي يحدث في تكاليف وسائل الإنتاج، أو التعاطي لممارسة أنشطة أخرى كمورد أساسي للعيش.

والواقع أن هناك قانونا تحت رقم 34.94 المتعلق بالحد من تقسيم الأراضي الفلاحية الواقعة داخل دوائر الري ودوائر الاستثمار بالأراضي الفلاحية غير المسقية، يحدد حسب المادة الثانية منه "مساحة الاستغلال الدنيا في دوائر الري بخمسة هكتارات" (الجريدة الرسمية، عدد 4323، ص2441). إلا أن السكان المحليون لا يبالون لمقتضيات هذا القانون؛ فالورثة يجب أن ينالوا حقهم من كل ملكية هي عرضة للتقسيم، حتى وأن كانت بدون تصريحات رسمية، مع ما ينتج عنها، أحيانا، من نزاعات بين أفراد الأسرة الواحدة.

4.2. هيمنة الحيازات الفلاحية المسقية على البورية

يوجد بمجال الدراسة نوعين من الزراعة؛ الأولى بورية، تخضع لتقلبات الظروف المناخية، والثانية سقوية، ناتجة عن التجهيزات الهيدروفلاحية. وأهم ما يميز الزراعة الثانية هو الامتداد المجالي الكبير لها. فإذا كان هناك شبه تساوي ما بين الزراعتين حسب نتائج الإحصاء الفلاحي لسنة 1996، فإن معطيات البحث الميداني أثبتت أن هناك زحفا واضحا للمساحة المسقية على حساب المساحة البورية، حيث أصبحت الأولى تمثل 66,35%، بينما لم تعد الثانية تمثل سوى 33,65%.

جدول رقم 4: توزيع الحيازات الفلاحية حسب الأراضي المسقية والبورية بالهكتار

فئات الحيازات الفلاحية	عدد الحيازات	الأراضي المسقية		الأراضي البورية		المجموع	
		المساحة	%	المساحة	%	المساحة	%
أقل من 3 هـ	116	103,8	80,47	25,2	19,53	129	13,56
3 - 5 هـ	44	104,7	68,39	48,4	31,61	153,1	16,1
5 - 10 هـ	43	177,8	63,45	102,4	36,55	280,2	29,46
أكثر من 10 هـ	15	244,8	62,96	144	37,04	388,8	40,88
المجموع	218	631,1	66,35	320	33,65	951,1	100

المصدر: البحث الميداني، يوليوز غشت، 2015.

يتضح من خلال مؤشرات الجدول مدى هيمنة القطاع السقوي على القطاع البوري في جميع فئات الحيازات الفلاحية. يصل، على سبيل المثال، بالحيازات الأقل من 3 هـ إلى 80,47%

والأكثر من 10 هـ إلى 62,96% والمتوسطة ما بين 5 و10 هـ إلى 63,45% من مجموع مساحتهما المدروسة. نفس الأمر ينطبق على القطاع البوري، فهو متركز بالحيازات الكبرى التي تفوق 10 هـ بنسبة 37,04% والفئات المتوسطة ما بين 5 و10 هـ بنسبة 36,55% من مجموع مساحتهما المدروسة، تليها الحيازات التي تتراوح ما بين 3 و5 هـ بنسبة 31,61%.

نستنتج من خلال استقرائنا لهذه المؤشرات، أن هناك تفوق واضح للمساحة المسقية على البورية بفارق 32,7%؛ ذلك أن القطاع السقوي يستفيد من التجهيزات الهيدروفلاحية، ومن استغلال مياه نهر سبو وواد بهت من قبل العديد من الفلاحين الذين يعتبرون أن الأراضي المسقية أكثر مردودية مقارنة مع نظيراتها البورية. فمن يتوفر مثلا على هكتارين بالأراضي السقوية ستكون وضعيته أحسن بكثير ممن يتوفر على 5 هكتارات بالأراضي البورية، باعتبار أن الماء هو المحرك الأساسي للنشاط الزراعي، وهو ما يفسر أهمية القيمة النقدية للأراضي المسقية على البورية.

والحال أن المنطقة المدروسة تدخل ضمن الشطر الأول للري الذي تم تجهيزه بالكامل خلال الفترة الممتدة ما بين 1968 و1978، وكان من المفروض - على إثر هذا التجهيز- أن تكون كل الأراضي الصالحة للزراعة بالجماعتين سقوية، لكن هناك عدة أسباب حالت دون تحقيق ذلك، منها تدهور قنوات السقي، وارتفاع تكلفة مياه السقي كما سنراها لاحقا.

3. عوامل الإنتاج ودورها في تحولات النشاط الزراعي

يقصد بعوامل الإنتاج الأرض ورأس المال والعمل والتقنية والمخصبات والماء... إلخ. تتفاعل هذه العوامل فيما بينها لإنتاج المحاصيل الزراعية؛ فالاهتمام بمكننة الزراعة والاستعمال الأمثل للمدخلات الفلاحية وتوفير اليد العاملة، إلى جانب توفير الدعم المالي ومياه السقي للفلاحين، عوامل ضرورية للنهوض بالنشط الزراعي والرفع من مردوديته، ولها تأثير كبير على الفلاح من حيث دخله ووضعيته الاجتماعية، ومن شأن حسن استعمالها تكثيف النشاط الزراعي والارتقاء بأدائه لتحقيق الأهداف المتعلقة بالأمن الغذائي والاستقرار الاجتماعي.

1.3. هيمنة اليد العاملة المأجورة على اليد العاملة العائلية

تعتبر اليد العاملة المحرك الرئيسي لعملية الإنتاج في النشاط الزراعي، ونميز فيها بين نوعين: العائلية والمأجورة، الدائمة والموسمية. وتشير النتائج التي أسفر عنها الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 إلى أن جل الحيازات الفلاحية بالمجال كانت تستخدم أيدي عاملة عائلية بنسبة 94,52% مقابل 5,48% كيد عاملة مأجورة. لكن بعد مرور حوالي 20 سنة عن هذا الإحصاء، أبانت نتائج البحث الميداني عن تفوق اليد العاملة المأجورة على اليد العاملة العائلية بفارق 16,1%.

جدول رقم 5: توزيع اليد العاملة حسب فئات الحيازة الفلاحية بالدواوير المدروسة

فئات الحيازة الفلاحية	عدد الحيازات	عائلية		مأجورة		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%
أقل من 3 هـ	116	211	62,06	129	37,94	340	25,56
3 - 5 هـ	44	113	42,32	154	57,68	267	20,07
5 - 10 هـ	43	159	39,16	247	60,84	406	30,53
أكثر من 10 هـ	15	75	23,66	242	76,34	317	23,84
المجموع	218	558	41,95	772	58,05	1330	100

المصدر: البحث الميداني، يوليوز غشت، 2015.

تبين معطيات الجدول -إذا استثنينا الفئة الأقل من 3 هكتارات- على أن هناك هيمنة واضحة لليد العاملة المأجورة بجميع فئات الحيازات الفلاحية؛ إذ من مجموع 1330 عاملا، نجد 772 عاملا يشتغل ضمن اليد العاملة المأجورة؛ أي ما يمثل 58,05% من مجموع اليد العاملة، مقابل 41,95% من اليد العاملة العائلية.

والملاحظ كذلك أن تشغيل اليد العاملة المأجورة يختلف باختلاف حجم الحيازات الفلاحية؛ فهي تتركز بالحيازات الفلاحية الكبرى وتقل كلما توجهنا نحو الحيازات الفلاحية الصغرى. هكذا، تصل بالحيازات الأكثر من 10 هـ نسبة 76,36% والمتراوحة ما بين 5 و10 هـ نسبة 60,84% والمتراوحة ما بين 3 و5 هـ نسبة 57,68%. وكلما اتجهنا نحو الحيازات الفلاحية الصغرى الأقل من 3 هـ إلا وتركزت اليد العاملة العائلية (62,06%) وقلت اليد العاملة المأجورة (37,94%).

ويفسر الإقبال الكبير لليد العاملة المأجورة بالحيازات الفلاحية الكبرى بحجم وسائل الإنتاج التي يملكها أصحاب هؤلاء الحيازات (المساحات الشاسعة للأراضي، الإمكانات المادية...). وتشتغل هذه الفئة من العمال في أعمال السقي وجني المحصول الزراعي، كما أنها تشغل بشكل متقطع خلال السنة، وتزداد أهميتها خلال فترات السقي واقتلاع الشمندر السكري وجني الأشجار المثمرة.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن المرأة تشكل عنصرا حيويا في هذا القطاع؛ فبعدما كان دورها في المجتمع التقليدي مقتصرا على العمل المنزلي وتربية الأبناء، فقد أصبحت اليوم أكثر دينامية، إذ تعمل على الاشتغال في الحقل وتحلب الأبقار وتنظف الإسطبلات، وأحيانا تذهب إلى السوق للتبضع. غير أن هذا العمل لا يتم احتسابه وتقييمه من قبل الإحصاءات العامة، وهذا ما يترجم عدم إعطاء قيمة للعمل الأنثوي داخل القرى، فهو عمل مجاني، شاق ومتعب وحيوي بالنسبة للدولة (العوداتي نزهة، 2013، ص99).

2.3. تمويل القطاع الفلاحي في مجمله تمويل ذاتي

يكتسي النظام المالي أهمية حاسمة في تحديث النشاط الزراعي. لهذا الغرض، تم إحداث الصندوق الوطني للقرض الفلاحي الذي أنشئ سنة 1961 كهيئة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، ويخضع من الناحية الإدارية لوزارة الفلاحة. واستهدفت الدولة من وراء إحداثه تطوير المستغلات الفلاحية من خلال تخصيص قروض مناسبة للاستثمار والاستغلال لفائدة العالم القروي (المجلس الوطني للشباب والمستقبل، 2000، ص57،56).

ويعتبر الفلاحون أهم زبناء القرض الفلاحي، إلا أن الشروط التي يضعها هذا الأخير على طالب القرض تتطلب مجموعة من الضمانات الكافية للحصول عليه. لذلك فإن جل الفلاحين بالمجال لا يستطيعون تقديم هذه الضمانات؛ فأراضي الجموع والدولة لا تمثلان ضمانا كافيا، وإذا ما أضفنا إليهما سيادة الاستغلاليات الصغيرة تصبح الصعوبة أكثر بكثير في الحصول على هذا التمويل.

جدول رقم 6: مصادر التمويل حسب فئات الحيازات الفلاحية بالدواوير المدروسة

فئات الحيازة الفلاحية	عدد الحيازات	تمويل ذاتي		تمويل ذاتي، قرض فلاحي	
		العدد	%	العدد	%
أقل من 3 هـ	116	114	98.82	2	2,72
3 - 5 هـ	44	39	88,64	5	11,36
5 - 10 هـ	43	37	86,05	6	13,95
أكثر من 10 هـ	15	8	53,33	7	46,67
المجموع	218	198	90,83	20	9,17

المصدر: البحث الميداني، يوليوز غشت، 2015

يتبين من خلال نتائج البحث الميداني أن مصادر تمويل الفلاحين في مجملها تمويلات ذاتية بنسبة 90,83%، مقابل 9,17% من الذين يتعاملون مع مؤسسة الصندوق الوطني للقرض الفلاحي. كما أن جل المتعاملين مع هذه المؤسسة حيازتهم الفلاحية تتجاوز 10 هكتار بنسبة 46,67%، وتقل كلما توجهنا نحو الحيازات الفلاحية الصغرى لتصل فقط إلى 2,72% بالحيازات الفلاحية الأقل من 3 هكتارات، وهو ما لا يسمح لأصحابها بالرفع من إنتاجياتهم وتنافسيتهم.

هكذا، يمكن القول بأن تمويل المشاريع الفلاحية عن طريق القروض يعطى على أساس ما في حوزة الفلاح من أملاك، وفي مقدمتها حجم ملكية الأرض. لذلك يحدث إقصاء عملي للفلاحين الصغار والمحرومين من الأرض الاستفادة من هذه القروض. كما أن الذين يستفيدون بنصيب الأسد من هذه القروض، هم الفلاحون المتوسطون والكبار. ونفس الشيء ينطبق على المساعدات المقدمة من طرف الدولة للقطاع الفلاحي، خاصة القطاع السقوي منه (كرزازي موسى، 1988، ص97).

وعموما، فإذا كانت شروط توزيع القرض الفلاحي تتحدد وفق مجموعة من الشروط كما رأيناها سابقا، فإن فئة قليلة، محظوظة، هي التي استطاعت أن تفهم هذا المنطق وتستفيد وتحتكر هذه

القروض. وبهذا، فإنها تقوي مدخولها الاقتصادي ومركزها الاجتماعي، في حين يبقى مردود الاستغلاليات الصغرى على ما هو عليه. ذلك ما يجعلنا نستنتج بأن سياسة القرض الفلاحي تعمل على إعادة إنتاج التمايز الاجتماعي، بل وتقويته ليزداد عمق الهوة بين الفلاحين الكبار المحتكرين للقروض وبين الفلاحين الصغار ذوي المردودية المحدودة (بورقية رحمة، 1991، ص186).

3.3. تعميم استعمال المكننة بالحيازات الفلاحية

يشكل استعمال آلتي الجرار والحصاد - إلى جانب الوسائل التقنية الأخرى - وسيلتين ضروريتين في النشاط الزراعي؛ فهم يوفران الوقت، ويحرران الفلاحين من العمل الشاق والمتعب، ويرفعان من إنتاجية المحاصيل الزراعية. فحسب نتائج الإحصاء الفلاحي لسنة 1996، نجد أن من مجموع 3384 استغلالية زراعية، وصل منها عدد الاستغلاليات التي تستعمل الحرث بالجرار إلى 3223 استغلالية (1440 استغلالية بجماعة الصفصاف و1783 استغلالية بجماعة سيدي الكامل)، والتي تستعمل آلة الحصاد إلى 3218 استغلالية (1438 استغلالية بجماعة الصفصاف و1780 استغلالية بجماعة سيدي الكامل). هكذا نجد أن نسبة المكننة لأشغال التربة بالجماعتين المدروستين وصلت إلى **95,24%** وفي الحصاد وصلت إلى **95,09%**.

أما نتائج البحث الميداني، فقد أظهرت أن جميع الحيازات الفلاحية تستعمل هذه الآلات بنسبة **100%**، مما يعكس عمق التحولات التي مست التقنيات الزراعية، التي ساهمت بدورها في إحداث تغييرات هامة انعكست إيجابا على الإنسان والمجال. لكن رغم هذا التحول نحو استعمال الآلة، فإن هذا لا يمنع، أحيانا، من استعمال بعض الوسائل التقليدية، مثل استعمال المحراث التقليدي بواسطة البغال في تهوية التربة كما هو بارز في الصورة التالية:

صورة رقم 1: إحدى الطرق التقليدية المستعملة في فتح مسامات التربة

المصدر: البحث الميداني، يوليوز 2015.

4.3. تعميم استعمال المدخلات الفلاحية

يشكل الاستعمال الرشيد للأسمدة والأدوية والبذور المختارة ذات الجودة العالية أهمية بالغة في النشاط الزراعي؛ إذ أنها تقوم بالرفع من تكثيف الإنتاج وتحسن من جودته. وتشير النتائج التي

أسفر عنها الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 إلى أن عدد الاستغلاليات الزراعية التي تستعمل الأسمدة والبذور المختارة والمبيدات بالجماعتين وصلت على التوالي إلى: 3210 و3021 و3197 من مجموع 3384 استغلالية. هكذا نجد أن **94,86%** من الاستغلاليات تستعمل الأسمدة و**89,27%** تستعمل البذور المختارة و**94,47%** تستعمل المبيدات، وهي نسب تفوق ما هو مسجل على المستوى الوطني (الأسمدة **51,2%** والبذور المختارة **16,1%** والمبيدات **33%**). ويعكس هذا التفوق عمق التحولات التي مست المجال الزراعي بمنطقة الدراسة.

أما نتائج البحث الميداني، فقد كشفت عن تعميم استعمال هذه المدخلات بجميع فئات الحيازات المدروسة، وهو ما يشير إلى أن القطاع الفلاحي يسير في طريقه نحو مزيد من التحديث والعصرنة. غير أن الكمية المستعملة في هذه الحيازات تختلف من حيازة فلاحية لأخرى، تبعا لعدة عوامل، أهمها نوعية المزروع والمساحة المزروعة.

5.3. مياه السقي قاطرة التنمية الزراعية بالمجال

تمثل مياه السقي عاملا حاسما في تنمية وتطوير النشاط الزراعي والضامن الرئيسي لاستدامته، ويمكن كذلك أن تكون العائق الأكبر لهذه التنمية إذا ما تم التعامل معها على أنها مورد غير قابل للنفاذ، أو إذا زاد ثمن بيعها للفلاحين من طرف المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب عن الحد المسموح به. كيف ذلك؟

طرق ومصادر مياه السقي

طرق السقي كثيرة ومتنوعة (السقي بالغمر، بالرش، الموضعي...). لكن هناك شبه إجماع بالدواوير المدروسة - إذا ما استثنينا الأشجار المثمرة التي غالبا ما تسقى بالري الموضعي- على السقي بالغمر؛ أي الغمر الكلي أو الجزئي للأرض بالمياه لتوفير حاجة المحاصيل الزراعية من المياه، ويعد هذا النوع من السقي من الطرق التقليدية الأقل كفاءة مقارنة مع الأنواع الأخرى، لأنه سهل لا يحتاج إلى إلمام مهم بتقنيات السقي، لكنه في الوقت ذاته أكثر استهلاكا وضياعا للموارد المائية.

وتجدر الإشارة، في هذا الصدد، إلى أن عملية السقي لا تتم كلها من قنوات السقي التابعة للمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب، بل تتم كذلك باستغلال مياه نهر سبو وواد بهت، خاصة من طرف الفلاحين الذين يمتلكون الاستغلاليات القريبة من هذه الأودية. فحسب معطيات البحث الميداني وجدنا أن 31 حيازة فلاحية من أصل 218 تسقى من هذه الأودية؛ أي ما يمثل 14,22% من مجموع الحيازات المدروسة.

صورة رقم 2: محرك للضخ المباشر من نهر سبو بدوار العتامنة

المصدر: البحث الميداني، غشت 2015.

لكن في ظل الواقع المائي المتسم بمحدوديته، ليس بمجال الدراسة فحسب وإنما بالتراب الوطني ككل، وكذا تصدع وتلاشي التجهيزات الهيدروفلاحية وعدم صيانتها باستمرار، يبقى الاقتصاد في استعمال مياه السقي رهان المستقبل. لذلك، فالطريقة المثلى لتحقيق هذا الرهان هي السقي الموضعي أو السقي بالرش، واستصلاح التجهيزات الهيدروفلاحية، وكذلك تأطير وتكوين الفلاحين والعمل على تحسين وضعيتهم، وترسيخ روح المسؤولية الفردية والجماعية اتجاه هذا المورد الناذر والهام في أي تحول زراعي.

ارتفاع كلفة مياه السقي

قام المغرب منذ ستينيات القرن الماضي بتفويض تسيير وتدبير مياه السقي بالمنطقة إلى المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب. وقد تميزت تدخلات هذا المكتب في البداية بدعم بيع هذه المياه للفلاحين، والتي لم تكن تتعدى 30 درهما للساعة الواحدة في تسعينيات القرن الماضي حسب رأي المستجوبين. غير أن القاعدة التي أصبح معمولا بها حاليا هي مبدأ الثمن الحقيقي للمياه؛ أي ربط ثمن الماء بكلفة الاستغلال والصيانة، وهو ما نتج عنه ارتفاع غير مسبوق في ثمن هذا المورد، الذي يصل اليوم حسب الدراسة الميدانية إلى 50 درهما للساعة الواحدة في الزراعات المدعمة (الزراعات السكرية، والأرز)، ويتعدى ذلك في بعض الزراعات.

لذلك، فإن جل الفلاحين المستجوبين عبروا عن التكلفة المرتفعة لهذه المياه، لدرجة أن البعض منهم - خاصة صغار الفلاحين- تخلى نهائيا عن السقي بعدما تراكمت عليهم ديون هذه المياه، نظرا لضعف إمكانياتهم وعدم قدرتهم على تحمل تكاليفه الآخذة في الارتفاع؛ أي بعد انتهاء هؤلاء الفلاحين من جمع محصولهم الزراعي، وبعد أداء ثمن مياه السقي، فإن هامش الربح يبقى

لهم ضعيفا إلى منعدما في بعض الأحيان، أو بمعنى آخر أن ارتفاع ثمن مياه السقي أدى مباشرة إلى ارتفاع تكلفة الإنتاج.

هكذا يتضح أن ماء السقي انتقل من قيمة محلية اجتماعية واقتصادية لفائدة المزارعين إلى مبدأ الماء كعامل ربح ومضاربة على حساب هؤلاء المزارعين لفائدة السلطة الرسمية التي أصبحت أول منتج للماء تشرع سعره وتقرر وتنظم مسالك توزيعه وتتحكم فيه طبقا لإرادتها مقصية بذلك الفلاحين أول المعنيين بهذا المورد الناذر والهام (جلالية الحبيب، 2008، ص110)، وهو ما يحد من تطور النشاط الزراعي بالمجال.

4. إنتاج زراعي متنوع يشهد تحولات سريعة

كان يغلب على منطقة سهل الغرب قبل دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة طابع الإنتاج التقليدي الذي يعتمد على الزراعة البعلية. لكن بعد هذه المرحلة، والشروع في تنفيذ مشروع سبو، تطورت أساليب الإنتاج وتغيرت السلوكات الإنتاجية للفلاحين ومعها المشهد الزراعي، فمعطيات البحث الميداني تشير اليوم إلى انتشار عدة أنواع من المزروعات. ورغم أن الهيمنة لازالت لزراعة الحبوب كما كان سائدا في تسعينيات القرن الماضي حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1996، فإن التوجه الحالي يسير في اتجاه المزروعات والمغروسات الأكثر مردودية.

جدول رقم 7: أنواع المزروعات بالحيازات الفلاحية المدروسة

أنواع المزروعات	أقل من 3 هـ	3 - 5 هـ	5 – 10 هـ	أكثر من 10 هـ	المجموع	
	المساحة	المساحة	المساحة	المساحة	المساحة	%
الحبوب	54,8	79,1	151,1	236	521	54,78
الشمندر السكري	17,7	26,6	57,5	52	153,8	16,17
قصب السكر	7,4	10,1	12,6	16	46,1	4,85
الفصة، برسيم	42,3	37,3	43,5	34,8	157,9	16,60
الخضروات	2,6	00	0,5	00	3,1	0,33
الأشجار المثمرة	4,2	00	15	50	69,2	7,27
المجموع	129	153,1	280,2	388,8	951,1	100

المصدر: البحث الميداني، يوليوز غشت، 2015.

الملاحظ أن مزروعات الحبوب (القمح الطري، القمح الصلب، الشعير، الذرة والأرز) تحتل المرتبة الأولى من حيث المساحة المزروعة بنسبة 54,78% من المساحة الإجمالية. وإذا ما استثنينا زراعة الأرز التي تتطلب كمية وافرة من المياه أثناء نموها، فإن باقي المزروعات غير مكلفة ولا تتطلب عناية فائقة، وتبقى حصيلتها متذبذبة من سنة لأخرى. أما المزروعات السكرية التي تحتل مكانة مركزية داخل النسق الزراعي بالمجال، فإنها تمثل المرتبة الثانية من حيث المساحة بنسبة 21,02%، تمثل فيها زراعة قصب السكر فقط 4,85%. وبالرغم من الاهتمام الكبير التي توليه الدولة لهذه المزروعات، فإن إنتاجيتها تبقى ضعيفة ولا ترقى إلى التطلعات المنشودة.

أما مساحة المزروعات العلفية، فإنها تقدر بـ 157,9 هكتار؛ أي ما يوازي 16,60% من المساحة المدروسة، وتأتي هذه المساحة في سياق مع انعدام المراعي الطبيعية، وتنامي الاهتمام بتسمين المواشي وإنتاج الحليب. وفيما يخص الأشجار المثمرة، فإنها تشهد حاليا تحولات مهمة، تكمن في تزايد مساحتها، وتنامي الإقبال عليها، وتتشكل أساسا من "الحوامض والتفاح والخوخ"، وتمتد على مساحة 69,2 هكتار من مجموع المساحة المدروسة؛ أي ما يعادل 7,27%، وتنتشر على وجه الخصوص على طول ضفاف نهر سبو، وأحيانا بجانب الطريق رقم 4234 الرابطة بين مشرع بلقصيري وسيدي علال التازي. وتتركز بالحيازات الفلاحية الكبرى التي تفوق 10 هكتارات بنسبة 72,25%، وتعد من المزروعات الواعدة في المستقبل المنظور.

وأخيرا نجد مزروعات الخضر التي تنتشر على مساحة ضيقة جدا، لا تتجاوز 3,1 هكتار؛ أي فقط نسبة 0,33% من مجموع المساحة المدروسة، وتتركز بالحيازات الفلاحية الأقل من 3 هكتارات بنسبة 83,87%، وتعتمد على السقي بالدرجة الأولى، وحصيلتها تبقى في مجملها جيدة، ويتم تسويقها في الأسواق الأسبوعية بالمنطقة.

وبشكل عام، تبقى المزروعات بالجماعتين متنوعة، تتفاوت محاصيلها، ومن ثمة مداخيلها، من حيازة فلاحية لأخرى، تبعا لعدة عوامل، أهمها: نوعية التربة، طبيعة السطح، استعمال المدخلات الفلاحية، بورية أو سقوية، طريقة السقي المعتمدة...إلخ.

5. سبل وآفاق تطوير النشاط الزراعي بالمجال

يشكل النشاط الزراعي بالأرياف المغربية الركيزة الأساسية للأمن الغذائي والاستقرار الاجتماعي. ويتوفر هذا النشاط بالمجال المدروس -كما سبقت الإشارة إلى ذلك- على مؤهلات طبيعية غنية (انبساط السطح، جودة وتنوع التربة، مناخ متوسطي، موارد مائية سطحية وجوفية مهمة)، ساهمت، إلى جانب عوامل أخرى (تقنية وتنظيمية)، في تطويره وتحديثه. لكن رغم أهمية هذا التحديث، فإن هذا النشاط لا زال يعاني العديد من الصعوبات التي تكبح من تطوره وتحد من قدرته الإنتاجية والتنافسية، وتطرح عليه تحديات جسيمة في المستقبل، من قبيل: تعدد الوضعية العقارية للأرض، وصغر حجم الحيازات الفلاحية وتجزئها، وارتفاع كلفة مياه السقي، وضعف الاستفادة من القروض الفلاحية، وتدهور قنوات السقي، وتزايد حدة التقلبات المناخية خلال العقود الأخيرة. الشيء الذي يستدعي نهج إصلاح زراعي شامل يأخذ بعين الاعتبار، على الأقل، المقترحات التالية:

- الحد من تجزيء الأراضي الفلاحية، من خلال ضمها في شكل مجموعة واحدة (bloc)، مما سيمكن الفلاحين من الاستغلال الأمثل لحيازتهم الفلاحية.
- رد الاعتبار للتأطير والإرشاد الفلاحيين، خاصة فيما يتعلق باحترام الدورة الزراعية والاستخدام الأمثل للمدخلات الفلاحية، مع تثمين مهارات الفلاحين وتأهيلهم.
- إعادة النظر في أثمنة مياه السقي، ومراعاة وضعية الفلاحين - خاصة الصغار منهم- في أي زيادة، مع إدخال مزيد من الأساليب والتقنيات المتطورة والعصرية للرفع من الإنتاج.
- خلق وحدة للتبريد والتخزين لمنتجات الأشجار المثمرة، خاصة وأن هذه الأخيرة مساحتها في تزايد مستمر، وأنها سلعا سريعة التأثر والتلف.
- تعميم مياه السقي على جميع الأراضي الزراعية عن طريق استصلاح قنوات السقي المتصدعة والمتلاشية وتشييد قنوات أخرى.
- تمليك أراضي الجموع لذوي الحقوق لكي تواكب تحولات النشاط الزراعي، مع إقرار استفادة المرأة من هذه الأراضي، وتعميم التحفيظ العقاري.
- تشجيع الفلاحين على تأمين مزروعاتهم بثمن مناسب لتعويضهم في حال إلحاق أي ضرر بها (فيضانات، جفاف، حرائق...).
- إيجاد نظام تعاقدي متوافق عليه بين منتجي الزراعات السكرية وأرباب الصناعة، يضمن أثمانا دنيا تراعي ارتفاع كلفة عوامل الإنتاج بهدف تلافي الاضطرابات في تموين المعامل بالمواد الفلاحية، وبالتالي الاستعمال الأمثل للطاقة الإنتاجية للوحدات الصناعية والحيازات الفلاحية (الكيحل أحمد، 2010، ص129).
- إعادة النظر في المساطر المتبعة في الحصول على القروض الفلاحية، من خلال منح القروض لذوي الحقوق المستغلين للأراضي الجماعية وأصحاب الملكيات الصغرى، وبفوائد مناسبة لقدراتهم المادية.
- استصلاح المسالك الفلاحية، بغية تمكين الفلاحين من الوصول إلى أراضيهم في أحسن الظروف، خاصة خلال فصل الشتاء، وتسهيل تصريف محصولهم الزراعي إلى الأسواق.
- تطوير الإطار المؤسساتي، من خلال إعادة الاعتبار لمراكز التنمية الفلاحية، عن طريق ترميم بناياتها والرفع من إمكانياتها المادية والبشرية والتقنية، وجعلها في خدمة الفلاح.
- تحقيق أهداف مخطط المغرب الأخضر، خاصة فيما يتعلق بالتمويل وترشيد استعمال مياه السقي، مع إعطاء العناية اللازمة للدعامة الثانية.

خاتمة:

نستخلص على ضوء ما سبق أن النشاط الزراعي بالمجال يعرف دينامية هامة؛ تتجلى في تنوع الإنتاج، واتساع رقعة المساحة المسقية، وتعميم استعمال المكننة والمدخلات الفلاحية، والتوجه نحو الزراعات الشجرية التي أضحت تمثل قطاعا واعدا في المستقبل المنظور. لكن رغم أهمية هذه التحولات، التي ساهمت في الرفع من الإنتاج والتحسن النسبي لمستوى عيش السكان، فإن هذا النشاط لا زال يصطدم بالعديد من الإكراهات التي تشكل عقبة أساسية في سبيل تطويره.

الشيء الذي يستدعي تضافر وتكاتف الجهود من طرف جميع الفاعلين المعنيين بهذا القطاع للنهوض به وإزالة مختلف العوائق التي تحول دون جعله رافعة أساسية لتحقيق التنمية القروية.

قائمة المراجع:

1. الإحصاء الفلاحي (1996)، المغرب.
2. الأكحل المختار (2004)، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية حالة هضبة بنسليمان، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط.
3. الجريدة الرسمية، ع4323 بتاريخ 10 ربيع الأول 1416 (6 شتنبر 1995)، ص2441، المغرب.
4. العوداتي نزهة (2013)، واقع المرأة القروية بالمغرب وسؤال التنمية، ع57، "مجلة علوم التربية"، المغرب.
5. الكيحل أحمد (2010)، الصناعة الغذائية بالمغرب: قراءة في المسألة الزراعية وفي السياسة الفلاحية، نماذج من حوض اللكوس، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراز، ع7، "البحث الجغرافي بالمغرب: قراءة في الإشكاليات وفي المناهج"، فاس.
6. المجلس الوطني للشباب والمستقبل (2000)، العولمة، التنمية القروية وتشغيل الشباب، نشر الأمانة العامة للمجلس الوطني للشباب والمستقبل، المغرب.
7. بورقية رحمة (1991)، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
8. بوشلخة محمد (2007)، أرياف سوس ماسة، التحولات الحديثة والديناميات السوسيومجالية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، ج1، أكادير.
9. جلالية الحبيب (2008)، استراتيجيات الإرواء الزراعي وتنمية الفلاحة المروية بالبلاد العربية: الرهانات والمفارقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، "نحو استراتيجية لتخطيط التنمية المجالية في العالم العربي بأبعادها المحلية والقومية والعالمية"، أشغال الملتقى الرابع للجغرافيين العرب، ج2، الرباط.
10. ضايض حسن (2012)، تعدد مؤشرات الفقر وألوانه في الريف المغربي، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع1، إصدار المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
11. كرزازي موسى (1988)، النظام والبنية العقاريان للأراضي بالبوادي المغربية ودورهما في عرقلة التنمية بالأرياف وانعكاساتها على المدن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، "تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي"، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 10، الرباط.

إمكانية خفض التوقع وقيمة التعزيز والموقف السيكولوجي لسلوك امتثال طفل المرحلة الابتدائية

د. إبراهيمي كوثر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة- الجزائر
أ.د بلوم محمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة- الجزائر

Expectancy, reinforcement value and psychological attitude and their potential in reducing primary school child's conformity behavior

Dr. Brahimi Kaouther, Faculty of Humanities and Social Sciences, Mohamed Khider Biskra University, Algeria
Dr.Belloum Mohamed, Faculty of Humanities and Social Sciences, Mohamed Khider Biskra University, Algeria

ملخص: تهدف الدراسة الحالية للبحث في الاحتمالية الممكنة لخفض السلوك الامتثالي من خلال ثلاث متغيرات مترابطة افترضها جوليان روتر في نظريته للتعلم الاجتماعي المعرفي وهي التوقع وقيمة التعزيز والموقف السيكولوجي. وبالاعتماد على شروط نموذج آش التجريبي ونظرية روتر تم اختبار ست فرضيات مترابطة انطلاقا من اجراء تجربتين على عينة من أطفال المرحلة الابتدائية المختارين بطريقة عشوائية والبالغ عددهم 19 طفل؛ توصلنا من خلالها إلى الكشف عن مستوى امتثال العينة كقياس قبلي والفروق بين هذا القياس وقياسات التجربتين أسفرت في الأخير عن وجود إمكانية لخفض السلوك الامتثالي انطلاقا من المتغيرات المطروحة.
الكلمات المفتاحية: إمكانية السلوك، التوقع، قيمة التعزيز، الموقف السيكولوجي، الامتثال الاجتماعي.

Abstract: The present study aims at searching for the possible probability of reducing conformity behavior via three interrelated variables, postulated by Julian Rotter in his cognitive social learning theory, which are expectancy, reinforcement value and psychological attitude. And relying on the conditions of Ash's experimental model and Rotter's theory we tested six interrelated hypotheses starting from two experiments conducted on a sample of primary school children chosen by the haphazard method and numbering 19 children. We disclosed from these two experiments, the level of conformity of the sample, as a prior measurement, and the differences between this prior measurement and the measurements of the two experiments showed, in the end, the existence of a possibility for reducing conformity behavior through the manipulation of the proposed variables.

Keywords: Behavior potential, Expectancy, Reinforcement Value, Psychological situation, Social Conformity

مقدمة:

شهدت نظريات التعلم تطورا بحثيا تبعه استحداث في المفاهيم المفسرة لآلية تشكيل السلوك، والتي تبلورت في نظريات متعددة أهمها نظرية التعلم الاجتماعي التي ركزت على الأداء الواقعي للسلوك وتلقي تعزيز مباشر وليس بالإنابة أو الوساطة، إضافة إلى بروز مفاهيم تعتبر امتداد لكل من النظريات السلوكية والمعرفية جمعها روتر في نظريته (التوقع، قيمة التعزيز، الموقف السيكولوجي)، ما جعل منها أكثر شمولا في تفسير مختلف السلوكات. وبالمقابل فقد ظهرت في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين أبحاث تجريبية في علم النفس الاجتماعي حول العلاقة التأثيرية بين الفرد والآخرين، والتي كان أبرزها سلسلة التجارب التي أجراها سولمون آش(Asch Solmon, 1955, p 31-35) في الامتثال الاجتماعي، الذي عاد الاهتمام المكثف به بعد السبعينيات نظرا لأهميته في تشكيل سلوك الفرد انطلاقا من تأثره بالجماعة الذي هو عضو فيها. والربط بين مفهوم (الامتثال الاجتماعي) ونظرية روتر يرجع لشمولية هذه الأخيرة وتأكيد مبادئها على الجانب الاجتماعي والمعرفي للسلوك، وتركيزها على أهمية الموقف الذي يعد بعدا هاما في اتباع الفرد لمواقف جماعة الأغلبية متوقعا بذلك الحصول على إشباعات قيمتها ترتبط بالرضى والقبول والحفاظ على المكانة ونبذ الرفض يحظى بها العضو في إطار تلك الجماعة (Julian Rotter, 1954, PP 105-183)، وعليه يمكن ان تكون هذه النظرية أساس هام تسعى عن طريقه الدراسة الحالية التحكم في السلوك الامتثالي الذي قد يحمل مدلولا سلبيا في بعض المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها الطفل (6-10) سنوات مع جماعة رفاقه.

1.إشكالية الدراسة

الجماعات المتشكلة في الطفولة تبدو آمنة في ظاهرها وقليلة المشاكل، إلا أنها قد تنطوي على القيام بسلوكيات خاطئة وغير مقبولة ومنافية لمعايير الأسرة والمجتمع، يمكن أن تساهم في وقوع الطفل في أخطاء متفاوتة قد يستمر بعضها إلى فترة المراهقة وما بعدها خاصة مع الاستعداد والميل للامتثال عند بعض الأطفال حيث يزيد من احتمالية حدوث السلوك غير المرغوب، وتتسبب حتى في مبادرته نحو السلوك الانحرافي كما أشارت بعض الدراسات مثل بحث (Thomas Berndt, 1979)، وبحث (Farrington & Rowe, 1997) نقلا عن (فيروز زرارقة، 2014، ص59) الذي خلص من دراسته على عينة بلغت 9678 طفلا ومراهقا إلى أن جماعة الأصدقاء تساهم بشكل كبير في مبادرة الطفل نحو السلوك الانحرافي من خلال اللعب وتقليد الأدوار، وفي هذا السياق تناول (عبد الرحمن العيسوي، 2011، ص ص 145،90) عددا من الدراسات الأمريكية (غير موضح مصدرها) التي تؤكد على أن 48% من المنحرفين بدأت أعراضهم قبل سن 12 عاما، و71% ظهرت أعراضهم قبل سن السادسة، كما وضح أن حوالي 16% من مجموع من قبض عليهم في المجتمع الأمريكي لعام 1992 في جرائم عنف وسرقة هم دون سن 18 سنة، وقد بينت (فتيحة كركوش، 2011، ص106) عددا من الاحصاءات التي توصلت لها من وزارة الداخلية ووزارة العدل الجزائرية لسنة 2002، أن حوالي 980 ذكر و67

أنثى من أصل 12645 مرتكب لمخالفات هم أقل من 13 سنة، حيث تنوعت مخالفاتهم بين السرقات ضرب وجرح عمدي، التخريب، مساس بالأخلاق، جماعة أشرار، مخدرات، وأخرى. وبالرغم من أنه يصعب الجزم بأن انحراف هؤلاء الأطفال يعود لجماعة الرفاق دون غيرها من العوامل، إلا أنه قد يحتمل أن يكون لها دور في ذلك. وإن اختيار مرحلة الطفولة بالذات يرجع للاهتمام القليل لدراسات الامتثال بالفئات العمرية المبكرة (الأطفال)، وكذلك لندرة مثل هذه الدراسات على المستوى العربي التي تعتبر ضرورة نتيجة تباين هذه الظاهرة بين المجتمعات والثقافات، إذن فإمكانية امتثال طفل المرحلة الابتدائية وما يتضمنه هذا الامتثال من اتباع لكافة السلوكيات المقبولة منها وغير المقبولة وما قد يطرحه كذلك من اشكالات سلوكية أو حتى علائقية تستدعي ضرورة دراسة إمكانية خفض هذا السلوك في المواقف المتضمنة لسلوكات خاطئة تقوم بها جماعة الرفاق وذلك بالاستناد على نظرية روتر للتعلم الاجتماعي المعرفي التي تؤكد بدورها على احتمالية ظهور السلوك انطلاقا من أهمية تفاعل متغيرات تجمع بين البيئة الداخلية والخارجية للفرد وأهمية الترابط الوظيفي والتفاعل بينها والمتمثلة في التوقع وقيمة التعزيز والموقف السيكولوجي، وهذا من خلال اختبار التساؤل التالي: هل توجد امكانية لكل من التوقع وقيمة التعزيز والموقف السيكولوجي في خفض سلوك امتثال طفل المرحلة الابتدائية لجماعة رفاقه؟، وقد انبثق عن هذا التساؤل الفرضيات التالية:

-لا يمتثل أطفال المجموعة التجريبية لجماعة الحلفاء.

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في القياس القبلي لمستوى امتثال أطفال المجموعة التجريبية لجماعة الحلفاء تبعا للجنس والسن.

-تترتب التعزيزات المادية لدى أطفال المجموعة التجريبية من الأفضل إلى الأقل تفضيلا.

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند اطفال المجموعة التجريبية تبعا لأنماط التعزيز.

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات القياس القبلي والقياس البعدي في امتثال أطفال المجموعة التجريبية في المهمة التجريبية الأولى.

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات القياس القبلي والقياس البعدي في مستوى امتثال أطفال المجموعة التجريبية في المهمة التجريبية الثانية.

2. أهداف الدراسة

إيجاد الصيغة العملية المناسبة للقياس التجريبي لمتغيرات البحث الأساسية (التوقع، قيمة التعزيز، الموقف السيكولوجي)، والكشف عن كيفية عمل وترابط هذه المتغيرات، والبحث عن الامكانية المحتملة لخفض سلوك امتثال طفل المرحلة الابتدائية من خلال تلك المتغيرات.

3.أهمية الدراسة

البحث في إمكانية خفض السلوك الامتثالي يطرح تفرد هذه الدراسة ضمن بقية دراسات الامتثال الاجتماعي التي اهتمت في غالبها بوصف وتفسير هذه الظاهرة دون التحكم. كما أن الاختبار التجريبي للمتغيرات التي تطرحها نظرية روتر للتعلم الاجتماعي المعرفي قد يدعم هذا التفرد من خلال الكشف عن كيفية تفاعلها وترابطها الوظيفي الذي يعطيها فعالية للخفض من السلوك الامتثالي عند الطفل.

4.المصطلحات الإجرائية للدراسة

تتميز المصطلحات الاجرائية للدراسة بتباين المفاهيم نظرا لتنوع المواقف التجريبية، لذلك قد نجد أن المصطلح الواحد يتضمن مفهومين مختلفين إلى حد ما في بعض الجزئيات المتعلقة بالإجراءات التجريبية، لكن على العموم فهي تتفق في المفهوم العام سواء ما تم استخلاصه من نظرية روتر أو من نموذج آش للامتثال الاجتماعي، ويمكن أن نوضح هذه المصطلحات كما يلي:

إمكانية السلوك: إمكانية حدوث سلوك عدم الامتثال في الموقف التجريبي في إطار علاقته بالمدعم هي دالة توقع حدوث المعزز التابع للسلوك وقيمة التعزيز في الموقف.

التوقع: هو الاحتمال الذي يضعه الطفل محل الدراسة بأن يتلقى نمطا من الأنماط التالية من التعزيز(تعزيز مادي ذا قيمة، تعزيزان ذا قيمة، 3 تعزيزات ذات قيمة، تعزيز أقل قيمة، تعزيز معنوي، غياب التعزيز، تشويش توقع الحصول على نمط محدد)، هذا حسب التجربة الأولى، أما التجربة الثانية يعرف التوقع اجرائيا بالاحتمال الذي يضعه الطفل في الحصول على معزز معنوي ترتبط قيمته بنيل استحسان جماعة الرفاق عند الاتيان بالاستجابة الصحيحة والمتمثل في التصفيق والتشجيع.

قيمة التعزيز: تشير إلى درجة تفضيل الطفل محل البحث لمعزز مادي معين من بين مجموعة من التعزيزات المادية المتساوية الحدوث من جهة (التجربة الأولى)، ومن جهة أخرى (التجربة الثانية) فهي تشير إلى حصول الطفل المُمتَثل على تعزيز ذا قيمة والمتمثل في نيل رضى جماعة الرفاق من خلال التشجيع والتصفيق.

الموقف السيكولوجي: هو الوضع الذي يتضمن تفاعل الطفل مع رفاقه في إطار بيئة فيزيقية (حجرة الدراسة أو المدرسة)، وهو محدد ومختلف حسب الموقف التجريبي الذي يتعرض له المبحوث فيستجيب وفقا لإدراكه لمحتوى الموقف الأول الذي يتضمن مهمة تجريبية شبه حقيقية (مهمة تنظيف القسم)، أما الموقف الثاني فيتضمن مهمة إدراكية (التعرف على صور الحيوانات).

الامتثال الاجتماعي: يشير الامتثال الاجتماعي إلى حدوث التغيير في الرأي الصحيح للطفل محل البحث بما يتفق مع الرأي الخاطئ (عند عرض صور الحيوانات) أو اتباع الطفل للسلوك الخاطئ (تمزيق الأوراق داخل حجرة الدراسة) لجماعة الأغلبية (رفاق الطفل أو حلفاء الباحثة المطبقة) المُقدر عددهم بثلاث أطفال.

خفض السلوك الامتثالي: انخفاض عدد الاستجابات الخاطئة التي تتفق مع استجابة جماعة الحلفاء في المحاولات التجريبية التي يتعرض لها الطفل الممتثل.

5.الاجراءات المنهجية للدراسة

شكل 1: التصميم التجريبي للدراسة

1.5. منهج الدراسة: تم اعتماد المنهج التجريبي، باعتماد تصميم المجموعة الواحدة بقياس قبلي وبعدي، والشكل(1) يوضح التصميم التجريبي، حيث تتعرض المجموعة التجريبية كمرحلة أولى للقياس القبلي المتعلق بتحديد مستوى الامتثال الاجتماعي، ليتم فيما بعد تطبيق إجراءات التجربة الأولى وقياس نتائجها حول الامتثال من عدمه، وبناءا على هذه النتائج كانت التجربة الثانية التي تستند على نفس القياس القبلي ولكن بالمقارنة مع قياس بعدي آخر يتناسب ومضمون اجراءات هذه التجربة.

5. 2. حدود الدراسة: أجريت الدراسة في عام 2017 بالمدرسة الابتدائية دراجي عبد الرحمن ببلدية سيدي عقبة، بسكرة، الجزائر.

3.5. مراحل الدراسة: مرت الدراسة بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: قياس مستوى الامتثال الاجتماعي لأطفال المرحلة الابتدائية.

المرحلة الثانية: قياس قيمة التعزيز وتحديد ترتيب المعززات المفضلة عند العينة.

المرحلة الثالثة: تطبيق المهمة التجريبية الأولى للكشف عن شروط خفض السلوك الامتثالي من خلال قيمة التعزيز والتوقع في موقف1.

المرحلة الرابعة: تطبيق المهمة التجريبية الثانية للكشف عن شروط خفض السلوك الامتثالي من خلال التعزيز ذا قيمة والتوقع في موقف2.

5. 4. عينة الدراسة: تحددت عينة الدراسة من خلال عدة اعتبارات، يمكن أن نوضحها في النقاط التالية:

-استخدام المنهج التجريبي، الذي كلما قل فيه حجم العينة كلما كان حجم الضبط والرقابة عاليين.

-طبيعة المهام التجريبية التي تعتمد على وجود حلفاء للباحثة من نفس المرحلة العمرية للمجموعة التجريبية، وكل حليف مطالب بالتعامل مع عدة أطفال في الجلسة الواحدة التي تقتضي عدة محاولات تجريبية، ما قد يسبب لهم الملل، وبالتالي صعوبة ضبط انتباههم لإكمال التجربة رغم تشجيعهم بمكافآت، إذن كلما قل العدد كلما كان التعامل مع الحلفاء أسهل، والتحكم في التجربة أكثر ضبطا.

وقد تم استخدام أسلوب المعاينة الطبقية العشوائية في اختيار أفراد العينة من خلال تقسيم المجتمع الأصلي إلى طبقات حسب المستوى الدراسي ثم السن وقد أختير ما عدده 24 طفل باستخدام القرعة مع مراعاة تناسب العدد مع الاجراءات التجريبية التي ستجرى على الأطفال، حيث تستدعي التقيد بعدد صغير لضمان استمرار انتباههم وتفاعلهم من خلال محاولات تجريبية متكررة هذا بالنسبة للتجربة الأولى، أما لإجراء التجربة الثانية فقد تم استخدام أسلوب المعاينة القصدية التي تطلبت التعامل بالتحديد مع الأطفال الممتثلين. ومع عدم التزام بعض الأطفال بالحضور خاصة في التجربة الأولى انخفضت عينة الدراسة إلى 19 تلميذ مختارين بطريقة عشوائية؛ 5 أطفال تم تدريبهم كحلفاء للباحثة، 11 طفل هم ممن أظهروا مستوى مرتفع في السلوك الامتثالي، و3 أطفال أظهروا السلوك غير الامتثالي في المرحلة الأولى، ليتم اختبار 11 طفل فقط من مرتفعي الامتثال كعينة قصدية في المرحلة الثانية، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالي:

جدول 1:عينة الدراسة

الرقم	السن	الحلفاء	المبحوثين		مجموع
			الممتثلين	غير الممتثلين	
01	6 سنوات	1	2	0	3
02	7 سنوات	1	3	1	5
03	8 سنوات	1	2	0	3
04	9 سنوات	1	2	1	4
05	10 سنوات	1	2	1	4
المجموع		5	11	3	19

أما بالنسبة للأطفال الحلفاء فقد تم اختيارهم وفقا للشروط التالية:

أن يُجمع الحلفاء في شكل جماعات مكونة من ثلاث أطفال، اختيار جنسهم وعمرهم يكون حسب جنس وعمر الطفل المبحوث، مع مراعاة التقارب والتجانس.

أن يستوعب الحليف تعليمات المهمة المطلوبة، وعلى استعداد للتنفيذ دون الاخلال بشرط السرية حول طريقة العمل، وقد تم الاستعانة لتحقيق هذا الشرط بالمكافآت، والتأكيد المستمر على السرية، وتحفيز الحلفاء على مراقبة بعضهم البعض، إضافة إلى التغير في الإجراءات بين التجربة الأولى والثانية ما يلغي احتمال الألفة بالمهمة مع الحرص على عدم احتكاكهم ببقية المبحوثين.

6.أدوات الدراسة: تم استخدام خمس أدوات لجمع البيانات واختبار الفرضيات، وتحقيق أهداف الدراسة، وقد تمثلت في:

1.6. نموذج آش للامتثال الاجتماعي: وقد تم تطبيق النموذج بطريقتين مختلفتين، الطريقة الأولى كانت في القياس القبلي والطريقة الثانية كانت في المهمة التجريبية الأولى والثانية. نوضحها كما يلي:

الطريقة الأولى: وتم في هذه الطريقة محاكاة نموذج آش للامتثال الاجتماعي، من خلال وضع الطفل محل البحث مع ثلاثة من الأطفال الحلفاء للباحثة المدربين مُسبقا على طريقة الإجابة لما يُعرض أمامهم من مثيرات بصرية (صورتي القط والكلب)، ليتم تسجيل الملاحظات بخصوص استجابات الطفل محل البحث في حال قَدَمَ الحلفاء إجابة خاطئة بعد تلقيهم لإشارة متفق عليها من قبل الباحثة المطبقة، التي تقف وراء المجموعة وذلك لتفادي أي تأثير لوجودها (أي قد يعتقد الطفل أن الباحثة تؤيد وتدعم رأي المجموعة الخاطئ). وقد تم اختبار الأطفال كما هو موضح في الشكل (2).

شكل2: الطريقة الأولى لقياس الامتثال وفق نموذج آش

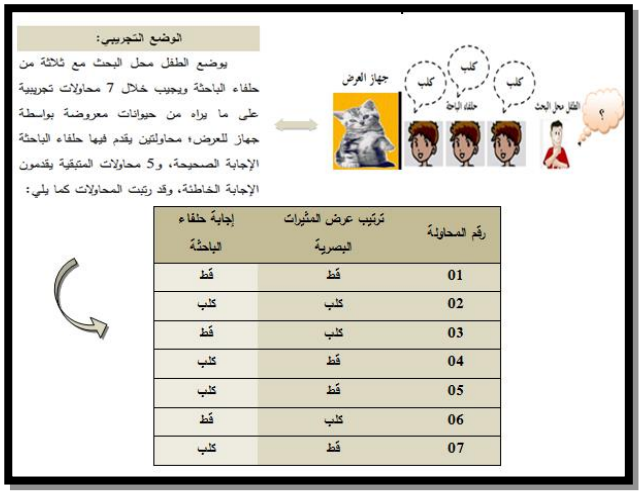

الطريقة الثانية: وتقوم هذه الطريقة في التجربة الأولى على اختبار أداء الطفل في موقف شبه حقيقي (مع غياب وجود الباحثة)، تمثل في وضعه مع مجموعة من الأطفال الحلفاء المتفقين مسبقا مع الباحثة على تمزيق الأوراق داخل حجرة دراسية ورميها على الأرضية. ليتم تسجيل الملاحظات من نافذة الحجرة بخصوص استجابات الطفل محل البحث في حال امتثل لجماعة رفاقه لسلوك التمزيق أو الإتيان بالسلوك المخالف المستقل. وأما في التجربة الثانية فقد تم اختبار الأطفال بنفس خطوات الطريقة الأولى (القياس القبلي) ولكن مع تغيير في المثيرات المعروضة أمام الطفل حيث استبدلت الصورتين القط والكلب بالصورتين خروف وبقرة.

2.6. قياس قيمة التعزيز: تم قياس قيمة التعزيز بطريقتين، إحداها طبقت في التجربة الأولى والطريقة الأخرى طبقت في التجربة الثانية، واستخدام طريقتين يعود إلى طبيعة اجراءات كل تجربة على حدى:

- الطريقة الأولى: طريقة فيرز وروتر: اعتمدنا طريقة فيرز وروتر حيث يقدم فيها للأطفال عدة أشكال من التعزيز، فيتصور المبحوثون أن جميع تلك الأشكال قابلة للحدوث بصورة متساوية ثم يطلب منهم ترتيبها وفق درجة تفضيلهم لها. وقد تم تطبيق هذه الطريقة ولكن مع إجراء تعديلات لتتناسب مع المرحلة العمرية المدروسة، حيث يرسم على الأرض رسما دائريا توضع فيه مختلف المعززات المادية ويطلب من الطفل محل البحث اختيار ما يحبه من الدائرة ويقوم بوضعه في إطار مرسوم بجانب الدائرة مُعَلَم بأرقام من 1 إلى 5. ثم يوضع داخل الدائرة معززات مادية وبشكل عشوائي وذلك لإمكانية ترتيب الطفل لهذه المعززات نظرا لكونها ملموسة على عكس لو كانت معنوية والشكل رقم (3) يقدم مزيد من التوضيح لطريقة القياس.

شكل3: قياس قيمة التعزيز وفق فيرز وروتر

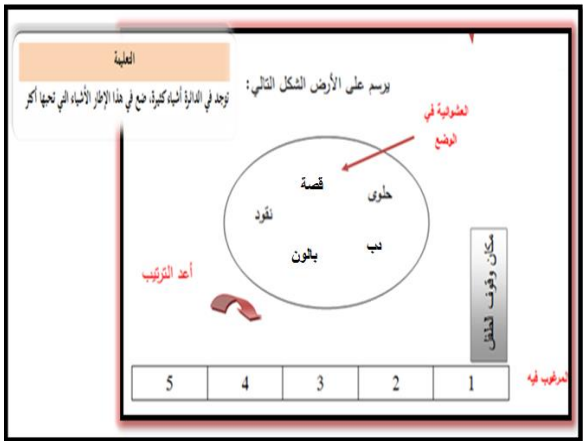

الطريقة الثانية: بما أن سلوك الامتثال لجماعة الرفاق يمكن أن يكون نتاج لتعزيز جماعة الرفاق للعضو فيها في مواقف مشابهة، حيث يسعى الفرد العضو إلى نيل رضى الجماعة واستحسانها وتجنب النبذ، وعليه وبناءا على هذا التصور ارتأينا إلى استبدال التعزيزات المادية بتعزيز جماعة الحلفاء للرأي الصحيح والموقف الصحيح للطفل محل البحث من خلال التصفيق والتشجيع، ثم يتم اختبار هذا الأخير في موقف مشابه.

3.6. قياس التوقع: استخدمنا كذلك طريقتين في القياس حسب اجراءات كل تجربة، حيث كان التوقع في التجربة الأولى مرتبط بنتيجة من النتائج التالية: غياب التعزيز، حصول على تعزيز معنوي، تشويش التوقع، أو مرتبط بكمية حصول الطفل على معزز معين من بين مجموعة من التعزيزات المادية تترتب من الأكثر تفضيلا إلى الأقل تفضيلا، في حين ارتبط في التجربة الثانية؛ بتكرار قيمة تعزيز ثابتة وموحدة بين أفراد المجموعة التجريبية، في ست محاولات تجريبية. وقد تم الاعتماد على التكرار تحديدا لضمان تشكيل وتثبيت الرابطة بين استجابة الطفل في كل تجربة وحصوله على معزز ذا قيمة (عملية بناء التوقع).

4.6. الملاحظة العلمية: استدعت التجربتين تطبيق الملاحظة العلمية بنوعيها غير المباشرة والمباشرة لرصد الاستجابة السلوكية للأطفال محل البحث وفقا لكل موقف تجريبي (التجربة الأولى أو التجربة الثانية) وما يتطلبه من قياسات (قياس مستوى الامتثال الاجتماعي وقياس قيمة التعزيز)

7. التجربة العلمية: استدعت الدراسة تطبيق تجربتين، لكل منهما أهدافها، مع خضوعهما لذات الشروط التجريبية (شروط تجربة آش، ونظرية روتر):

1.7.المهمة التجريبية الأولى: تمثلت المهمة التي يجب على الأطفال القيام بها في تنظيف القسم من الأوراق المرمية على الأرض (قمنا برميها مسبقا)، حيث يطلب من الطفل وضع تلك الأوراق في سلة المهملات التي تكون واضحة بجواره، لتكون هناك نتيجة لسلوكه حسب التصميم

التجريبي الموضح في الشكل رقم (4)، ثم يتم اختبار الأطفال محل البحث في وضعية تتضمن جماعة من الحلفاء (مقدر عددهم بثلاث أطفال) دربوا على تمزيق مزيد من الأوراق.

شكل4: تصميم المهمة التجريبية الأولى

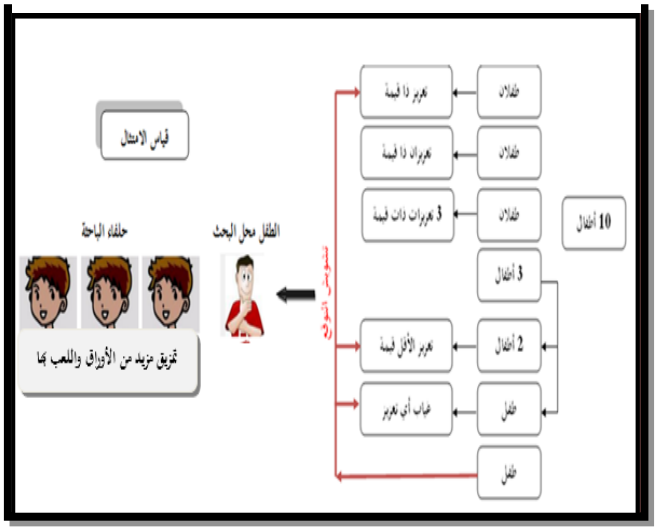

2.7. المهمة التجريبية الثانية: تم التوصل إلى اجراءات هذه المهمة انطلاقا من نتائج المهمة التجريبية الأولى؛ حيث ركزنا فيها على تعريض الأطفال لموقف مشابه (يتعرض الطفل لمهمتين ادراكيتين متشابهتين) يتم في إطاره تقديم تعزيز ذا قيمة ثابت بالنسبة لكل الأطفال محل البحث بعد أن يتم التوضيح للطفل أن استجابته صحيحة واستجابة رفاقه خاطئة، لأنه من خلال نتائج المهمة السابقة قد لا يدرك الطفل أساسا أن سلوك جماعة الحلفاء خاطئ وبالتالي يتبعه على أساس أنه دليل على طريقة التصرف في الموقف. (امتثال معلوماتي)، وقد تمثلت اجراءات هذه المهمة التجريبية (أنظر شكل5) في:

شكل5: تصميم المهمة التجريبية الثانية

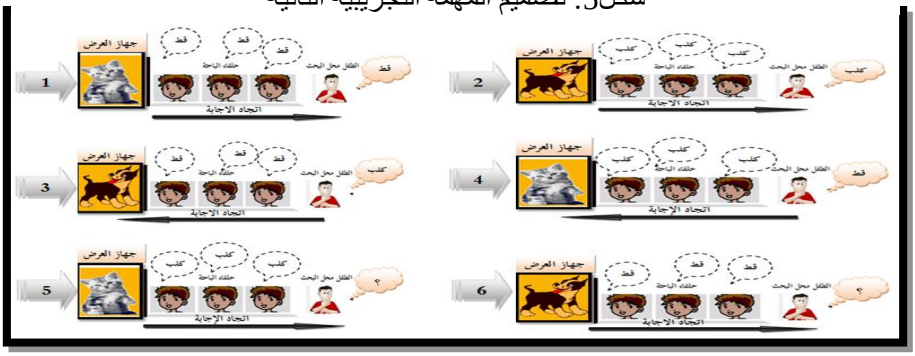

1- إعادة عرض صور الحيوانات (القط، الكلب) لكن هذه المرة يتم تدريب الحلفاء بطريقة مختلفة عن سابقتها، حيث يقدم الحلفاء الإجابتين الصحيحتين أولا ثم يتم عكس اتجاه الإجابة.
2- يجيب الطفل محل البحث على إجابتين يصفق عليها الأطفال الحلفاء ويؤكدون للطفل محل البحث صحتها (تعزيز ذا قيمة).
3- يُعكس اتجاه الإجابة مجددا أي يجيب الحلفاء أولا لكن مع تقديم إجابات خاطئة ليلاحظ رد فعل الطفل مع استمرار تعزيز الحلفاء للطفل محل البحث في حال قدم اجابات صحيحة، وتجاهل الاجابة الخاطئة. (القياس الأول)
4- وضع الطفل في موقف مشابه لكن مع جماعة حلفاء أخرى وصور حيوانات أخرى، يتم ترتيبها وتدريب جماعة الحلفاء الجديدة على طريقة أخرى في الاستجابة (القياس الثاني)، ويمكن أن نوضح طريقة إجابة الحلفاء كما يلي:

جدول2: طريقة إجابة الحلفاء على المثيرات البصرية المعروضة

ترتيب عرض المثيرات البصرية	إجابة الحلفاء	نمط الاجابة
خروف	خروف	صحيحة
بقرة	بقرة	صحيحة
بقرة	خروف	خاطئة
خروف	بقرة	خاطئة
خروف	بقرة	خاطئة
بقرة	خروف	خاطئة
خروف	بقرة	خاطئة

8. أساليب المعالجة الإحصائية: التكرارات والنسب المئوية، اختبار اعتدالية التوزيع، اختبار مان وتني، اختبار كروسكا لواليز، اختبار كا مربع، اختبار ماكنمار، اختبار ولككسون، اختبار فريدمان.
9. مناقشة النتائج: **بعد تطبيق الاجراءات الموضحة أعلاه، تم التوصل إلى النتائج التالية:**
1.9. اختبار نتائج الفرضية الأولى: يمكن عرض نتائج اختبار الفرضية الأولى التي تنص على: " لا يمتثل أطفال المجموعة التجريبية لجماعة الحلفاء"، من خلال الجدول التالي:

جدول 3: يوضح مستوى امتثال عينة الدراسة

مستوى الامتثال	الذكور		الإناث		العينة الكلية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
عدم الامتثال	1	11.1	1	20	2	14.3
الامتثال في محاولة واحدة	0	0	1	20	1	7.1
الامتثال في محاولتين	0	0	0	0	0	0
الامتثال في ثلاث محاولات	0	0	0	0	0	0
الامتثال في أربع محاولات	0	0	1	20	1	7.1

الامتثال في خمس محاولات	8	88.9	2	40	10	71.4
المجموع	9	100	5	100	14	100

حيث يوضح أن 11 طفل أظهروا سلوكا امتثاليا بنسبة 71.4% بتكرار 10 أطفال؛ (8 ذكور، 2 إناث) امتثلوا في المحاولات التجريبية الخمس، بالإضافة إلى طفلة امتثلت في أربع محاولات تجريبية بنسبة 20%. مقابل طفلين (1 ذكر، 1 أنثى) استجابوا بعدم الامتثال في كل المحاولات التجريبية بنسبة قدرت بـ 14.3%، إضافة إلى طفلة لم تمتثل في أربع محاولات بنسبة 7.1%. ومن خلال نتائج المعالجة الاحصائية نستنتج رفض الفرض الصفري وقبول الفرض البديل الذي يشير إلى أن أطفال المجموعة التجريبية يمتثلون لجماعة الحلفاء بمستوى مرتفع.

وفيما يتعلق بتطور الامتثال حسب المراحل العمرية يمكن أن نستعين بالتمثيل البياني الذي نلاحظ من خلاله أن نسبة الأطفال الممتثلين كانت أكبر من غير الممتثلين في المراحل العمرية التي بين (6-8) سنوات لينخفض هذا الامتثال ويرتفع بالمقابل عدم الامتثال في المراحل العمرية بين (8-9) سنوات، ليعود إلى الارتفاع بين (9-10) سنوات مقابل انخفاض عدم الامتثال.

شكل6: منحنى تطور الامتثال وعدم الامتثال حسب العمر

2.9. اختبار نتائج الفرضية الثانية: ولاختبار هذه الفرضية التي تنص على غياب الفروق في القياس القبلي لمستوى امتثال أطفال المجموعة التجريبية لجماعة الحلفاء تبعا للجنس والسن، تم الاعتماد على اختبارين (مان-وتني، كروسكال واليز) بعد التحقق من اعتدالية توزيع البيانات والشكل (7) يوضح عدم خضوعها للتوزيع الطبيعي.

شكل7: توزيع بيانات مستوى الامتثال

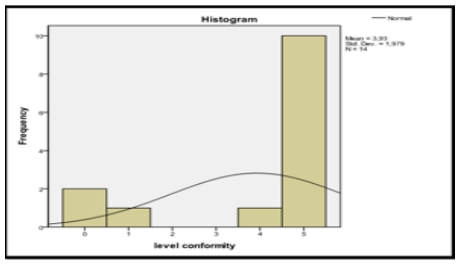

وبحكم كون كذلك العينة أقل من30 فإن أنسب اختبار لمعالجة الفروق بين عينتين مستقلتين (ذكور وإناث) لبيانات ترتيبية هو اختبار مان وتني؛ الذي نوضح نتائجه في الجدول التالي:

جدول 4: نتائج اختبار مان وتني للفروق في مستوى الامتثال حسب الجنس

القياس	العينة	قيمة ز	الدلالة	القرار
ذكور	9	1.673-	0.094	لا توجد فروق
اناث	5			

أما بالنسبة للفروق في مستوى الامتثال حسب السن نجد أن أنسب اختبار هو اختبار كروسكال واليز لمعالجة الفروق بين أكثر من عينتين مستقلتين ولا يشترط اعتدالية التوزيع مع تعامله مع البيانات الترتيبية، والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول 5: نتائج اختبار كروسكال واليز في مستوى الامتثال حسب السن

القياس	العينة	قيمة $ك^2$	د. الحرية	الدلالة	القرار
مستوى الامتثال	14	1.111	4	0.892	لا توجد فروق
السن					

اذن من خلال الجدولين نلاحظ أن مستوى الدلالة لكليهما أكبر من 0.05، ما يشير إلى قبول الفرض الصفري الذي يؤكد على غياب الفروق في مستوى الامتثال حسب الجنس وحسب السن.

3.9. اختبار نتائج الفرضية الثالثة: حيث ينص على: تترتب التعزيزات المادية لدى أطفال المجموعة التجريبية من الأفضل إلى الأقل تفضيلا.

على الرغم من أنه يصعب الجزم بوجود أشياء مشتركة بين جميع الأطفال، إلا أننا قد نجد بعض الأشياء التي هي في العادة مفضلة عند أغلبهم، وهذا ما تم ملاحظته على الأطفال كإجابة على سؤال: الأشياء التي يريدون أن تقدم لهم كهدية، والتي كانت لصالح الألعاب عموما (كرة، دمية، مفرقعات) والقصص، والعطر كما هو موضح في الشكل (8).

شكل8: الدائرة النسبية لتفضيلات الطفل للهدايا

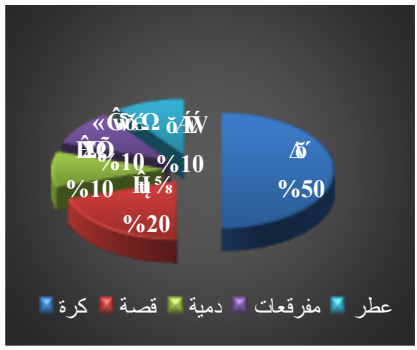

وقد تم الاستعانة بهذه الاجابات لاختيار تعزيزات مادية مناسبة للمراحل العمرية المدروسة، إضافة إلى خضوع هذا الاختيار للشروط التالية: أن يكون التعزيز المادي غير مضر بالطفل، لذلك فقد تم إلغاء المفرقعات نظرا لما تحمله من خطورة على الأطفال محل البحث، وأن يكون التعزيز مشترك بين الجنسين، لذلك فقد تم إلغاء العطر والدمية والكرة لكونها تخضع للتنميط الجنسي واستبدلت بلعبة الدب التي هي في العادة مشتركة بين الجنسين، وأن يكون التعزيز في مقدور الباحثين توفيره، لذلك تم إلغاء طلب بعض الأطفال للحصول على لوحات إلكترونية.وبعد اختيار المعززات المناسبة تم إخضاعها للقياس من خلال طريقة فيرز وروتر كما يوضح الجدول (6).

جدول 6: نموذج لتفضيلات الطفل

الطفل	الهدية المفضلة	ترتيب اختيار الطفل للمعززات				
		01	02	03	04	05
م. إ	قصة	قصة	حلوى	بالون	لعبة	نقود
ب. ز	مفرقعات	نقود	حلوى	قصة	بالون	لعبة

والنتائج المتوصل عليها موضحة في الشكل (9) الذي يشير إلى أن التفضيل الأول كان بنسبة أكبر لصالح القصة (28.6%)، والتي احتلت الصدارة كذلك في التفضيل الثاني بنسبة (35.7%)، بالمقابل نجد أن الحلوى كانت الأقل تفضيلا من خلال اختيارها في المرتبة الخامسة، والبالون من خلال اختياره في المرتبة الثالثة والرابعة بنسبة (35.7%). أما النقود ولعبة الدب فقد تباينت نسب اختيارهم في كل درجات التفضيل، وعلى العموم فهذه النسب المتحصل عليها لها من الأهمية في التأكد من تفضيلات الطفل وصلاحية تحديد المعززات المادية المختارة تبعا للشروط سابقة الذكر، وبالرغم من أنها تقدم لنا صورة عامة حول المعزز المادي الأكثر والأقل تفضيلا من قبل عينة الدراسة، يبقى الأهم هو ملاحظة التباين في الاختيار من طفل إلى آخر، فما قد بشكل

ذا قيمة كبيرة عند طفل ليس بالضرورة أن يكون كذلك عند طفل آخر، لذلك فقد تم احترام اختيارات كل طفل على حدى وتوظيفها في المهمة التجريبية الأولى.

شكل9: الأعمدة البيانية لنسب تفضيل التعزيزات المادية

4.9. اختبار نتائج الفرضية الرابعة: حتى يتم اختيار الاختبار الإحصائي المناسب لمعالجة الفرضية الصفرية التي تنص على: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في امتثال أطفال المجموعة التجريبية تبعا لأنماط التعزيز المقدمة، لا بد من التحقق أولا من اعتدالية توزيع بيانات الامتثال بعد تعرض العينة لأنماط تعزيز مختلفة، وهذا ما يوضحه اختبار Kolmogorov-Smirnov، الموضحة نتائجه في الجدول التالي:

جدول 7: نتائج اختبار كولموجروف-سيمرنوف لبيانات امتثال التجربة الأولى

نوع القياس	القيمة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
الامتثال	0.470	14	0.000

يظهر من خلال الجدول أن قيمة مستوى الدلالة لامتثال أفراد العينة بعد تعرضهم لأنماط مختلفة من التعزيز أقل من 0.05، ما يعني أن البيانات لا تخضع للتوزيع الطبيعي. وعليه فأنسب اختبار للكشف عن الفروق في الامتثال حسب أنماط التعزيز هو اختبار كاي مربع الذي يعالج الفروق بين أكثر من عينتين مستقلتين ولا يشترط اعتدالية التوزيع مع تعامله مع البيانات الإسمية، والنتائج موضحة في الجدولين التاليين:

جدول8: بيانات معالجة العينة والحالات المفقودة للدراسة

	العينة		الحالات المفقودة		المجموع	
	N	النسبة	N	النسبة	N	النسبة
الامتثال/ أنماط التعزيز	13	86,7	2	13,3	15	100%

نظرا لحدوث أخطاء مع ثلاث أطفال أثناء تطبيق التجربة من أصل 14 طفلا، فقد تم حذف طفلين كما هو موضح في الحالات المفقودة والإبقاء على الطفل الثالث نتيجة خطأ بسيط تم تداركه من

خلال تعريضه لنمطين من التدخل (تعزيز معنوي، تشويش التوقع) لذلك عالج برنامج (Spss) بيانات 13 طفلا .

جدول 3: اختبار ك تربيع للفروق في امتثال أطفال المجموعة التجريبية حسب أنماط التعزيز

القياس	العينة	ك^2	د.الحرية	الدلالة	القرار
الامتثال	13	4.550	6	0.603	لا توجد فروق
أنماط التعزيز					

نلاحظ من الجدول (8) أن مستوى الدلالة أكبر من 0.05 ما يشير إلى غياب الفروق في امتثال المجموعة التجريبية تبعا لأنماط التعزيز، وهذا ما يوضحه الشكل رقم (10) الذي يظهر أن أغلب أفراد العينة كانت استجابتهم امتثالية رغم تعرضهم لأنماط تعزيز مختلفة، في حين طفلين فقط ممن تغيرت استجابتهم لعدم الامتثال حيث تعرضا أحدهما للتعزيز ذا قيمة والآخر لغياب التعزيز.

شكل10: الأعمدة البيانية لمستوى امتثال المجموعة التجريبية تبعا لأنماط التعزيز

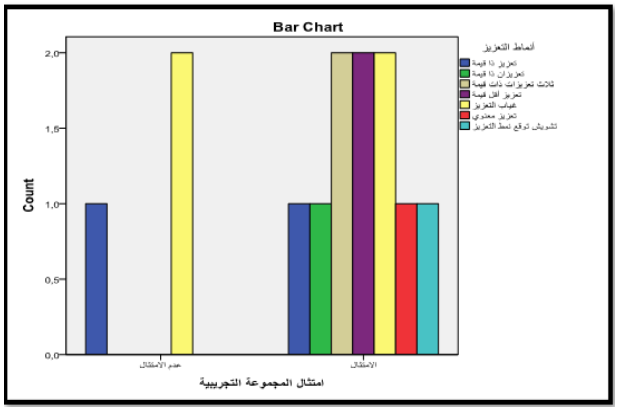

5.9. اختبار نتائج الفرضية الخامسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات القياس القبلي والبعدي في امتثال أطفال المجموعة التجريبية في المهمة التجريبية الأولى، وحتى يتم اختيار الاختبار الإحصائي المناسب لمعالجة الفرضية الصفرية لا بد من التحقق أولا من اعتدالية توزيع البيانات، وهذا ما يوضحه اختبار Kolmogorov-Smirnov، الموضحة نتائجه في الجدول التالي:

جدول 4: نتائج اختبار كولموجروف-سيمرنوف للقياس القبلي والبعدي للتجربة الأولى

نوع القياس	العينة	قيمة ز	مستوى الدلالة
القياس القبلي	15	1.880	0.002
القياس البعدي	13	1.694	0.006

يظهر من خلال الجدول أن قيمة مستوى الدلالة للقياسين أقل من 0.05، ما يعني أن البيانات لا تخضع للتوزيع الطبيعي. وعليه فأنسب اختبار للفروق قبل التدخل التجريبي وبعده هو اختبار

ماكنمار الذي يعالج الفروق بين عينتين مترابطتين ولا يشترط اعتدالية التوزيع مع تعامله مع البيانات الإسمية، والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول 5: نتائج اختبار ماكنمار للفروق بين القياسين القبلي والبعدي من التجربة الأولى

القياس	متوسط الرتب	العينة	العينة التي تم اختبارها	مستوى الدلالة	القرار
القبلي	0.80	15	13	1	لا توجد فروق
البعدي	0.77	13			

إذن من خلال الجدول أن البرنامج عالج بيانات 15 طفلا من أصل 14 في القياس القبلي نتيجة إضافة بيانات الطفل الذي تعرض لنمطين من التدخل من خلال اعتبار أحد بياناته كفرد آخر، خاصة وأنه لم يتم حذف أي طفل من العينة في القياس القبلي. وعلى العموم يتضح من خلال النتائج أن مستوى الدلالة أكبر من 0.01 ما يشير إلى الغياب التام لأي فروق بين القياسين القبلي والبعدي. وبالتالي فالإجراءات المتبعة في المهمة التجريبية الأولى لم تحدث أي تأثير في تغيير استجابات الأطفال محل البحث.

6.9. اختبار نتائج الفرضية السادسة: لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات القياس القبلي والبعدي في مستوى امتثال أطفال المجموعة التجريبية في المهمة التجريبية الثانية، لاختبار هذه الفرضية تم في هذه التجربة اختبار الأطفال الذين أظهر القياس القبلي امتثالهم دون غير الممتثلين، والبالغ عددهم 9 أطفال، وذلك للتركيز على هدف البرنامج المتمثل في خفض السلوك الامتثالي. ونتائج تطبيق التجربة كانت كالتالي:

القياس الأول: ولاختبار وجود فروق من عدمها بين القياس القبلي والقياس الأول من التجربة الثانية نتأكد أولا من اعتدالية توزيع البيانات الموضحة في اختبار Kolmogorov-Smirnov:

جدول 6: اختبار كولمجروف-سيمرنوف للقياس القبلي والقياس الأول من التجربة الثانية

نوع القياس	القيمة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
القياس القبلي	0.519	9	0.000
القياس الأول من التجربة 2	0.323	9	0.007

يظهر من خلال الجدول أن قيمة مستوى الدلالة للقياس القبلي والقياس الأول من التجربة الثانية أقل من 0.05، ما يعني أن البيانات لا تخضع للتوزيع الطبيعي. وبما أن البيانات ذات توزيع غير معتدل والعينة أقل من 30 فإن أنسب اختبار للفروق قبل التدخل التجريبي وبعده هو اختبار ولككسون الذي يعالج الفروق بين عينتين مترابطتين ولا يشترط اعتدالية التوزيع مع تعامله مع البيانات الترتيبية، والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول 7: اختبار ولككسون للفروق في مستوى الامتثال بين القياس القبلي والقياس الأول من التجربة الثانية

القياس	متوسط الرتب	الانحراف المعياري	قيمة ز	مستوى الدلالة	القرار
القبلي	4.89	0.33	2.456-	0.014	توجد فروق
البعدي	1.56	2			

إذن من خلال الجدول يتضح أن مستوى الدلالة أقل من 0.05 ما يشير إلى وجود فروق بين القياسين، لصالح القياس القبلي بمتوسط (3.78)، أي أن هناك انخفاض في مستوى الامتثال، وهذا ما هو جلي عند قراءة النتائج بين القياسين عند أفراد العينة، والموضحة في الجدول التالي:

جدول 8: نتائج مستوى الامتثال في القياسين القبلي والقياس الأول من التجربة الثانية

القياس القبلي			القياس الأول: مع مجموعة الحلفاء الأولى		
مستوى الامتثال	التكرار	النسبة	مستوى الامتثال	التكرار	النسبة
عدم امتثال	0	0	عدم امتثال	5	55.6
امتثال في محاولة واحدة	0	0	امتثال في محاولة واحدة	0	0
امتثال لمحاولتين	0	0	امتثال لمحاولتين	2	22.2
امتثال لثلاث محاولات	0	0	امتثال لثلاث محاولات	0	0
امتثال لأربع محاولات	1	11.1	امتثال لأربع محاولات	0	0
امتثال لخمس محاولات	8	53.3	امتثال لخمس محاولات	2	22.2
المجموع	9	100	المجموع	9	100

يظهر من خلال الجدول التغير الحاصل في مستويات امتثال الأطفال بين القياس القبلي والقياس الأول من التجربة الثانية. حيث من أصل 9 أطفال من ذوي المستوى العالي من الامتثال كما يظهر القياس القبلي، تغير رأي 5 منهم بنسبة 55.5% إلى عدم الامتثال في كل المحاولات التجريبية، وطفلين انخفض امتثالهم إلى محاولتين، وبقي طفلان محافظان على نفس المستوى. وهذه النتائج الأولية تؤكد الانخفاض الحاصل في مستوى الامتثال من خلال التجربة الثانية، ولمزيد من التأكيد يمكن أن نستعرض نتائج القياس الثاني؛ أين تم اختبار مستوى امتثال الأطفال بنفس طريقة القياس القبلي مع تغيير فقط في المثيرات المعروضة (بدل كلب، قط؛ تم عرض خروف، بقرة).

القياس الثاني: ولاختبار وجود فروق من عدمها بين القياس القبلي والقياس الثاني من التجربة الثانية نتأكد أولا من اعتدالية توزيع البيانات الموضحة في اختبار Kolmogorov-Smirnov:

جدول 9: اختبار كولمجروف-سيمرنوف للقياس القبلي والقياس الثاني من التجربة الثانية

نوع القياس	القيمة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
القياس القبلي	0.519	9	0.000
القياس الثاني من التجربة 2	0.407	9	0.000

يظهر من خلال الجدول أن قيمة مستوى الدلالة للقياس القبلي والقياس الثاني من التجربة الثانية أقل من 0.05، ما يعني أن البيانات لا تخضع للتوزيع الطبيعي، وبما أن البيانات ذات توزيع غير معتدل والعينة أقل من 30 فإن أنسب اختبار للفروق قبل التدخل التجريبي وبعده هو اختبار ولككسون الذي يعالج الفروق بين عينتين مترابطتين ولا يشترط اعتدالية التوزيع مع تعامله مع البيانات الترتيبية، والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول 10: اختبار ولككسون للفروق في مستوى الامتثال بين القياس القبلي والقياس الثاني من التجربة الثانية

القياس	متوسط الرتب	الانحراف المعياري	قيمة ز	الدلالة	القرار
القبلي	4.89	0.33	- 2.456	0.014	توجد فروق
البعدي	1.44	2.24			

إذن من خلال الجدول يتضح أن مستوى الدلالة أقل من 0.05 وهو مطابق لمستوى الدلالة للقياس الأول من التجربة الثانية ما يشير إلى ثبات النتيجة التي تؤكد وجود فروق بين القياسين، لصالح القياس القبلي بمتوسط (3.78)، أي أن هناك انخفاض في مستوى الامتثال، وهذا ما هو جلي عند قراءة النتائج بين القياسين عند أفراد العينة، والموضحة في الجدول التالي:

جدول 11: نتائج مستوى الامتثال في القياسين القبلي والقياس الثاني من التجربة الثانية

القياس القبلي			القياس الثاني: مع مجموعة الحلفاء الثانية		
مستوى الامتثال	التكرار	النسبة	مستوى الامتثال	التكرار	النسبة
عدم امتثال	0	0	عدم امتثال	6	66.7
امتثال في محاولة واحدة	0	0	امتثال في محاولة واحدة	0	0
امتثال لمحاولتين	0	0	امتثال لمحاولتين	0	0
امتثال لثلاث محاولات	0	0	امتثال لثلاث محاولات	1	11.1
امتثال لأربع محاولات	1	11.1	امتثال لأربع محاولات	0	0
امتثال لخمس محاولات	8	53.3	امتثال لخمس محاولات	2	22.2
المجموع	9	100	المجموع	9	100

يظهر من خلال الجدول التغير الحاصل في مستويات امتثال الأطفال بين القياس القبلي والقياس الثاني من التجربة الثانية. حيث من أصل 9 أطفال من ذوي المستوى العالي من الامتثال كما يظهر القياس القبلي، تغير رأي 6 منهم بنسبة 66.7% إلى عدم الامتثال في كل المحاولات التجريبية، وطفل واحد انخفض امتثاله إلى ثلاث محاولات، وبقي طفلان محافظين على نفس المستوى، وهذه النتائج النهائية تؤكد الانخفاض الحاصل في مستوى الامتثال من خلال التجربة الثانية. وللكشف عن الفروق بين القياسات الثلاث (القبلي، القياس الأول من التجربة 2، القياس الثاني من التجربة الثانية)، أجرينا اختبار فريدمان الذي يعالج الفروق بين أكثر من عينتين مترابطتين ولا يشترط اعتدالية التوزيع مع تعامله مع البيانات الترتيبية، والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول 12: اختبار فريدمان للفروق بين القياسات القبلي والثاني من التجربة الثانية في مستوى الامتثال

القياس	المتوسط	الانحراف المعياري	أقل قيمة	أعلى قيمة	العينة	مستوى الدلالة	القرار
القبلي	4.89	0.33	4	5	9	٠ ٥ ٥	٠٫٠٥ >

الأول من تج2	1.56	2	0	5			
الثاني من تج2	1.44	2.24	0	5			

إذن يتضح من خلال الجدول أن هناك دلالة قوية لوجود فروق نظرا لكون مستوى الدلالة أقل من 0.01، وتعود الفروق للقياس القبلي ذا أعلى متوسط (4.89)، ما يشير إلى انخفاض في مستوى الامتثال الاجتماعي، وهذا ما توضحه قيم أقل وأعلى قيمة، حيث نجد أنهما في القياس القبلي تراوحا بين الامتثال في كل المحاولات أو أغلب المحاولات، في حين بلغت قيمتهما من خلال قياسات التجربة الثانية بين عدم الامتثال والامتثال في كل المحاولات. وقد وضحنا في النتائج السابقة أن أغلب أفراد العينة توجهوا من الامتثال التام إلى عدم الامتثال. والشكل (11) يوضح الانخفاض الحاصل من القياس القبلي إلى القياسات البعدية من التجربة الثانية.

شكل11: مستوى الامتثال بين القياسات القبلي والبعدي

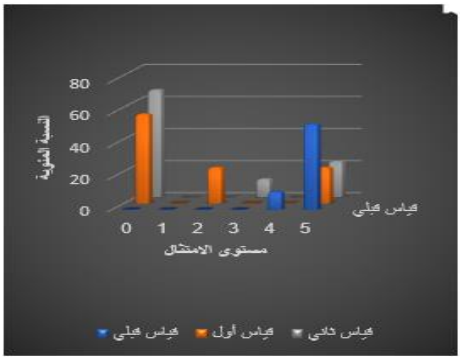

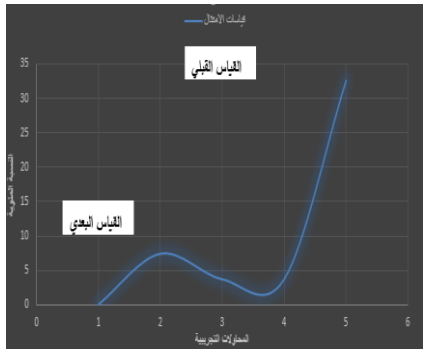

10. نتائج الدراسة

يتضح لنا من خلال النتائج المتوصل إليها في القياس القبلي ارتفاع مستوى اتباع الأطفال محل البحث للإجابة الخاطئة لمجموعة الرفاق، وهي ذات النتيجة التي توصلت لها (ابراهيمي كوثر، 2013) في دراسة حول أثر ضغوط جماعة الأقران على مستوى امتثال الطفل لكن بفئة عمرية مختلفة والبالغة من العمر (4-8) سنوات، ودراسة (Aiko Hanayama & Kazuo Mori, 2011, p.661-664) الذين توصلا إلى أن الأطفال بين 6-7 سنوات يمتثلون أكثر من البالغين، ودراسة (Sai Sun & Rongjun Yu, 2016) التي أظهرت أن أطفال 6 سنوات يظهرون الامتثال لرفاقهم حتى بعد مرور يوم واحد من التعرض لتجربة الامتثال، ما يدل على التأثير الهام الذي تحدثه جماعة الرفاق في الطفل، على الرغم من كونه أقل عمقا واستقرار مقارنة بالجماعات التي تتشكل في مرحلة المراهقة وهذا يرجع للفروق في المفاهيم النامية عن الصديق المقرب ومدى الحاجة له في تحقيق الاشباع العاطفي البديل عن الوالدين، إلا أنه لا نستطيع الحكم على غياب تأثير هذه الجماعة على الطفل التي يؤكد بياجيه على تميزها بعدة خصائص تتعلق بالتحرر من سلطة الآباء والتلقائية والتبادلية في العلاقات والتساوي في الدور وغياب الضبط والرقابة

الصارمة المفروضة من الوالدين، إضافة إلى العائد الإيجابي المرتبط بالسعادة والامتاع من خلال ممارسة أنشطة متنوعة مع الرفاق، الذين قد يرتفع مستوى تأثيرهم نتيجة لعوامل داعمة كالجماعة الأكثر جاذبية والتقارب المكاني والتماثل والجماعة الأكثر قيمة، ولكن ما قد نركز عليه أكثر من خلال نتائج القياس القبلي من هذه الدراسة، هو التأثير السلبي الذي استطاعت جماعة رفاق الطفل إحداثه في سلوك الطفل محل البحث، ونجاحها في تغيير رأيه فقط بتوحيد رأيها، فإمكانية تبني الطفل لسلوكات منحرفة كالتدخين والمخدرات والكحول وغيرها، مع احتمالية استمرار الطفل بتبني السلوك غير المقبول لمراحل عمرية متقدمة، يدل على الخطورة الممكنة لتواجد الطفل مع رفاق له، يسلكون بطريقة فيها خرق لقواعد السلوك المرعية في المجتمع، وقد يتجاوز ضغطها على الطفل؛ مجرد توحيد رأيها كجماعة، إلى أساليب تهديدية كالسخرية والإجبار، أوترغيبية كالإلحاح والإقناع والسماح بممارسة الأنشطة واللعب وغيرها من أساليب الثواب والعقاب، المختلفة بطبيعة الحال في مرحلة الطفولة في نوعيتها وشدتها عن غيرها من المراحل العمرية. وهذا ماقد يبرر الحاجة لضبط السلوك الامتثالي الذي حاولنا تحقيقه من خلال ما تطرحه نظرية روتر للتعلم الاجتماعي المعرفي، حيث قادت المهمة التجريبية الأولى إلى أن تقديم أنماط تعزيز مختلفة، لم يحدث أي تغيير في سلوك الممتثلين أو غير الممتثلين، ما طرح تساؤل حول فعالية هذه الإجراءات وجدوى التعزيزات المادية، خاصة وأنه عند سؤال الأطفال بعد إنهاء المهمة التجريبية عن سبب امتثالهم لسلوك رفاقهم وفيما إن كانوا يتوقعون من خلال هذا السلوك المخالف الحصول على تعزيز، حيث تم الملاحظة على جميع الأطفال عدم الإدراك الجيد للرابطة بين سلوك تنظيف القسم من الأوراق ونمط التعزيز المقدم، وهذا ما تشابه مع من لم يتلقى أي تعزيز، ما قد يفسر في اطار تعرض الطفل لموقف اختباري واحد مع جماعة الحلفاء، أي غياب عنصر التكرار الذي يساهم في تشكيل وتثبيت الرابطة بين السلوك والنتيجة، كما قد يصعب على الطفل توقع أنه سيكافأ مجددا في حال قام بسلوك يخالف جماعة الحلفاء لمجرد أنه مر بموقف وحيد طلب منه أن يقوم بسلوك ما (تنظيف القسم) وبالتالي هناك احتمالية لعدم إدراك الطفل لخطأ سلوك تمزيق الأوراق وعدم تنظيف القسم. وبالمقابل نجد تغيرا حصل في سلوك الأطفال الممتثلين في المهمة التجريبية الثانية التي أكدت نتائج القياس الأول من المهمة التجريبية الثانية على أهمية إدراك الطفل ووعيه لكون جماعة رفاقه (الحلفاء) يسلكون بطريقة خاطئة (الإجابات الخاطئة على المثيرات المعروضة)، وأكدت نتائج القياس الثاني من المهمة التجريبية الثانية على تكرار المحاولات التجريبية لتثبيت الرابطة بين السلوك والنتيجة، أي أن التوقع يكون فعالا إذا ارتبط بتكرار تعزيز ذا قيمة وليس بكمية قيمة التعزيز. وعلى العموم أثبتت نتائج كلا القياسين أن تشجيع ومدح رفقاء الطفل (الحلفاء) للسلوك الصحيح للطفل محل البحث يشكل تعزيزا ذا قيمة عالية، تكراره في الموقف يؤدي إلى تثبيت سلوك عدم الامتثال للسلوك الخاطئ. وبالتالي يمكن أن نستنتج أنه من أجل خفض السلوك الامتثالي لابد وأن تتضمن هذه العملية إجراءات مرحلية تبدأ بتنمية إدراك الطفل للخاطئ والغير مقبول من السلوك ثم تعريضه لمواقف عملية مشابهة ومتكررة ضمن جماعة من الأطفال حيث يتم خلالها الربط بين أداء السلوك الصحيح والحصول على تعزيز ذا قيمة يرتبط بماتقدمه تلك الجماعة من تحفيز لأداء هذا السلوك من بين عدة

سلوكات خاطئة، والتكرار في المواقف يساعد الطفل على بناء توقع في أن سلوكه يؤدي للنتيجة المرغوبة. وبذلك فنموذج روتر يوفر إطارا صادقا وفعالا من الناحية الوظيفية، وتفاعل المتغيرات، وليس عمل واحد فقط، هو أكثر فاعلية وقوة في الأداء السلوكي. هذا وقد تم التعبير عن ذلك من قبل (Marilyn Sokolof, 1972, p6) حيث وجد أن هناك لتأثيرات مستقلة وتفاعلية للتوقع، وقيمة التعزيز، والموقف السيكولوجي على الأداء في مهمة حركية بسيطة وهذه النتيجة تتماشى حسبه مع ما توصل له باحثون كـ (Diner,1969; Gold,1967; Watson & Baumal,1967) من أن التفاعل بين التوقع وحدوث التعزيز عزز التعلم اللفظي والحركي، وعليه بناءا على ما تقدم فقد تحقق هدف الدراسة الأساسي وهو وجود إمكانية لخفض السلوك الامتثالي عند طفل المرحلة الابتدائية استنادا على المتغيرات التي تطرحها نظرية روتر للتعلم الاجتماعي المعرفي.

خاتمة:

إن النتائج المتوصل لها والمنبثقة عن توظيف امبريقي لنظرية روتر وبحث اجرائي في متغيراتها تشير إلى أهمية هذه النظرية التفسيرية في الأصل، بالرغم من صعوبة الجزم بكونها الفاعل الوحيد في تعديل السلوك الامتثالي للأطفال، الذي وإن خضع إلى الضبط التجريبي بصفته أعلى اهداف البحث العلمي، يبقى كسلوك انساني يخضع لمعيار التعقيد المنبثق من تداخل عدة عوامل يصعب التحكم فيها، ما يشير إلى الحاجة لمزيد من الدراسات التجريبية لظاهرة الامتثال الاجتماعي من منطلقات نظرية أخرى أو من متغيرات بحثية أخرى، تزيد من إمكانية فهم هذا النمط من السلوك عند مختلف الفئات العمرية. خاصة مع قلة هذه الأبحاث على المستوى العربي والمحلي (الجزائري).

قائمة المراجع

1. إبراهيمي كوثر (2013)، أثر ضغوط جماعة الأقران على مستوى امتثال الطفل (8-4) سنوات: دراسة تجريبية على عينة من الأطفال المتواجدين ببلدية سيدي عقبة. رسالة ماجستير غير منشورة في تخصص علم النفس الاجتماعي، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

2. فيروز زرارقة (2014)، الأسرة والانحراف: بين النظرية والتطبيق، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان.

3. عبد الرحمن العيسوي (2011)، الجنوح وأطفال الشوارع، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.

4. فتيحة كركوش (2011)، ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

5. Asch Solomon (1955), Opinions and Social Pressure, Sientific American, V(193), N(5), Retrieved from https://www.lucs.lu.se/wp-content/uploads/2015/02/Asch-1955-Opinions-and-Social-Pressure.pdf

6. Aiko Hanayama, Kazuo Mori (2011), Conformity of Six-Year-Old Children in the Asch Experiment without Using Confederates.

Psychology, V(2), N(7), 661-664. Retrieved from https://file.scirp.org/pdf/PSYCH20110700013_97108472.pdf

7. Julian Rotter (1954), Basic Concepts. In j. Rotter, *Social learning and clinical psychology*, Prentice-Hall,NJ, US. Retrieved from http://dx.doi.org/10.1037/10788-005

8. Sai Sun , Rongjun Yu (2016), Social conformity persists at least one day in 6-year-old children, Retrieved from https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5175193/?report=reader

9. Thomas Berndt (1979), Developmental changes in conformity to peers and parents, Developmental Psychology, V(15), N(6), Retrieved from http://dx.doi.org/10.1037/0012-1649.15.6.608

10. Marilyn Sokolof (1972). the effect of expectancy, reinforcement value, and skill,vs, chance situations on a simple performance task, Retrieved from http://ufdcimages.uflib.ufl.edu/UF/00/09/76/42/00001/effectofexpectan00sokorich.pdf

واقع التحولات المجالية غير الفلاحية بالمجال الساحلي لمنطقة الغرب بالمغرب

أ. عبد الرحيم قصباوي، دكتور في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة-المغرب.
أ. طريق كويسي، طالب باحث في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة- المغرب.

The reality of non-agricultural spatial mutations in the coastal space of the Gharb area of Morocco

Abderrahim KASBAOUI, Ph.D. in Geography, Ibn Tofail University, Faculty of Arts and Humanities, Kénitra –Morocco.
Tarik COUISSI, Ph.D. student, Ibn Tofail University, Faculty of Arts and Humanities, Kénitra –Morocco.

ملخص: يتجلى الهدف من هذا البحث في إبراز التحولات التي عرفها ساحل منطقة الغرب، خاصة التحولات المرتبطة بالأنشطة غير الفلاحية، وتحديد انعكاساتها على الساكنة والوسط البيئي، مع الوقوف على بعض الإكراهات التي تحد من تطور الأنشطة غير الفلاحية بساحل الغرب، لاسيما ذات الطابع الاقتصادي، لما تلعبه من دور في تحقيق التنمية.

فالمجال المدروس عرف دينامية مجالية كبيرة، غيرت المشهد الجغرافي، خاصة على مستوى السكن والشبكة الطرقية، نظرا لما يزخر به من مؤهلات طبيعية ساعدت على استقرار السكان وزيادة الاستثمارات.

الكلمات المفتاحية: التحولات، ساحل الغرب، السكن، التنمية، المشهد الجغرافي، مؤهلات طبيعية.

Abstract: The purpose of this research is to highlight the mutations which are known by the coastal area of Gharb, particularly those related to non-agricultural activity, and to determine its impact on the population and the environment, taking into account some constraints that limit the development of non-agricultural activity of the coastal of Gharb, chiefly the economic nature because of its role in achieving development.

The studied area has known a great spatial dynamic, which changed the geographical landscape, especially at the level of housing and road network, due to its abundant natural potentialities that helped to stabilize the population and increase investments.

Keywords: Mutations, Coastal of Gharb, Habitat, Development Geographical landscape, Natural potentialities.

تقديم

عرف المغرب تحولات مجالية مهمة خلال القرن العشرين، حيث تميز بدينامية متواصلة، لاسيما على مستوى التعمير وتغير المشاهد الفلاحية بالموازاة مع زيادة وثيرة نمو السكان وارتفاع متطلباتهم. وتعد المجالات الريفية من أهم المناطق التي عرفت تغيرا بارزا نتيجة تسارع وثيرة التحول المجالي.

وفي خضم هذه التغيرات يعتبر الشريط الساحلي للغرب، من أكثر المناطق المغربية التي عرفت تحولات مجالية وسوسيواقتصادية متعددة، خاصة في العقود الأخيرة من القرن العشرين. فقد كان للموقع الجغرافي وما يزخر به من مؤهلات طبيعية متنوعة، دور كبير في حدوث عدة تحولات ساهمت في تغير المشهد الجغرافي؛ منها ما ارتبط بالنشاط الفلاحي وأخرى مجالية غير فلاحية.

فقد مست التحولات المجالية غير الفلاحية التي عرفها ساحل منطقة الغرب، تهيئة السكن القروي والشبكة الطرقية ومختلف التجهيزات العمومية.

1- الإطار المنهجي للبحث

1-1 إشكالية الدراسة

تتلخص إشكالية التحولات المجالية غير الفلاحية بساحل الغرب، في الوقوف على مظاهر وأشكال التحولات التي مست مرافق متعددة وأثرت بشكل إيجابي على السكان والاقتصاد المحلي والوطني من جهة، وبشكل سلبي على الوسط الطبيعي –البيئي- من جهة ثانية. وقد مست هذه التحولات المسكن القروي وشبكة المواصلات وانتشار وحدات متعددة للصناعة الغذائية.

لذا، سنعمل على دراسة هذه الإشكالية من خلال الإجابة عن السؤالين التاليين:

-ما هي مظاهر التحولات المجالية غير فلاحية بساحل الغرب؟

-وما انعكاساتها المجالية على السكان والوسط البيئي؟

1-2 فرضيات البحث

تم الانطلاق في دراسة هذا الموضوع من فرضيتين:

-عرف المجال الساحلي لمنطقة الغرب تحولات كبيرة ذات طابع غير فلاحي، مما غير من المشهد الجغرافي.

-أن التحولات المجالية الحديثة بهذا المجال كانت لها انعكاسات مجالية متعددة، خاصة على مستوى البيئة والحد من استدامة الموارد الطبيعية.

1-3 أهداف البحث

يتجلى الهدف من هذا البحث في محاولة تسليط الضوء على مظاهر التحولات التي أضحت تميز المجال الساحلي لمنطقة الغرب، لاسيما ما يتعلق بأشكال السكن ومميزاته، ودراسة التطور الذي حدث على مستوى الشبكة الطرقية وبعض الأنشطة الاقتصادية التي كانت لها مساهمة في تحول المجال المدروس.

1-4 منهجية البحث

اعتمدنا في معالجة هذا الموضوع على المنهجين التاريخي والإحصائي، من خلال استغلال نتائج دراسة ميدانية، لإبراز التحولات التي عرفها ساحل الغرب، خاصة على مستوى الأنشطة غير

الفلاحية، حيث تم إجراء استطلاع رأي 290 فردا موزعة على 10 دواوير للدراسة الميدانية، والتي شملت خمس جماعات ترابية على طول الشريط الساحلي للغرب، بنسبة 15% من مجموع أرباب الأسر. إلى جانب الاعتماد على بعض المعطيات الإحصائية، المحصل عليها من المؤسسات العمومية ذات الصلة بالموضوع.

1-5 دور الموقع الجغرافي في التحولات المجالية غير الفلاحية

يقع المجال الساحلي للغرب على طول الجزء الغربي لمنطقة الغرب، حيث يطل مباشرة على المحيط الأطلنتي، ويتميز بطبوغرافية متنوعة تتشكل من الكثبان الساحلية والمنخفضات، مع وجود انحدارات في الأجزاء الشرقية والشمالية الشرقية في اتجاه السهل. ثم سيادة مناخ متوسطي مع تأثيرات محيطية، إذ يتميز نظام الأمطار بعدم الانتظام من سنة لأخرى. (شكل رقم 1)

ساعد هذا الموقع الجغرافي، من خلال ما يتوفر به من خصائص طبيعية، على استقرار السكان وتزايد حجم الاستثمارات الوطنية والأجنبية، إذ أضحى يتميز بشبكة طرقية مهمة، تساهم في ربط المجال القروي (الريفي) بمختلف المراكز الحضرية، سواء منها القريبة كمدينة القنيطرة، أو بعض المدن الكبرى كالرباط والدار البيضاء.

كان لهذه العوامل المرتبطة بالموقع دور كبير في مختلف التحولات المجالية والسوسيواقتصادية.

شكل رقم 01: موقع ساحل الغرب ضمن جهة الرباط- سلا- القنيطرة

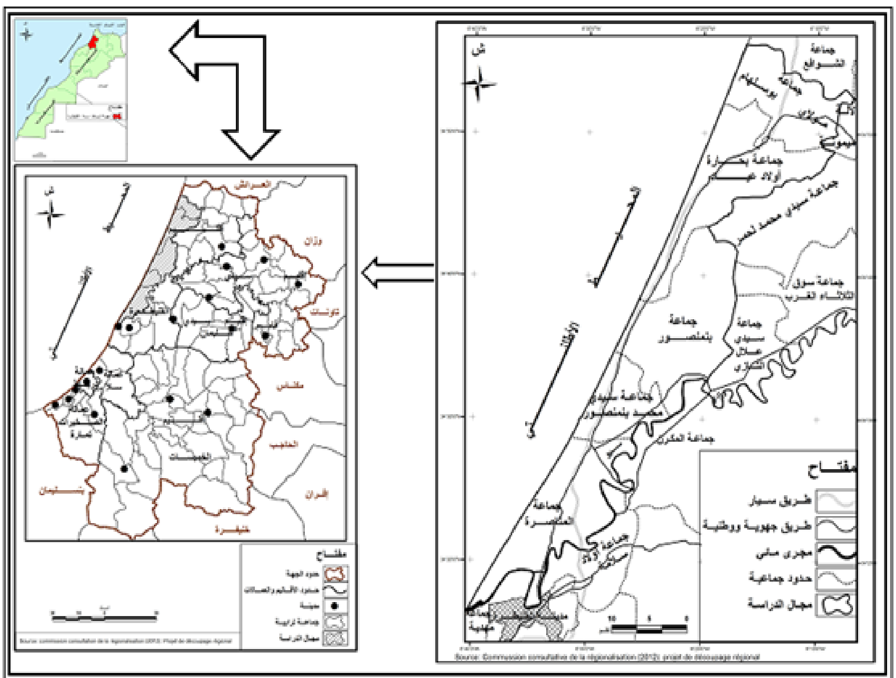

2- مظاهر التحولات المرتبطة بالسكن الريفي

2-1- خصائص السكن بالمجال المدروس: تجمع بين القديم والحديث

يعد المسكن إحدى أبرز المنشآت البشرية التي تميز المجالات القروية بالمغرب، كما أنه أهم المكونات الأساسية للبنيات الفلاحية، خاصة وأن مفهوم السكن يختلف بين المدينة والبادية(المختار الأكحل، 2004، ص221).

ظلت منطقة الغرب حتى بداية القرن العشرين، خالية من أي تجمع سكني حضري (محمد حنزاز، 2005، ص81)، باستثناء بعض الأرياف المحدودة، إذ كانت القبائل تعيش في نظام مبني على نصف الترحال، بين المناطق الزراعية الضيقة والمجالات الرعوية الشاسعة، لكن مع التطورات التي عرفتها منطقة الغرب أصبح السكن الريفي أكثر انتشارا.

يعتبر السكن القروي من بين المعايير الأساسية لتصنيف الفئات الاجتماعية في منطقة الغرب والمجال الساحلي بشكل خاص، سواء تعلق الأمر بالمنازل المشكلة من الإسمنت والمواد الصلبة أو الطين، وعلاقتهما بالتجهيزات الضرورية للحياة: كالماء الشروب والكهرباء. كما أن أنواع السكن عادة ما تعطي فكرة عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسر.

فقد ساهمت الموارد الطبيعية بشكل فعال في تطور السكن وزيادة أعداده بساحل الغرب، نتيجة خصوبة التربة ووفرة المياه وملاءمة عناصر المناخ، ودور هذه العوامل في ازدهار اقتصاد السكان، مما دفعهم لتحسين سكنهم. فضلا عن فعالية المرأة القروية فيما عرفه المسكن القروي من تحولات، خاصة على مستوى مواد البناء وطبيعة الشكل الذي أصبح عليه في الوقت الراهن.

2-1-1- تطور السكن القروي

ساهم تحول أنماط العيش، وتحسن الأنشطة الاقتصادية، والرفع من مداخيل السكان، في تطور السكن. فقد كانت المنازل تتأثر بالوسط الطبيعي الذي تستمد منه مواد البناء، ويتلاءم مع الظروف المناخية السائدة، إذ ظل توزيع المباني من حيث الانتشار يتميز بالتفرقة والتباعد؛ نتيجة شساعة الأراضي وضعف السكان. لكن فترة التسعينات وحتى أواخر القرن العشرين عرفت تهافتا كبيرا على الأراضي، وأصبح انتشار السكن مكثفا.

يبدو من خلال معطيات الخريطة رقم 2، أن مجالات المرجات والضايات أقل كثافة سكنية، إذ أن التجمعات المائية تعتبر عوامل طرد للسكان، في حين باقي الأراضي تعرف انتشارا بشكل متفاوت، إلى جانب وجود تجمعات كثيفة، كما هو حال مركز مولاي بوسلهام بالقرب من المرجة الزرقاء وبعض التجمعات الجزئية على طول مجال الدراسة.

يعتبر تجمع المباني في شكل دواوير من الخصائص التي تميز السكن الريفي بمنطقة الغرب، وذلك من حيث مساحتها وحجمها الديمغرافي وموقعها وموضعها (عبد الصادق بلفقيه، 1991، ص102). إلى جانب هذا فإن تطور السكن يساهم في تراجع المساحات المخصصة له في عدة دواوير، إذ أن بعضها قد استهلك بشكل كامل مجال توسعها، وهو ما دفع إلى استغلال مجالات زراعية.

شكل رقم 02: توزيع السكن بمجال الدراسة (وضعية سنة 2000)

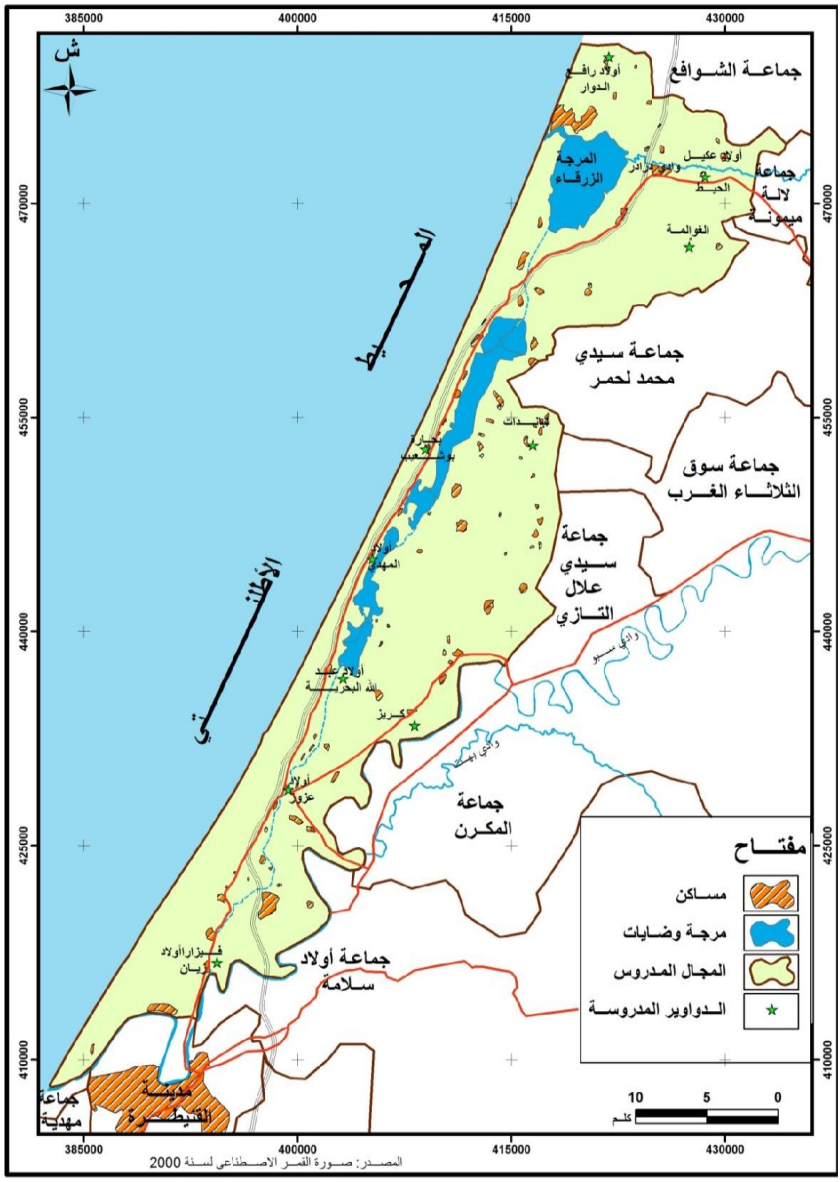

2-1-2 يتميز السكن بأشكال متنوعة

عرف السكن تحولات عميقة، أبرزها الاختفاء شبه الكلي للمباني التقليدية، خاصة تلك التي تعتمد على المواد الهشة؛ كالطين والخشب، ولم تبقى سكن رئيسي إلا عند الفئات الضعيفة جدا من حيث المداخيل.

شكل رقم 03: أنواع السكن بالمجال المدروس

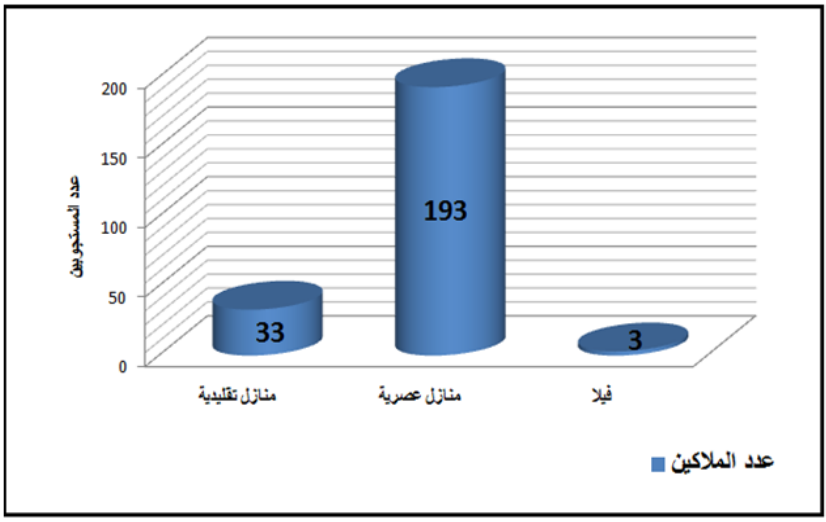

المصدر: البحث الميداني، 2015-2016.

تعتبر المنازل العصرية النوع الأكثر انتشارا بساحل الغرب (84.28%)، وهي أحد مظاهر المباني التي تتشكل من المواد الصلبة في البناء، وتتضمن تجهيزات منزلية عصرية ومتطورة، أما الماء فأغلب السكان يعتمدون على الآبار الخاصة في عملية التزود. وبالمقابل برزت مظاهر التحول في تراجع المنازل التقليدية، إذ وجدنا 33 أسرة فقط تملك هذا النوع من أصل 290. وحسب طبيعة الدخل، فإن هناك بروز للبناء من صنف فيلا، مقتصرا على الأغنياء وبعض المهاجرين.

إن كل الدواوير المدروسة ميدانيا عرفت تحولا في طبيعة السكن، فبعد أن كان السكان يعيشون في الخيمات والمنازل التقليدية، أصبحوا اليوم يملكون منازل ذات مميزات عصرية، على مستوى البناء. إلا أن وظيفة المسكن في العالم القروي، لم يطرأ عليها أي تغيير، خاصة عند ارتباطها بالنشاط الفلاحي، فالمسكن يقوم بإيواء الأسرة، ووظيفة اقتصادية تتمثل في إيواء الماشية، وخزن المنتوجات الزراعية وممارسة بعض المهن، لاسيما التي لها علاقة بالإنتاج الزراعي، من خلال تخصيص بعض المنازل كمحلات لبيع المواد الفلاحية كالآلات والأدوية ...

مست التحولات كذلك المساحة المخصصة للسكن، إذ أنه بالمجلات الريفية عادة ما كانت تحيط بحوزته مساحة تسمى **"زْريبة أو بْحيرة حسب السكان"**. لكن مع التزايد السكاني وتوسع المساحات الزراعية على حساب مساحة السكن، تراجعت هذه الأخيرة وأصبحت العديد من الأسر تملك السكن دون زريبة.

جدول رقم 01: توزيع الأسر حسب مكونات السكن

طبيعة السكن	منزل من كتلة واحدة		منزل مزدوج		نوع آخر		المجموع
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	
الدواوير المدروسة	87	38	141	61.57	1	0.43	229

المصدر: البحث الميداني، 2015-2016.

تم التوصل من خلال نتائج الدراسة الميدانية إلى كون 38% من الأسر، تقطن بمسكن دون زريبة أو مساحة مجاورة، وهي نسبة مرتفعة، تبرز لنا مدى التحول السريع فوق الأراضي الفارغة، في حين أن 61.57% يتوفرون على مسكن بطابع تقليدي من حيث المميزات المساحية. ومن خلال التساؤل عن الأسباب، تبين أن قلة المساحة المجاورة حدث بفعل عملية التزاوج، إذ أن الابن بعد زواجه يلجأ إلى بناء سكن خاص، حتى أصبح عدد المساكن بكثرة والمساحة المجاورة ضيقة. ثم توسع الزراعة، خصوصا مع تطور تقنيات السقي ووفرة المياه، حيث أضحت الزراعة تحاذي جوانب المسكن.

2-1-3 نوعية مواد البناء

يعد الإطار المبني من المظاهر الملفتة للانتباه، التي اجتاحت ساحل الغرب، إذ أن انتشار وتوسع السكن الصلب يظهر أن سرعته ارتفعت بشكل كبير في السنوات الأخيرة، موازاة مع بعض التجهيزات التي عرفها العالم القروي؛ كالتزود بالكهرباء وتحسين جودة الطرق التي تسهل إمكانية نقل المواد من المراكز الحضرية؛ كالحديد والإسمنت. خاصة وأن القرى المغربية عرفت اهتماما متزايدا بمواد البناء المصنعة مقابل المواد الخام المحلية، أو المزج بينهما حسب الإمكانات المتاحة لصاحب المسكن، وبالتالي الحديث عن صفة التعدد والتباين التي تطبع المساكن بالبادية المغربية (المختار الأكحل، 2005، ص50).

لقد ساهم الماء بشكل كبير في مختلف التحولات التي مست مواد البناء، نظرا لفعاليته في الرفع من جودة النشاط الزراعي، وبالتالي الرفع من المداخيل والتغلب على المواد الضرورية للبناء.

2-2 ضعف التجهيزات الضرورية بأغلب المساكن

لازالت أغلب المنازل السكنية بالمجال الساحلي للغرب، تعاني العديد من الإكراهات من حيث التجهيزات، رغم الأهمية التي تحظى بها السواحل المغربية، بعضها يمكن القول أن السكان من يتحملون مسؤولية عدم توفرها، نظرا لوجودها دون عناء أو أداء، كالماء الشروب الذي لا يشكل أي معاناة لهم، باستثناء بعض الدواوير التي تجلب الماء الشروب من نقط توزيع بعيدة عن المنازل.

جدول رقم 02: التجهيزات العمومية للمسكن بالدواوير المدروسة

نوع التجهيزات	الكهرباء		الماء الصالح للشرب		مياه الآبار		شبكة التصريف الصحي	
	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
العينة المدروسة	229	0	1	228	229	0	0	229

المصدر: البحث الميداني، 2015-2016.

إن السمة التي تميز معظم المساكن بمجال الدراسة، هي الضعف الكبير في التجهيزات العمومية، ما عدا التزود بالكهرباء الذي أضحى يغطي المجال الساحلي، بنسبة تقارب 100%، باستثناء المنازل الراقية بالتجمعات السكنية الحضرية (مركز مولاي بوسلهام وبعض جوانب مراكز الجماعات).

جدول رقم 03: تجهيزات المسكن الخاصة

التجهيزات	مطبخ وحمام		تلفاز		ثلاجة		هاتف نقال		بئر خاص بالمسكن	
	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
العينة المدروسة	229	0	229	0	195	34	202	27	89	140

المصدر: البحث الميداني، 2015-2016.

أصبحت المعدات الداخلية، من مطبخ وحمام، موجودة في كل المساكن، إلى جانب التلفاز الذي يوجد عند جميع الأسر، التي شملتها الدراسة الميدانية، أما آلة التبريد والهواتف النقالة، فقد عرفت انتشارا كبيرا داخل الأسر، نظرا لمكانتها في المجتمع.

على مستوى الآبار الخاصة بالمسكن، لتلبية حاجيات الأسر من الماء الشروب والاستعمال المنزلي فإنها تبقى أقل التجهيزات، إذ أن 89 أسرة لها بئر خاص، في حين 140 أسرة لا تتوفر عليه، وتجلب المياه من الآبار التي تسقى منها المزروعات، الشيء الذي يسبب للسكان عدة مخاطر، بفعل اختلاط المياه مع المواد المخصبة والروائح المنبعثة من المحركات المخصصة للضخ.

3- ظهور مراكز قروية بطابع تمدني

يتضمن المجال الساحلي للغرب مركزا قرويا، ذو طابع تمدني من حيث أشكال البناء، ومراكز الإيواء، وبعض الأنشطة السياحية (مركز مولاي بوسلهام)، ثم مركز جماعة بنمنصور، رغم صغر حجمه وضعف أهميته، فإنه يسير نحو التوسع والهيكلة.

تتعدد مشاكل المراكز القروية على المستوى العقاري والبيئي والاقتصادي والاجتماعي، رغم وجود عدة تجزئات عقارية، لم تخضع لأي معيار قانوني منذ عدة سنوات. إلا أنه في الوضع الراهن أصبح السكان يشيدون منازلهم اعتمادا على قوانين؛ كالتراخيص وتصاميم البناء، كما هو الشأن بالنسبة لمركز مولاي بوسلهام، ثم وضع تصاميم لأحياء وتجزئات من طرف الجهات المسؤولة عن سياسة التعمير بإقليم القنيطرة. فالمركز يتوفر على مؤهلات سياحية جذابة، تساهم في الرفع من قيمة الازدهار الاقتصادي، تتجلى في المرجة الزرقاء وشاطئ مولاي بوسلهام، خصوصا وأن السياحة بالمغرب أصبحت من القطاعات ذات الأولوية في الاقتصاد الوطني، خاصة مع الأهمية التي منحت لهذا القطاع في المخططات الاقتصادية.

شكل رقم 04: توسع السكن على حساب الغابة والأراضي الفلاحية بمركز مولاي بوسلهام

المصدر: صورة كوكل اورث، 2018/07/30

يعتبر تزايد السكان بمركز مولاي بوسلهام سببا رئيسيا في توسع المجال المبني، فقد تطور عدد السكان بشكل كبير بين فترات الإحصاء التي قامت بها المندوبية السامية للتخطيط.

جدول رقم 04: تطور سكان مركز مولاي بوسلهام

السنوات	1994	2004	2014
عدد السكان	855	5693	7372

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنوات: 1994 – 2004 – 2014.

لقد تمت زيادة عدد السكان بالمركز بوثيرة سريعة، لاسيما في الفترة الممتدة بين 1994 و2004، حيث تزايد العدد بـ 4838 نسمة، ثم تراجعت حدة التزايد بين 2004 والإحصاء الأخير لسنة 2014، إذ تزايد فقط بـ 1679 نسمة.

تم تسجيل نفس وثيرة الزيادة على مستوى الأسر، إذ ارتفعت من 220 سنة 1994 إلى 1693 أسرة سنة 2014، وبالتالي فإن تزايد عدد السكان واكبه تزايد الأسر.

ترتبط ساكنة مركز مولاي بوسلهام بالعالم الخارجي بمختلف مكوناته، خاصة على مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية، حيث يتم نقل الثقافة الحضرية إلى هذا المركز، إما عن طريق الأمهات المنحدرات من المدن أو الأبناء الذين يقيمون بها، إما للدراسة أو العمل.

يزخر مركز مولاي بوسلهام بعدد مهم من المصالح العمومية، التي تساعد السكان على تلبية احتياجاتهم الضرورية، إذ توجد به: دار الجماعة، قيادة، مستوصف، الطب العام، صيدلية، مركز البريد، مدارس ابتدائية، إعدادية، دار الشباب، وحدات بنكية... . ورغم وجود هذه المعطيات، فإنه يعاني من نقص بعض التجهيزات.

بالنسبة لمركز حد أولاد جلول بجماعة بنمنصور، فإنه ظل يعاني نقص العديد من الخدمات لسنوات طويلة، فحتى سنة 2012 لم يكن المركز يتوفر إلا على مدارس ابتدائية ومستوصف

وبعض الخدمات الخاصة، ولازال يعاني نقص بعض المرافق الأساسية، إذ تعد مدينة القنيطرة الحل الأبرز بالنسبة للسكان، قصد القيام بمصالحهم الشخصية.

3-1 أشكال البناء

على مستوى أشكال البناء، يتوفر مركز مولاي بوسلهام على أنواع راقية من المباني، مثل الفيلات التي أصبحت منتشرة بجانب الشاطئ، يستغل جزء منها للكراء خلال فصل الصيف، نتيجة زيادة السياح، مع الانتشار الكبير للبناء من نوع دور مغربية. إلى جانب هذا عرف المركز توسعا للسكن العشوائي بهوامشه، وهو ما يشكل أحد أكبر الإكراهات التي تواجه التطور الحضري في غياب أي تدخلات جذرية للحد من هذا الانتشار.

شكل رقم 05: نموذج السكن من نوع فيلا بمركز مولاي بوسلهام

المصدر: تصوير شخصي، غشت 2015

3-2 إكراهات تحد من تطور مركز مولاي بوسلهام

رغم الإمكانات التي تتوفر بمركز مولاي بوسلهام، فإنه لازال يعاني من نقص جودة الطرق وقلة الفضاءات الإيكولوجية، باستثناء الطبيعة الخلابة للمرجة الزرقاء والشاطئ المحاذي له، إلى جانب التوسع العشوائي للمباني الذي يؤثر سلبا على الغطاء الغابوي والأراضي الصالحة للزراعة، فضلا عن غياب مشاريع تنموية كبرى؛ كالصناعات التي بإمكانها تحسين الوضع الاقتصادي للسكان، مما يتطلب التدخل في هذا المركز، قصد تحسين وضعه البيئي والاقتصادي والاجتماعي، حتى يرقى لتطلعات السكان والسياح.

شكل رقم 06: تفاقم حجم النفايات الصلبة وتدهور الوسط البيئي بمركز مولاي بوسلهام

المصدر: تصوير شخصي، غشت 2015

4- تطور شبكة الطرق والمواصلات

الشبكة الطرقية هي أداة لفك العزلة بين المجالات، وخاصة ربط المجال القروي والحضري فيما بينهما. فالبنيات التحتية، لاسيما الطرق تساهم في تسريع وثيرة التحولات المجالية والرفع من مستوى التنمية المحلية(عبد الرحيم قصباوي، 2019، ص239)، فهي تلعب دورا مهما في النهوض بقطاع المواصلات، والتبادل التجاري بين المجال المدروس وباقي المناطق التي تشكل مراكز استقطاب المنتوجات المحلية، كما أن للطرق دور كبير في فك العزلة عن العالم القروي.

وانطلاقا من دراستنا للشبكة الطرقية بالمجال الساحلي للغرب وربطها بإقليم القنيطرة، اتضح أنه إلى جانب ضعفها، هناك تدهور حاد في جودة الطرق المتوفرة، مما يعمق معاناة السكان.

ورغم هذا الوضع، فقد ساعد الموقع الجغرافي للساحل على الاستفادة من تنوع الشبكة الطرقية، إذ نجد الطرق الوطنية والجهوية والإقليمية، ومرور الطريق السيار وخط القطار الفائق السرعة، على طول ساحل الغرب، مما يساهم في ازدهار التنمية المجالية.

شكل رقم 07: توزيع الشبكة الطرقية بمجال الدراسة

عرفت الشبكة الطرقية تطورا في العشرين سنة الأخيرة، نتيجة الاستفادة من البرنامج الوطني للطرق القروية بالمغرب الأول والثاني[1]، والذي تضمن إنشاء عدة طرق جديدة وتهيئة وتحسين جودة الطرق المتوفرة. ويعتبر مرور الطريق السيار على طول الشريط الساحلي، من أبرز العوامل التي عززت الشبكة الطرقية بهذا الأخير، فهو من التجهيزات التي ساهمت في الرفع من النسيج الاقتصادي وتطويره، وتقوية التبادل مع باقي المناطق الكبرى بالمغرب، لاسيما المدن المجاورة، مثل سلا والرباط والعرائش وطنجة.

يعد كذلك الخط السككي الخاص بالقطار الفائق السرعة (TGV)، من التحولات المجالية بساحل الغرب. فرغم ما يقدمه من سهولة في عملية التنقل بين المدن، إلا أنه ساهم في تغيير المشهد البيئي، من خلال اجتثاث العديد من الغابات التي صادف موقعها الخط السككي، ثم هدم العديد من المنازل وتحويلها إلى مجال آخر، ناهيك عن تدهور مساحات شاسعة، كانت تستغل في الزراعة، مع تدهور جودة المياه الباطنية بفعل التلوث (OFFICE NATIONALE DE CHEMIN DE FER, 2010, p89) الناتج عن عملية أشغال البناء وتسرب المواد المستعملة في الآلات الميكانيكية إلى السدائم الباطنية التي تستغل للشرب وسقي المزروعات.

5- انتشار وحدات الصناعة الغذائية

أدى ازدهار النشاط الزراعي بمنطقة الغرب عامة، إلى إنشاء عدد من الوحدات المتخصصة في الصناعة الغذائية، وخاصة المرتبطة بمنتوجات الخضر والفواكه والصناعات السكرية والزيتية.

يضم إقليم القنيطرة وحدات متعددة للصناعة الغذائية، تتركز أغلبها على الشريط الساحلي، لما يعرفه من وفرة لمنتوجات الخضر والفواكه.

[1] - المرحلة الأولى من 1995-2005 والثانية من 2005 إلى 2015

جدول رقم 05: أهم وحدات الصناعة الغذائية بساحل الغرب

الوحدات	طبيعة النشاط	الجماعة
STE AFREUR	معالجة وتصدير الخضر والفواكه	مناصرة
ABAZ (Avocatier)	معالجة توت الأرض (الفراولة)	مناصرة
AGROGAILES S.A.R.L	معالجة الفراولة والعنب وتوت العليق	بحارة أولادعياد
SABIMA (EX ZAOUBAC)	معالجة الفراولة والعنب وتوت العليق	بنمنصور
DRICOLL'S (EX ALCONIRA)	معالجة توت العليق	مولاي بوسلهام
FRE SOUER	معالجة الفراولة	مولاي بوسلهام
FRAMACO	معالجة الفراولة	مولاي بوسلهام
FRUIT SUN	معالجة الفراولة	مولاي بوسلهام
FRIGODAR	معالجة الفراولة	مولاي بوسلهام
PALMA FRUIT	معالجة الفراولة	مولاي بوسلهام
COOP DRADER	الفراولة وتوت العليق	مولاي بوسلهام
MERJA EXPORT	إنتاج السلطة من نباتات مختلفة	مولاي بوسلهام
AROM FRE SH	معالجة نباتات عطرية مختلفة	مولاي بوسلهام

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لكل من الغرب واللوكوس، 2015.

انطلاقا من هذه المعطيات، يمكن القول أن ساحل الغرب عرف تحولا مجاليا مرتبطا بانتشار وحدات الصناعة الغذائية، التي تركزت بالقرب من مكان الإنتاج. فالجماعة الترابية مولاي بوسلهام بحكم وجود زراعة توت الأرض (الفرولة) بشكل كبير، كانت لها الأهمية في أن تعرف تركزا لأكبر عدد من الوحدات المخصصة في معالجة هذه الفاكهة.

لقد ساهم تركز وحدات الصناعة الغذائية بمجال الدراسة، في توفير فرص الشغل وتحسين المستوى الاقتصادي للعديد من الأسر، بحيث تستقبل هذه الوحدات عددا كبيرا من العمال، لاسيما في صفوف الإناث من مناطق خارج مجال الدراسة، فضلا عن مساهمتها في الرفع من قيمة المنتوجات المحلية وتثمينها.

خاتمة

عرف المجال الساحلي لمنطقة الغرب، تحولات مجالية غير فلاحية كبيرة، حيث أصبح يتميز بأشكال سكنية عصرية، تعتمد على مواد صلبة في البناء، مما أدى إلى انتشار واسع للبناء الصلب، على طول المجال الساحلي للغرب، مع ظهور مراكز سكنية بطابع تمدني. ويبقى مركز مولاي بوسلهام الأكثر تطورا وتوسعا، نظرا لموقعه الاستراتيجي المطل على البحر وأهميته

السياحية، خاصة أنه يجاور المرجة الزرقاء، التي تعد عاملا أساسيا في توسع وتطور أشكال السكن، لما لها من دور سياحي.

عرفت الشبكة الطرقية كذلك، تطورا مهما من خلال تحولات بارزة، فبعد أن ظلت جهة الغرب وخاصة الشريط الساحلي، يعاني نقصا في هذه الشبكة، أصبحت في الوقت الراهن تتميز بالتوسع وتحسين خدماتها، لاسيما بعد إنشاء الطريق السيار وخط القطار ذو السرعة الفائقة.

قائمة المراجع

1.المختار الأكحل(2004)، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية: حالة هضبة بنسليمان، دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط، المغرب.

2.محمد حنزاز(2005)، إشكالية الأراضي القابلة للتعمير بالمدارات المسقية بجهة الغرب الشراردة بني احسن، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 121، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.

3.عبد الصادق بلفقيه(1991)، مظاهر تطور السكن الريفي بمنطقة الغرب، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المغرب.

4.المختار الأكحل(2005)، التحولات المعاصرة للمسكن الريفي: حالة هضبة بنسليمان، سلسلة ندوات ومناظرات، عدد 121، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.

5.عبد الرحيم قصباوي(2019)، الماء والتحولات المجالية بساحل الغرب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المغرب.

6.المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنوات: 1994 – 2004 – 2014.

7.OFFICE NATIONALE DE CHEMIN DE FER(2010), Etude TGV Kénitra-Tanger; Etude d'impact sur l'environnement,

8.DIRECTION REGIONALE DE L'EQUIPEMENT ET DES TRANSPORTS DE KENITRA(2015), Carte réseau routier province de Kénitra et sidi Slimane.

طبيعة الأنماط القيادية السائدة لمديـري المـدارس الابتدائيـــة من وجهة نظر المعلمـين

أ.د بوزيدي محمد، جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر-الجزائر

The nature of the dominant leadership types of the primary school heads from the teachers point of view

bouzidi Mohammed, University of mascara - Algeria

ملخص: تمثل القيادة التربوية أهمية بالغة في نجاح الإدارة التعليمية، وذلك من خلال الدور الاجتماعي الرئيسي الذي يقوم به القائد(المدير)أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة. ويتسم هذا الدور بأن من يقوم به تكون له القوة والقدرة على التأثير في الآخرين وتوجيه سلوكهم في سبيل بلوغ هدف الجماعة،وتعتبر من أهم العوامل التي يمكن أن تساهم في نجاح أو فشل المنظمة من خلال درجة التفاعل والتماسك بين طرفي القيادة,

لذا ركزت البحوث والدراسات التي تناولت موضوع القيادة على تحديد أفضل أسلوب أو نمط قيادي يمكن للقائد استخدامه ليحقق الهداف المطلوبة بكفاءة وفعالية. ونخص في هذا المقام الإدارة التربوية كغيرها من الإدارات الأخرى يرتبط نجاحها أو فشلها بالنمط القيادي للقائد (المدير)،والذي يتطلب منه التمكن التام من أداء عمله بصـــورة مرضية لتسهيل أداء المعلمين لمهامـــهم التربوية و البيداغوجية، وقدرة على نسج العلاقات الإنسانية الصحيحة في الوسط المدرسي.

الكلمات المفتاحية: القيادة، المدير، الإدارة، التعليمية، التربية، المدرسة، الأداء.

Abstract: Educational leadership has a crucial importance in the success of the educational management, through the main social role played by the leader (director) while interacting with other members of his educational team. Such role requires the power and the capacity to influence others and guide them in order to achieve the goal of the group. It is also considered as a main factor that can contribute to the success or failure of the organization through the interaction and cohesion between the two sides of the leadership.

Therefore, researches and studies about leadership have focused on identifying the best type of leadership that can be used by the leader to achieve the desired aims efficiently and effectively. Within this framework, we focus mainly on the educational administration, which its success or failure is linked to leader's (director) type of leadership, which requires mastering his work in order to facilitate the performance of the teachers educational and pedagogical tasks, and the ability to achieve the right human relations in the school environment

Keywords: Leadership, director, administration, didactics, education, school, performance

مقدمة:

مما لا شك فيه أن النمط القيادي يؤثر بشكل كبير في فعالية وكفاءة أداء المعلمين من خلال تأثيره على رضاهم وإنجازهم نحو العمل، فسلوك المدير أثناء إشرافه على مرؤوسين يؤثر بدرجة كبيرة على مدى قبولهم له كقائد والعمل بتعليماته وتوجيهاته الخاصة بالعمل والتي تؤدي إلى تحقيق مستويات الرضا المطلوب، والمساهمة في تنمية العلاقات الإنسانية والاجتماعية داخل المدرسة وخارجها، ومساعدة المعلمين على نموهم مهنيا، مما ينعكس بصورة إيجابية على مخرجات العملية التربوية ، وفي اتخاذ القرارات التربوية المناسبة والاهتمام بمستوى التحصيل.

إشكالية البحث:

تعتبر الإدارة التربوية أداة أساسية لتحقيق العملية التربوية من خلال الاستخدام الأمثل للإمكانات والموارد والتسهيلات التربوية المتوفرة، وإيمانا بأهمية القيادة التربوية المتطورة اتجاهات وأنماطا وممارسات، وحتى تؤدي الدور الموكل إليها بكفاءة وفعالية عاليتين، ينبغي بلورة مفهوم القيادة الإدارية، وإعداد القادة التربويين على مختلف المستويات الإدارية على أصول القيادة الإدارية لتمكينهم لإحداث نقلة نوعية في أساليب الإدارة والتسيير بما يحقق أهداف العملية التربوية بشكل أفضل والعمل على تعميق مفهوم الدور القيادي الشامل والمتكامل .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان أدوار القيادة التربوية المتطورة التي ينبغي أن يضطلع بها المدير من أجل تحسين مستوى الأداء التعليمي التعلمي، والكشف عن طبيعة العلاقة بين مخرجات العملية التربوية و النمط القيادي الذي يمارسه المديري، وذلك من خلال الكشف عن الجوانب التالية:

-معرفة الأنماط القيادية السائدة في المدرسة الابتدائية.

-معرفة مدى مشاركة المعلمين في اتخاذ القرارات.
-معرفة أي النمط أكثر فاعلية وتأثيرا على أداء المعلمين.
-معرفة طبيعة العلاقات والمناخ المدرسي السائد في الابتدائية.

أهمية البحث:

تنبثق أهمية هذا البحث عن أهمية الدور الفعال معرفة للنمط القيادي في الإدارة المدرسية الابتدائية ومدى تأثيره على العملية التربوية ، وتتضح في نقاط التالية:

-إن معرفة مديري المدارس الابتدائية بنمط قيادتهم يعطيهم تصورا أكثر دقة عن مدى اهتمامهم بوظيفتهم من خلال التعرف على وجهة نظر المعلمين حول أنماطهم القيادية وعلاقتها بالأداء الفعلي، ومساعدة تلاميذهم على الإبداع ، وصولا إلى معرفة أي نمط يكون أكثر فعالية من غيره مما يساعد على تعديل نمطهم القيادي بحيث يكون أكثر نجاحا.

-إن الوقوف على الممارسات الواقعية لمديري المدارس الابتدائية يساعد على الكشف عن مواطن القوة والضعف في الأساليب القيادية واثر ذلك في تفعيل القيادة التربوية وتعزيزا لأنماط الفاعلة وتشجيعها وتعديل الأنماط غير السوية.

مصطلحات البحث:

القيادة: عرفت بأنها سلوك يقوم به القائد للمساعدة على بلوغ أهداف الجماعة و تحريكها نحو هذه الأهداف و تحسين هذا التفاعل الاجتماعي بين الأعضاء والحفاظ على تماسك الجماعة و تيسير المواد للجماعة(رضوان شفيق، 1994، ص25).

ومنهم من اعتبارها عملية التأثير التي يحدثها المدير في مرؤوسيه لإقناعهم و حثهم على المساهمة الفعالة بجهودهم في أداء النشاط التعاوني(سعيد جاسم ، مروان عبد المجيد، 2003، ص169).

النمط القيادي:يعرف على أنه ذلك النمط أو الأسلوب الذي ينتهجه القائد في التأثير على الجماعة والعاملين من أجل تحقيق أهداف المؤسسة(البياع محمد، 1984، ص136).
القيادة التربوية:وتتمثل في القدرة التي يؤثر بها المدير على مرؤوسيه ليوجههم بطريقة يتسنى بها كسب طاعتهم و احترامهم وولائهم و خلق التعاون بينهم في سبيل تحقيق هدف بذاته(درويش، و تكلا ليلي، 1972، ص386).

ومنهم من عرفها بذلك النشاط أو السلوك الذي يمارسه التربوي للتأثير في جميع العاملين بغية توجيه سلوكهم، وتنظيم جهودهم و تحسين مستوى أدائهم من أجل الارتقاء بالعملية التربوية من حيث الكم والكيف و العمل على تحقيق أهدافها(رياض ستراك، 2004، ص56).

الأداء: هو مجموعة الاستجابات التي يقوم بها الفرد في موقف معين، و هذا الأداء هو ما تلاحظه ملاحظة مباشرة(المليحي حلمي، 1972، ص86)، أي المقدرة على القيام بعمل الشيء بكفاءة و فعالية و بمستوى معين(عيسى عبد الرحمن و آخرون، 1993، ص73).

المديـــــر: هو كل فرد تدور مهامه حول وظائف التخطيط و التنظيم و التوجيه والمتابعة بغرض تحقيق أهداف المنظمة.

الخلفية النظرية:

إذا كانت القيادة تقوم في جوهرها على التفاعل الذي يتم بين القائد وأفراد التنظيم، فإن اختلاف وسائل هذا التفاعل بين المدير والمعلمين في المدرسة بغرض توجيههم وإرشادهم تعكس تباينا في أساليب القيادة وأنماطها، حيت نجد النمط التقليدي الجذاب والعقلاني في التصنيف الأول، والنمط الأتوقراطي، التراسلي والديمقراطي في التصنيف الثاني .

مفهوم النمط القيادي:

النمـــــط: هو مصطلح يقابله في اللغتين الانجليزية والفرنسية."TYPE""و"PATTERM"(أحمد زكي، 1982، ص307)، وله معان أخرى في اللغة العربية مثل: طراز، نموذج، نوع، ويشار إليه في علم الاجتماع والإدارة التربوية:على أنه نمط من العلاقات المتصورة والملموسة التي يشاهدها الإنسان في ملاحظته للعالم كأنماط السلوك الاجتماعية أو أنماط البناء الاجتماعي (درويش، وتكلا ليلي، 1972، ص386).

تصنيف الأنماط القيادية:

أ)التصنيف الأول:

النمط التقليدي: أساس هذه القيادة أنها تقدس وتحترم كبر السن، وفصاحة القول، والحكمة التي يتحلى بها القائد، و هي التالي تجعل الأفراد يدينون بالطاعة للقائد والولاء الشخصي له، غير أن هذا النوع من القيادة عادة ما نجده في المجتمعات القبلية والريفية(محمد الطيب، 1999، ص130-131).

النمط الجذاب: في ظل هذا النمط من القيادة فإن القائد يتمتع بصفات شخصية تجعله محبوبا، ويملك قوة الجذب للآخرين و لذلك فإن العامل الشخصي يكون الأساس في هذه القيادة، مما يجعل المرؤوسين ينظرون إليه على أنه الشخص المثالي وانه منزه عن الخطأ وبذلك فإن علاقاتهم معه يكون أساسها الولاء الكامل، بحيث أن أي إشارة منه لهم يعتبرونها أوامر يجب أن تنفذ، وهذا النمط للمنظمات الرسمية الزعامات الشعبية و الحركات الاجتماعية.

النمط العقلاني: ويعتمد هذا النمط على سلطة القانون والمركز، وما يكتسيه القائد في مركزه من سلطات وصلاحيات في توقيع عقوبة على أي شخص يخالف اللوائح و القوانين، حيث تكون الطاعة فيه نابعة من القوانين، الأصول، المبادئ واللوائح دون تدخل الاعتبارات الشخصية.

ب)التصنيف الثاني: لقد تناول العديد من الباحثين تقسيم القيادة إلى أنواع وأنماط مختلفة، باعتبار أن عملية القيادة تتأثر بعدة عوامل مختلفة و التي تؤدي به إلى اختيار نمط قيادي محدد، يتفق مع فلسفته الخاصة و معتقداته التي يراها من وجهة نظره محققة لأهداف المنظمة.وهب تختلف حسب المراد والهدف وشخصية صاحبها، و فيما يلي الأنماط القيادية الممارسة داخل المؤسسات التربوية الجزائرية.

1- النمط الاتوقراطي: هي نوع من القيادات التي تعتمد و تقوم على أساس مبدأ الاستبداد بالرأي والتصرف والتعصب للقرارات الفردية، ففي هذه القيادة تتركز السلطة في يد القائد وحده كونه الوحيد الذي يتخذ القرارات دون أن يشرك مرؤوسيه و يضع سياسة الجماعة و يرسم أهدافها، و ينظم أعمال الأفراد الذين يعملون تحت قيادته.وإن هذا النوع من النماذج يشتمل على شكلين وهو:

الرئيس الأتوقراطي: الذي يفرض نفسه بالتخويف والتهويل و العقاب دون أن يهتم بردود فعل الآخرين.

الرئيس الأبـــــوي: ذو الأهداف الأكثر تعقيدا لأنه يسعى في وقت واحد على أن يطاع ويحترم ويكون محبوبا(فؤاد حيدر، 1994، ص88).

النمط التراسلي (التسيبي): هذا النوع من القيادة يتسم بأن يتولى القائد إمداد المجموعة بالمعلومات و التوجيهات ولكنه لا يشترك في تحمل أية مسؤولية فيها(طارق عبد الحميد 2001، ص54)، حيث يترك القائد للمسئولين حرية في اتخاذ القرارات المتعلقة بهم، وتحديد الأهداف ويظهر القائد هنا بمظهر سلبي الذي يترك الحبل على غاربة على المرؤوسين مما ينتج عنه نوع من التسيب في المؤسسة التي يقودها.
النمط الديمقراطي: ويسمى هذا النمط القيادي حديثا بالنمط التشاركي، وقد ظهر بغية التأكيد لأهمية الدوافع السيكولوجية، والاجتماعية للتابعين ووجوب مراعاته لها(أبو زيد، حسين عثمان، 2003، ص526).

كما يقوم هذا النمط على مبدأ التكافؤ والحرية لجميع أفراد الجماعة، ويعني ذلك إتاحة الفرصة لجميع الأفراد في النمو والحياة و المساواة أمام القانون و الحرية هي بالقدر التي تتيح للفرد النمو الشخصي و الاجتماعي نموا سليما في إطار الجماعة و المصالح المشتركة للأفراد، و هذا لا يأتي إلا بتوفير الضوابط الاجتماعية التي توقف الفرد عند الحد الذي يتفق و الصالح العام، ومن هنا تكون العلاقة بين الفرد والجماعة علاقة وظيفية منتجة، قائمة على أساس واعتبار كل منها، وإتاحة الفرصة لتنمية المواهب والقدرات إلى أقصى حد ممكن(إبراهيم سلهاط، 2002، ص158).

القيادة التربوية: لقد أنتقل مفهوم القيادة التربوية من الأعمال الإدارية الروتينية إلى الاهتمام بالطبقية البشرية وكيفية التأثير في السلوك البشري لتوجيه من جماعة من الناس نحو هدف معين بطريقة تضمن طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم.وعلى هذا الأساس تعرف القيادة التربوية بالقدرة التي يؤثر بها المدير على مرؤوسيه ليوجههم بطريقة يتسنى بها كسب طاعتهم واحترامهم وخلق التعاون بينهم في سبيل تحقيق هدف بذاته.(رياض ستراك، 2004، ص29).

وإذا ما أسقطنا القيادة في إدارتنا التعليمية والمدرسية فإن المدير ينبغي أن يعمل على مناقشة كل المسائل التربوية والتعليمية والبيداغوجية مع أعضاء هيئة التدريس، لكي يتيح لكل للأفراد التعبير عن آرائهم وكمذلك يجب أن يكون عادلا ومنصفا في كل معاملاته ولا يخلط بين العلاقات الإنسانية والصداقة والعمل المطلوب، وعليه أن يحترم القرارات التي تتخذها الجماعة ويعمل على تنفيذها,والعمل على تنمية الأفراد مهنيا حتى يتحسن أدائهم، ويراعي الظروف الشخصية للأفراد ويلبي حاجاتهم، ويحفزهم معنويا.

الأداء:

يعد الأداء من المفاهيم الغامضة والمعقدة لكونه يمثل السلوك الإنساني الذي يقوم به الفرد لتنفيذ عمل خاص داخل المنظمة، وهو يشمل جميع الاستجابات التي يأتي بها الفرد في موقف معين وتكون قابلة للملاحظة والقياس، وللأداء أبعاد ومستويات عديدة، كل بعد له مجال اهتمام خاص به.

مفهوم الأداء: هو النتيجة المحصل عليها في أي ميدان عمل كالنتائج التي تم تحقيقها لدى ممارسة علم ما، والمعبر عنها بوحدات قياس معينة(علي السلمي، 1998، ص267).

فمثلا: الطالب قد يبذل جهدا كبيرا في الاستعداد للامتحان، و لكنه يحصل على درجات منخفضة في مثل هذه الحالة يكون الجهد المبذول عاليا بينهما الأداء منخفض(راوية حسن، 2003، ص209).

مفهوم الأداء عند المعلم: ويعني الفعل الايجابي النشيط لاكتساب المهارة أو القدرة –الكامنة و خلق فرص التعلم التي تمكن الطلبة من اكتساب المعرفة و المهارات- أو المعلومة، والتمكن الجيد من أدائها تبعا للمعايير الموضوعية(المنظمة العربية للتربية، 1973، ص158).

معايير تقييم الأداء:

يتطلب نجاح عملية التقييم وجود معاير أو مقاييس واضحة وموضوعية تساعد على إتمام عملية تقييم الأداء بعيدا عن المحاباة و المزاجية و الذاتية، وفي هذا الصدد يوضح الباحث كيرك باتريك "Kirk Patric" معايير الأداء الناجحة تكمن في تحديد مستوى إنجاز العمل الفعلي من قبل الموظف بصورة دقيقة (سهيل فهد، 1987، ص140)، مما تمكن الإدارة من مقارنة الأداء الفعلي للفرد بالأداء النمطي، وتنقسم معايير الأداء إلى ثلاثة أنواع أساسية هي:

1-المعايير الإنسانية: تتجلى في علاقة الموظف أو العامل مع الأفراد الآخرين في محيط العمل مثل علاقة الفرد مع زملائه وعلاقته مع رؤسائه.

2- المعايير الشخصية: تتمثل في حدية و اجتهاد الموظف في عمله و مدى تصميمه على النجاح، أي قدرة الموظف على البذل والعطاء، وتحقيق الذات، و التجديد في الطرائق التي يستخدمها في تعامله مع الآخرين لإنجاز عمله.

3- المعايير المهنية: تتمثل في قدرة الفرد على أداء عمله والواجبات المرتبطة به بدون أي خلل، و حل كافة المشاكل التي تعترض عمله المهني، أوفي تفويض السلطة لمن هم أقل رتبة منه لأجل ضمان وإتمام الأعمال وأدائها في الوقت المحدد بالفعالية المطلوبة.

مكونات الأداء:

يرى لويس بلون Louis Bellond أنه لمعرفة الأنشطة و المهام التي يتكون منها الأداء لابد من تقسيم العمل وصفه وصفا دقيق حسب نشاط العامل، و مجموع العمليات للحركات التي يقوم بها العامل في مدة زمنية معينة بغية تحديد نوعية المهام التي تتغير بتغير الزمن أو تتغير نتيجة تقلب الظروف.

الأنشطة التي تتغير بتغير الزمن: مثال على ذلك تغير مهام مدير الحسابات وقت الميزانية الختامية في آخر السنة عن مهامه الأخرى خلال السنة.

الأنشطة التي تتغير بتفاوت العمال: هي نتيجة لخبرات خاصة و متميزة لكل عامل من العمال الذين يؤدون العمل.

الأنشطة التي تتغير بتغير الظروف: هي نتيجة طبيعة الحركة التي يؤدي فيها العمال عملهم، مثال عن ذلك التوقف المفاجئ للآلة قد تجعل العمال يتوقفون على أداء أنشطة الإنتاج، و القيام بأنشطة أخرى لمنع التوقف.

أهم العوامل المتحكمة في الأداء الجيد: السلوك الإنساني في محيط العمل عبارة عن أساسيات نفسية واجتماعية تتفاعل في ما بينها، بمعنى آخر أداء فرد في العمل محدد بعدد من العوامل النفسية والاجتماعية التي تتحكم فيه وتؤثر في مستوياته يصفة مباشرة، وتتمثل في:

1- العوامل الداخلية (النفسية):تتعلق بالفرد نفسه كبعض الصفات كالخصائص الشخصية والجسدية والقدرات الحسية الحركية و المعرفية.

2- العوامل الخارجية (الاجتماعية): تتعلق ببعض خصائص محيط العمل الذي يعمل بها الفرد، وقد تشتمل النمط الإشرافي أو القيادي السائد، و طبيعة المهام وواجبات الوظيفة في الجماعة(ناصر العديلي، 1995، ص13)

الإطار التطبيقي للبحث :

I- مجتمع البحث:

يتألف مجتمع البحث من جميع معلمي ومعلمات المدارس الابتدائية للسنة الدراسية 2018 / 2019 ببلدية يوب وبلدية ذوي ثابت ولاية سعيدة، حيث بلغ عدهم 117 معلم ومعلمة بواقع 51 معلمة 66 معلما يتبعون لـ 14 مدرسة ابتدائية كما هو موضح في الجدول.

الجدول رقم (1): توزيع مجتمع البحث في ضوء متغير الجنس والمدرسة.

الرقم	المدرسة	عدد المعلمين	عدد المعلمات	المجموع
01	مولاي محمد	8	8	16
02	عاشر لخضر	6	12	18
03	ناصري بلعباس	15	4	11
04	بوزيان الحاج	6	1	7
05	الأمير عبد القادر	7	3	10
06	بومدين بومدين	6	1	7
07	شويح عبد الجبار	2	1	1
08	مقدم العربي	5	2	7
09	بوراس علي	3	3	6
10	قوادري مصطفى	6	2	8
11	سبيح ميمون	1	2	3
12	أسلي محم	5	2	7
13	معارك المرجة	3	1	4
14	علام محمد	5	2	7
	المجموع	117	66	51

عينة البحث:

تكونت عينة البحث من 75 معلما ومعلمة 37 معلمة 38 معلما من مجتمع البحث الذي يتكون من 117 معلما ومعلمة أي بنسبة تقارب 64,10% من مجموع أفراد المجتمع الأصلي للبحث، حيث

تم اختيار العينة بالطريقة العمدية، وهذا لصعوبة التنقل إلى جميع مدارس المقاطعة لتوزيعها الجغرافي المتباعد لذلك أكتفينا بتطبيق الاستمارة على المدارس المبنية في الجدول التالي:

الجدول رقم (2): عينة البحث حسب الجنس والمدرسة الابتدائية.

المدارس الابتدائية	العدد	ذكور	إناث
مولاي محمد	4	11	15
عاشر لخضر	1	1	2
ناصري بلعباس	7	6	1
بوزيان الحاج	7	6	1
الأمير عبد القادر	10	7	3
بومدين بومدين	18	6	12
شويح عبد الجبار	16	8	8
المجموع	75	38	37

المنهج المستخدم:

يعتبر المنهج المستخدم في كل دراسة من الأساسيات التي يعتمد عليها الباحث في بحثه للحصول على النتائج بطرق علمية، وقبل التطرق إلى المنهج المستعمل نتعرف على مفهوم المنهج هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون لها جاهلين وغما من أجل البرهنة عليها لآخرين حين نكون بها عارفين، ونظرا لطبيعة موضوع دراستنا والذي يحمل عنوان: النمط القيادي لمديري المدارس الابتدائية و تأثيره على اداء المعلمين – حسب آراء هيئة التربية و المنهج الملائم لطبيعة الموضوع هو المنهج الوصفي كونه الأنسب للكشف عن الظاهرة المراد دراستها و توصل إلى الحقائق و القوانين العامة التي تفسرها.

الدراسة الاستطلاعية:

تكتسي الدراسة الاستطلاعية أهمية خاصة عند القيام بالمدارسة الميدانية لأي بحث كان، و نظرا لما تقدمه للباحث من معلومات تسمح له بمواصلة معالجة مشكلته و طريقة تعتمد على أدوات عملية وموضوعية.

وتمثلت الأهداف المتوخاة من الدراسة الاستطلاعية في ما يلي:

-الحصول على معرفة دقيقة و عميقة بالموضوع المقترح للدراسة.
-التعرف على عينة البحث و كيفية التعامل معها.
-الدراسة الاستطلاعية تساعد على بناء استمارة البحث.
-الالمام بقدر كاف من المعلومات للتحكم في موضوع البحث.

أما عن إجراءات الدراسة الاستطلاعية فكانت كالآتي:

أجريت الدراسة الاستطلاعية على 10 معلمين موزعين على ستة مدارس ابتدائية و هذا بطرح سؤالين مفتوحين وهما كالآتي:
-ما هو النمط القيادي السائد في مدرستكم؟
-وما تأثير هذا النمط على ادائك لمهامك في داخلا المدرسة؟
ثم تحليل استجابات المفحوصوين و تبويبها في محاور أساسية والتي كانت حسب الاجابات المرصودة كالآتي:
-النمط القيادي السائد في مدرستنا الابتدائية هو النمط الديمقراطي.
-النمط الديمقراطي يحسن في أداء المعلم لمهامه داخل المدرسة.
-العلاقة الجيدة بين المعلمين و المدير تساعد على أداء المعلم لمهامه داخل المدرسة.

-أدوات البحث:

من أدوات البحث تم استخدم الاستبيان لتقصي الحقائق وتجميع البيانات ذات صلة بمشكلة بحثية معينة عن طريق ما يقرره المستجوبون لفظيا في إجاباتهم على الأسئلة التي يتضمنها.

ويتألف الاستبيان من استنارة تحتوي على مجموعة من العبارات لجمع المعلومات قصد الاحاطة أكثر بالمشكلة المدروسة، وقد تم تشكيل الاستمارة بناء على المعلومات التي تحصلنا عليها من خلال الدراسة الاستطلاعية، وقد ضمت 23 عبارة موزعة على ثلاثة رئيسية.

جدول رقم (03) يوضح توزيع بنود الاستمارة على محاورها.

المحاور	المشاركـــة فـــي اتخـــاذ القرارت	النمط الديمقراطي يحسن من أداء المعلم لمهامه البيداغوجية	الجانب العلائقي
رقم العبارة	7-6-5-4-3-2-1	16-15-14-13-12-11-10-9-8	23-22-21-20-19-18-17

الأسلوب الإحصائي: اعتمدت في توزيع نتائج الدراسة على إحصائية تتمثل في طريقة النسب المؤوية، باستخدام تكرارات كل عبارة داخل محورها ثم حساب النسبة المئوية لتلك العبارة للجنسين ذكر – أنثى.

-النسب المؤوي لكل عبارة = (تكرارها / عدد أفراد العينة)×100.

التعليق على عبارات المحور الأول:

العبارة رقم (1): مديرك يعتمد أسلوب المناقشة الجماعية في كل المشكلات.

الجدول رقم (4): يمثل التكرارات والنسب المؤوية للعبارة رقم (1).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرارات	%	التكرارات	%	
إناث	32	86,49	5	13,51	37
ذكور	33	86,84	5	13,16	38

- يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ86,49% ونسبة الرفض تقدر بـ13,51% في المقابل بالنسبة للعملية فكانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ86,84% ونسبة الرفض تقدر بـ 13,16%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين (ذكور- إناث) يرون أن المدير يعتمد أسلوب المناقشة الجماعية وسيلة لحل المشكلات المدرسية , حيث أن القيادة المشاركة أكثر الأنواع القيادية فاعلية , ولذلك إظهار مهارات وقدرات الجماعة ، وتنمية شعور الفرد بوحدة الجماعة , وشعور كل فرد بالمسؤولية تجاه الحفاظ على جماعته.

العبارة رقم(2): مديرك يحترم أراء العاملين معه.

الجدول رقم(5): يمثل التكرارات والنسب المؤوية للعبارة رقم(2)

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	33	89,18	4	10,82	37
ذكور	34	89,47	4	10,53	38

- يتضح من خلال البيانات الإحصائية المدرجة في الجدول رقم(2) أن نسبة الموافقة عند المعلمات تقدربـ 89,18% ونسبة الرفض 10,82% في المقابل نسبة الموافقة عند المعلمين كانت 89,94% ونسبة الرفض 10,53%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين (ذكور- إناث) يرون أن المدير يحترم أراء العاملين معه وهذا يعزز الدور الفعال للمدير ومعرفته الإدراكية المتطورة , وهو يمتلك درجة عالية من مهارات تفاعل مع الآخرين والتفاعل مع الذات.

العبارة رقم (3): تجد الحرية في إبداء رأيك

الجدول رقم (6): يمثل التكرارات والنسب المؤوية للعبارة رقم (3)

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	33	89,18	4	10,82	37
ذكور	34	89,47	4	10,53	38

- يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 83,78% ونسبة الرفض 16,21% , في المقابل بالنسبة للمعلمين كانت نسبة الموافقة عليها تقدر بـ 78,95% ونسبة الرفض تقدر بـ 21,05%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين (ذكور- إناث) يرون أن حرية إبداء الرأي محترمة من قبل المدير ، وهذا لكون المناقشة البناءة وسيلة حضارية للتواصل ولتوضيح ما هو غامض في المسائل البيداغوجية.

العبارة رقم (4): يسمح لك المدير بالمشاركة في اتخاذ القرارات

الجدول رقم (7): يمثل التكرارات والنسب المؤوية للعبارة رقم (4)

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	30	91,89	7	8,11	37
ذكور	35	92,11	3	7,89	38

- يتضح من خلال البيانات الإحصائية المدرجة في الجدول أعلاه إن نسبة الموافقة على العبارة رقم (4)عند المعلمات تقدربـ91,89% و نسبة الرفض 8,11% ، في المقابل بالنسبة للمعلمين الموافقة بنسبة 92,11%والرفض بنسبة 7,87%.

ومنه نستخلص أن المدير يتيح فرصة المشاركة في اتخاذ القرارات وهذا مؤشر ايجابي على إن عملية التسيير تشارك فيها جميع الأطراف مما يسمح باختيار الأفضل من البدائل المطروحة في

موقف معين ، حتى يكون القرار المتخذ رشيدا , ويتجنب معوقات اتخاذ القرار بعدم المشاركة فيه من قبل أفراد الجماعة.

العبارة رقم(5): يعمل مديرك على تنفيذ اقتراحات المعلمين.

الجدول رقم(8): يمثل التكرارات والنسب المؤوية للعبارة رقم(5).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	36	97,30	1	2,70	37
ذكور	36	94,74	2	5,26	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 97,30% ونسبة الرفض 2,70% , في حين كانت نسبة الموافقة عند المعلمين تقدر بـ 94,74% ونسبة الرفض تقدر بـ 5,26%.

ومنة نستنتج أن المدير يعمل على تنفيذ اقتراحات المعلمين بخصوص المسائل التربوية والبداغوجية التي تسهل سير العملية التعليمية ويحسن أداء المعلمين داخل المدرسة، وهذا بتنفيذ كل القرارات المتخذة ، مما يجعل الجماعة تلتزم تجاه سياسات العمل وتحفيزهم للعمل وتحمل المسؤولية , وتنمية القدرة على الإبداع والتحدي.

العبارة رقم (6): يؤثر ايجابيا على سلوكات المعلمين لتحقيق الأهداف المرجوة

الجدول رقم(9): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم(6)

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	28	75,68	09	24,32	37
ذكور	31	81,58	07	18,42	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 75,68 ونسبة الرفض بـ 24,32% في المقابل بالنسبة للمعلمين فكانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ 81,58% ونسبة الرفض بـ 18,42%.

ومنه نستنتج أن المدير يقوم بدوره القيادي بصورة مؤثرة على الأتباع من خلال عمليات التخطيط والتنظيم والتوجيه والتنفيذ وهذا لتحقيق أهداف وغايات الجماعة على قوتها وتمسكها.

العبارة رقم (7): يتقبل النقد بهدوء وموضوعية

الجدول رقم (10): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (7)

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	25	70,27	11	29,73	37
ذكور	29	76,32	9	23,68	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ27,70% ونسبة الرفض بـ29,73% في المقابل بالنسبة للمعلمين فكانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقد بـ 76,32% ونسبة الرفض بـ 23,68%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين (ذكور-إناث) يتفقون على أن مديرهم يتقبل النقد بهدوء وموضوعية، وهذا لكون النقد الايجابي والبناء سلوك حضاري يزيد من تماسك الجماعة ويخلق المناخ المدرسي المناسب للعملية التربوية.

خلاصة المحور الأول:

نلاحظ من عرض للنتائج المتعلقة بهده الفرضية أن هناك اتفاق شبه كلي بين المعلمين(ذكور-إناث) على أن المدير يشاركهم في عملية اتحاد القرارات، ويمكن إرجاعه ذ لاهتمام المدير بالقيادة الجماعية واحترام أراء المعلمين والحرية في إبداء الرأي والعمل على تنفيذ اقتراحات العاملين.

التعليق على عبارات المحور الثاني

العبارة رقم(8): يبصر المعلمين بأساليب بتطبيق المناهج

الجدول رقم(11): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم(8)

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	33	89,19	4	10,81	37
ذكور	35	92,11	3	7,89	38

من خلال الجدول يتضح أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ19,89% ونسبة الرفض بـ10,81% في المقابل بالنسبة للمعلمين فكانت نسبة الموافقة عليها تقدر بـ92,11% ونسبة الرفض بـ 7,89%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) يتفقون على أن مديرهم يبصرهم بمختلف أساليب تطبيق المناهج وذلك بتوفير التسهيلات المادية والبشرية والمعنوية اللازمة ، وإطلاع المعلمين على عناصر المناهج من أهداف طرائق وتقنيات ومحتوى , وكتاب مدرسي وتقويم ، وهذا لتحسين أداء المعلمين وتمكينهم من التطبيق السليم للمناهج ، والتدخل فأي لحظة يجد المعلم صعوبة لتذليلها.وإزالتها والتحكم في تقنيات تطبيق المناهج بصورة أفضل.

العبارة رقم (9): مديرك يهتم بتحسين الأداء.

الجدول رقم (12): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (9).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	30	81,08	7	18	37
ذكور	28	73,62	10	26,32	38

من خلال الجدول يتضح أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 81,08% ونسبة الرفض 18,92% في المقابل بالنسبة للمعلمين فكانت نسبة الموافقة عليها تقدر بـ73,62% ونسبة الرفض بـ 26,32%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكو-إناث) يتفقون على أن مديرهم يهتم بتحسين أداء المعلمين، وذلك من خلال دراسة تحليل خطط المواد الدراسية، ومذكرات الدروس التي يعدها المعلمون وتزويدهم بالتعدية الراجعة الهادفة، وتفعيل عمل الفريق.

العبارة رقم (10): يراقب أداء المعلمين أثناء التدريس.

الجدول رقم (13): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (10).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	32	86,49	5	13,51	37
ذكور	34	89,47	4	10,53	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 86,94% ونسبة الرفض بـ 13,51% في المقابل بالنسبة للمعلمين فكانت نسبة الموافقة عليها تقدربـ 89,47% ونسبة الرفض 10,53%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) يرون أن المدير يقوم بمراقبة أداء المعلمين أثناء قيامهم بعملية التدريس في الأقسام مع التلاميذ ، لأن التقويم المستمر لعمل العاملين في المجرسة ومتابعتهم فرديا وجماعيا من مهام المدي، وهو عملية ضرورية للتحقيق من مدى نجاح التخطيط والتنفيذ الذين قام بهما المدي، كما أنه عملية مهمة للتأكد من مدى تحقيق الأهداف.

العبارة رقم (11): يساهم في حل المشكلات التي تواجه المعلمين في عملهم اليومي.

الجدول رقم (14): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (11).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	24	64,86	13	34,21	37
ذكور	25	65,79	13	34,12	38

تضح من خلال البيانات الإحصائية المدرجة في الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدربـ 64,86%ونسبة الرفض بـ34,21%في المقابل بالنسبة للمعلمين نسبة الموافقة كانت65,79%ونسبة الرفض بـ 34,21%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) يرون أن المدير حريص على المساهمة في حل المشكلات التي تواجه المعلمين في العمل اليومي , بتقديم النصح والإرشاد الدائم لهم في الوقت المناسب، لتحسين أدائهم البداغوجي وتوفير التسهيلات المادية لإنجاز أعمالهم وتلبية حاجياتهم.

العبارة رقم (12): يتعامل بطريقة مهذبة ويتجنب المواقف الحرجة.

الجدول رقم (15): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (12).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	27	72,97	10	27,03	37
ذكور	26	68,42	12	31,53	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 72,97% ونسبة الرفض بـ 27,03% و في المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ 68,42% ونسبة الرفض بـ 31,58%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) يوافقون على أن مديرهم يتعامل معهم بطرقة مهذبة ويتجنب المواقف الحرجة، حيث المطلوب أن يتصف المدير بالهدوء النفسي والابتعاد عن الغوغائية، وأن يوفر عامل المناخ النفسي في المدرسة لتسود العلاقات الجيدة مع التابعين، والابتعاد عن التوترات داخل المؤسسة التربوية التي تتسبب في تدني أداء المعلمين.

العبارة رقم (13): يختار الطرق المناسبة للاتصال وتواصل مع المعلمين .

الجدول رقم (16): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (13).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	22	59,46	15	40,54	37
ذكور	21	55,26	17	44,74	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 59,46% ونسبة الرفض تقدر بـ 40,54 % و في المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ 55,26% والرفض يقدر بـ 44,74%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) يرون أن المدير يختار الطرق المناسبة للاتصال والتواصل معهم ، مما يسهل فهم القرارات واللوائح ويساعد في أداء العمل وإنجازه في الوقت المحدد، ويرفع من مستوى الأداء في المدرسة شكل منظم وفعال.

العبارة رقم (14):يتفهم حاجات المعلمين وظروفهم الشخصية وتحفيزهم معنويا.

الجدول رقم (17): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (14).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	31	83,78	6	16,22	37
ذكور	36	94,74	2	05,26	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 83,78 % ونسبة الرفض تقدر بـ16,22 % و في المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ94,74 % والرفض يقدربـ5,26 %.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) متفقين أن مديرهم يتفهم حاجاتهم وظروفهم الشخصية ويحفزهم معنويا ، فكلما كانت بيئة العمل تتوفر على حوافز مناسبة ومثيرة لدوافعه ومشبعة لحاجاته كلما كان مستوى الأداء جيدا.

العبارة رقم (15): يعمل على توثيق علاقاته مع أولياء التلاميذ ومع المجتمع المحلي.

الجدول رقم (18): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (15).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	33	89,19	5	10,81	38
ذكور	34	89,47	3	10,53	37

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ19,89 % ونسبة الرفض بـ 89,19 % في المقابل بالنسبة للمعلمين فكانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ89,47 % ونسبة الرفض 10,53 %.

ومنه نستنتج أن معظم المعلمين(ذكور- إناث)متفقين إن قائدهم (المدير) يعمل على إقامة علاقات وطيدة بين المدرسة وأولياء التلاميذ إذ الإطلاع على الأهداف المشتركة التي يمكن تحقيقها بتضافر جهود تساهم إلى حد ما في توطيد العلاقة مع المدرسة والقوى المؤثرة في المجتمع.

العبارة رقم (16): يتوخى الموضوعية في تقييم المعلمين.

الجدول رقم (19): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (16).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	29	78,38	8	21,62	37
ذكور	29	76,32	9	23,68	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ38,78% ونسبة الرفض 21,62 % و في المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ76,32% والرفض تقدر بـ 23,68%.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) يرون بأن مديرهم يتوخى الموضوعية في تقييم المعلمين متوخيا العدل بين جميع العاملين في المدرسة أثناء تكليفهم بمختلف الأعمال والأنشطة، مما يدفعهم إلى الإقبال على إنجازها بفعالية والإخلاص .

خلاصة المحور الثاني: يتضح من خلال النتائج الخاصة بهذا المحور وجود اتفاق شبه كلي بين المعلمين (ذكور- إناث) على أن المدير يساهم بدرجة كبيرة من خلال النمط الذي يتبعه في إدارة شؤون المدرسة الابتدائية في تحسين أداء المعلمين لمهامهم البيداغوجية، ويتجلى ذلك من مساهمته في تبصير المعلمين بأساليب تطبيق ، وتدخله لحل المشكلات التي تواجه المعلمين في عملهم اليومي، وتفهم حاجات المعلمين وضر وفهم الشخصي، وهذا يعود إلى إطلاع المدير على المسائل التربوية والبيداغوجية الدائم وإلى درجة تفاعله مع مرؤوسيه.

التعليق على عبارات المحور الثالث

العبارة رقم (17): ينمي العلاقات الإنسانية بين العاملين كافة.

الجدول رقم (20): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (17).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	28	75,68	9	24,32	37
ذكور	30	78,95	8	21,05	38

يتضح من خلال الجدول إن النسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 75,68% ونسبة الرفض بـ 24,32 % و في المقابل بالنسبة للمعلمين فكانت نسبة الموافقة تقدر بـ 78,95% و نسبة الرفض 21,05%.

ومنه نستنتج أن معظم المعلمين(ذكور- إناث) يرون أن المدير يعمل على تنمية العلاقات الإنسانية بين جميع المعلمين ,حيث أن إقامة هده العلاقات يعمل على إشاعة جو من الود والألفة بين القائد ومرؤوسيه، حيث يشعر كل منهم بأهمية الدور الذي يقوم به في بلوغ الهدف المشترك والحصول على نتائج فعالة في العمل.

العبارة رقم (18): يساهم في خلق جو من التفاهم والتعاون.

الجدول رقم (21): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (18).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	31	83,78	6	16,22	37
ذكور	29	76,32	9	23.68	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 83,78% ونسبة الرفض 16,22 % في المقابل بالنسبة للمعلمين فكانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ 76,32% ونسبة الرفض تقدر بـ 23,68%. ومنه نستنتج أن معظم المعلمين(ذكور- إناث) يرون أن مديرهم يساهم في خلق جو من التفاهم والتعاون، وهذا لمرونة المدير في تعامله مع المعلمين، واهتمامه بإنشاء علاقات عامة ثنائية الاتصال داخل المدرسة، واهتمامه أيضا بنمو أفراد الجماعة وتفاعلهم، وبالحرية وعدم مضايقتهم.

العبارة رقم (19): يساهم في رفع الروح المعنوية للمعلمين.

الجدول رقم (22): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (19).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	26	70,27	11	29,73	37
ذكور	30	78,95	8	21,05	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 70,27% ونسبة الرفض تقدر بـ 29,73 %و في المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ 78,95% والرفض يقدر بـ21,05%. ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) يرون أن المدير يساهم في رفع الروح المعنوية للمعلمين، مما تجعل كل واحد منهم يشعر أنه مسؤول عن نجاح المؤسسة.

العبارة رقم (20): يقودك الشعور بالملل إلى التغيب عن العمل.

الجدول رقم (23): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (20).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	22	59,46	15	40,54	37
ذكور	22	59.46	14	36.84	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدربـ 59,46% ونسبة الرفض تقدر بـ 40,54 %وفي المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدربـ 63,16 % والرفض يقدر بـ 36,84 %.

ومنه نستنتج أن أغلبية المعلمين(ذكور- إناث) يرون الشعور بالملل لا يقودهم إلى التغيب عن العمل، ويعود السبب للعامل الحسي وشعورهم بالمسؤولية المهنية.

العبارة رقم (21): مديرك بين الصدقة والصلات الطيبة.

الجدول رقم (24): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (21).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	6	16,22	31	83,78	37
ذكور	8	21,05	30	78,95	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 16,22% ونسبة الرفض تقدر بـ83,78 %وفي المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ21,05 % والرفض يقدر بـ78,95 %.

ومنه نستنتج أن معظم المعلمين(ذكور- إناث) يرون أن مديرهم لا يخلط بين الصداقة والصلات الطيبة والعمل المطلوب، وهذا راجع لعدالته في تعامل مع مرؤوسيه دون محاباة أو تحيز أو طائفية.

العبارة رقم (22): تشعر بالاستقرار والأمن في العمل.

الجدول رقم (25): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (22).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	33	89,19	4	10,81	37
ذكور	32	84,21	6	15,79	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 89,19% ونسبة الرفض تقدر بـ 10,81 % وفي المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ 84,21% والرفض يقدر بـ 15,79%.

ومنه نستنتج أن معظم المعلمين(ذكور- إناث) يرون بأنهم يشعرون بالاستقرار والأمن في العمل داخل المدرس، وهذا مؤشر على رضاهم عن العمل وتجسيد روح العمل الجماعي لا تنافسي.

العبارة رقم (23): ثقيل على أداء المهام المسندة إليك وأنت راض عنها.

الجدول رقم (26): يمثل التكرارات والنسب المئوية للعبارة رقم (23).

البدائل / الجنس	نعم		لا		المجموع
	التكرار	%	التكرار	%	
إناث	29	78,38	8	21,62	37
ذكور	27	71,05	11	28,95	38

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الموافقة على هذه العبارة عند المعلمات تقدر بـ 78,38% ونسبة الرفض تقدربـ21,62 % و في المقابل عند المعلمين كانت نسبة الموافقة على هذه العبارة تقدر بـ 71,05% والرفض يقدر بـ 28,95%.

ومنه نستنتج أن معظم المعلمين(ذكور- إناث) يقبلون على أداء المهام الموكلة إليهم وهم راضون عنها، وهذا راجع لتتوفر فرص الترقية وسيادة والعلاقات الطيبة السائدة بين المعلمين والمدير.

نتائج المحور الثالث:

يتضح من خلال النتائج السابقة، أن هناك اتفاق شبه كلي بين الفئتين (ذكور- إناث)والتي تتمحور حول العلاقة الجيدة بين المدير والمعلمين، ومساهمتها في فاعلية الأداء بشكل جيد تساهم في شيوع العلاقات الإنسانية في الوسط المدرسي .

الخـــاتمة:

لقد حاولنا في هذا البحث التعرف على النمط القيادي السائد في المدرسة الابتدائية وتأثيره على أداء المعلمين، وفي ضوء أدبيات البحث ونتائج الدراسة الميدانية، تبين أن النمط القيادي السائد النمط الديمقراطي جاء في المرتبة الأولى إذ يعمل على تنمية العلاقات الإنسانية في المدرسة التي يديرها، ويسعى إلى إتباع حاجات المعلمين لغرض تحسين أدائهم التربوي والبيداغوجي.ويعمل على رفع الروح المعنوية للمعلمين من الجنسين، ويبدو من خلال الدراسة أنه النمط القيادي السائد الذي يوفق بين مجال القيادة الإدارية ومجال التوجيه والمتابعة ويعد من الأنماط المفضلة في الميدان ولاسيما الميدان التربوي ، مما يستلزم استمرارية في انتهاجه في المدارس المختلفة، مع ضرورة قيام وزارة التربية بتسليط الضوء عليه بتوضيح أسسه ومزاياه وأهميته باعتباره النمط القيادي الوحيد الذي يوفق بين مجال القيادة الإدارية ومجال التوجيه والمتابعة في المدرسة .

قائمة المراجع:

1. إبراهيم سلهاط(2002)، النمط القيادي السائد في المؤسسة الجزائرية وعلاقته بالرضا الوظيفي، الجزائر.
2. أحمد زكي بدوي(1982)، معجم المصطلحات للعلوم الاجتماعية. إنجليزي-فرنسي-عربي، مكتبة لبنان، بيروت.
3. أحمد محمد الطيب(1999)، الإدارة التعليمية، أصولها و تطبيقاتها المعاصرة، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
4. البياع محمد حسن(1984)، القيادة الإدارية في دور المنهج العلمي، دار الواسط، بغداد.
5. درويش عبد الكريم ن تكلا ليلي(1972)، أصول الإدارة العامة، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
6. راوية حسن(2003)، إدارة الموارد البشرية، رؤية مستقبلية، الدار الجامعية، الاسكندرية.

7. رضوان شفيق(1994)، السلوكية و الإدارة، المؤسسة الجامعية للدارسات و النشر و التوزيع، بيروت.
8. رياض ستراك(2004)، دراسات في الإدارة التربوية، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان.
9. سعيد جاسم الأسدي، مروان عبد المجيد إبراهيم(2003)، الإشراف التربوي، الدار العلمية الدولية ومكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع، عمان .
10. سهيل فهد سلامة(1987)، فعالية تقويم الأداء الوظيفي بالأجهزة الحكومية في المملكة العربية السعودية، مجلة الإدارة العامة، معهد الادارة العامة، الرياض.
11. طارق عبد الحميد البدري(2001)، الأساليب القيادية والإدارية في المؤسسات التعليمية، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع عمان.
12. عيسى عبد الرحمن و آخرون(1993)، التعلم الذاتي بين الفكر و التطبيق، لجنة التوثيق و النشر، سلطنة عمان.
13. علي السلمي(1998)، إدارة الموارد البشرية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
14. فؤاد حيدر(1994)، علم النفس الاجتماعي، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة.
15. مصطفى أبو زيد فهمي، حسين عثمان(2003)، الإدارة العامة الإطار العام للدراسة الإدارية، فن الحكم والإدارة في السياسية والإسلام العملية الإدارية)، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية.
16. المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم (1973)، مؤتمر إعداد و تدريب المعلم العربي ، مطبعة التقدم، القاهرة.
17. المليحي حلمي(1972)، علم النفس المعاصر، ط2، دار النهضة العربية، بيروت.
ناصر العديلي(1995)، السلوك القيادي و التنظيمي منظور كلي مقارن، معهد الإدارة العامة، الرياض.

أثر بحيرة سد مروي في تغذية الحوض الجوفي النوبي في الولاية الشمالية- السودان

د. أمير حسن عبد الله محمد د.محمد الشفيع محمد الشيح
جامعة أم درمان الإسلامية، السودان

الملخص: تناولت هذه الدراسة أثر بحيرة سد مروي في تغذية الحوض الجوفي النوبي في بالولاية الشمالية-السودان. حيث هدفت إلى بيان خصائص منطقة الدراسة الجغرافية والتعرف على معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي قبل وبعد قيام سد مروي بصفة عامة وفي المناطق المتأثرة بظاهرة الطفح المائ بصفة خاصة. كذلك هدفت للتعرف على العوامل الأخرى المتمثلة في طرق الري وفيضان النيل ومدى تأثيرها في معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي. استخدمت الدراسة عدة مناهج هي، المنهج التاريخي، المنهج الكمي، المنهج الإقليمي، المنهج الأيكولوجي، المنهج التحليلي، وقد ساعدت استخدام هذه المناهج في جمع وعرض وتحليل وتفسير البيانات المتحصلة عليها من المصادر الأولية والثانوية. وأهم ما توصلت إليه الدراسة هو أن سبب ظهور الطفح المائي في منطقة الدراسة يعزى إلى زيادة معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي من بحيرة سد مروي. وأن الزيادة في المياه الجوفية أدت إلى التوسع في المشاريع الزراعية في التروس العليا في الولاية الشمالية، كما أن تلك الزيادة ساهمت في إنشاء مشاريع ضخمة كمشروعي (الراجحي وأمطار) التي يعتمد الري فيهما على المياه الجوفية. ومن أهم توصيات الدراسة هي: الاستفادة من وجود تلك المياه لتخطيط مشاريع في التروس العليا. وإجراء دراسات لمنطقة الدراسة لوضع خطط مستقبلية تستوعب التغيرات التي حدثت بسبب انتشار ظاهرة الطفح المائي.
الكلمات المفتاحية: بحيرة، سد، مروي، تغذية، الحوض الجوفي، نوبي، مشاريع، طفح.

Abstract: This study addressed the Merowe Dam Lake to feed the Nubian Aquifer in Northern State - Sudan.Where the study aimed to show the geographical characteristics of the study area, and to identify the feed rates to a Nubian aquifer basin before and after the establishment of Merowe Dam in general, and in the areas affected by the apparent meaning of watery overflow in particular. The study also aimed to identify the other factors of irrigation methods and the flooding of the Nile, and the its impact in the feed rates of the Nubian Aquifer.

The study used several methodologies, are: the historical method, quantitative method, the regional method, ecosystem method, the analytical method. They have helped in the analysis and interpretation of data obtained from primary sources and secondary sources.

The most important findings of the study is that the reason for the appearance of overflow of water in the study area, due to increased feed rates of the Nubian Aquifer, from Merowe Dam Lake. And that the

increase in underground water has led to the expansion of agricultural projects in the upper barricades in the northern state. Also, the increase contributed to the establishment of large-scale projects as the two projects (Al Rajhi and Amtar), that depend on underground water for irrigation.

Among the most important recommendations of the study are: Make use of the presence of this water to plan projects in the upper gears. And conducting studies for the study area to develop future plans that accommodate the changes that occurred due to the spread of the water rash phenomenon.

Keywords: Lake. Dam. Merow. Feed. Aquifer. Nubian. Projects. Rash.

مقدمــة:

إن المياه الجوفية في السودان تمثل مورداً مهماً لأن أغلب مناطقه تقع في الإقليم الجاف وشبه الجاف، وتتوزع على معظم أنحاء القطر، وتوجد في أعماق متباينة، تتراوح بين أقل من(10) أمتار وأكثر من (100) متر تحت سطح الأرض. رغم عدم توفر البيانات والمعلومات عن مناسيب المياه الجوفية، إلا أنه يمكن القول أن معظم المخزون الجوفي في السودان "غير متجدد التغذية. والتجديد السنوي ويقدر بحوالي 3.4 مليارات متر مكعب، إلا أن المستخرج منها لا يزيد عن (0.1) مليار متر يستخدم معظمها لأغراض الزراعة". (محمود، 2015). وتوجد عدة أحواض جوفية في السودان تشمل الحوض النوبي، وحوض أم روابه، وغيرها من الأحواض. من أهم هذه الأحواض الحوض النوبي الجوفي موضوع البحث. "الذي يقدر مخزونه بنحو (40) ألف مليار متر مكعب، ويعتبر هذا الخزان من أهم مصادر المياه الجوفية العذبة في العالم" (موسوعة المعرفة، 2016)، ويمتد في السودان وتشاد وليبيا ومصر، ويعتبر من أهم الأحواض الجوفية في شمال أفريقيا. حيث يعتمد عليه جل سكان الصحراء الكبرى في مناطق الواحات في تلك الدول. ويمتد أكبر جزء منه في السودان ورغم ذلك الاستفادة منه قليلة. بعد اكتمال بناء خزان سد مروي الذي "يبلغ طوله (9.2) كيلومتر وبارتفاع يصل إلى (67) متر، ويعتبر أكبر السدود السودانية المنشأة على نهر النيل وروافده في السودان. فقد كون هذا السد بحيرة تغطي مساحة (467) كلم مربع. وينتج السد طاقة كهربائية تقدر بحوالي (1,250) ميغاواط، وسوف يروي مساحة تقدر بحوالي ثلاثمائة ألف فدان، بعد اكتمال القنوات المصاحبة له، كما يساعد في حماية الأراضي الزراعية والمناطق العمرانية من خطر الفيضان. لكن بعد اكتمال التخزين ظهرت بعض المشاكل في أراضي القرى المجاورة للسد تمثلت في ظاهرة الطفح المائي خصوصاً في محلية مروي وبعض القرى الواقعة في محليتي القولد والبرقيق. وقد تم ربط هذه الظاهرة من قبل السكان بأنها نتيجة لاكتمال التخزين في بحيرة السد مما أثار اهتمام الباحث لمعرفة أسباب ظهور هذه الظاهرة وما ترتب على ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية. مما يتطلب دراسة الظاهرة بصورة علمية لمعرفة الأسباب الحقيقة لظاهرة الطفح المائي في الولاية الشمالية. لذا يأتي هذه البحث لمعرفة أثر بحيرة سد مروي في تغذية الحوض الجوفي النوبي في الولاية الشمالية التي

تعاني من شح الموارد المائية على الرغم من أن اقتصادها يعتمد على الزراعة بصورة كاملة. وتفسير سبب الطفح المائي.

1.مشكلة البحث:

ظهرت ظاهرة فيض المياه أو ما يعرف - بالطفح المائي - في منطقة الدراسة المحصورة بين منطقة البرقيق شمالاً إلى المنطقة المقام بها سد مروي جنوباً والتي تقع جميعها على الحوض الجوفي النوبي بصورة واضحة ومؤثرة ولكنها أصبحت أكثر وضوحاً وانتشاراً في السنوات الأخيرة منذ عام 2012م، مما يتطلب محاولة التقصي عن الأسباب التي أدت لانتشار الظاهرة. وقد أثرت هذه الظاهرة على مناطق الإنتاج الزراعي والعمراني مما يتطلب دراستها. ولتحديد أسباب ظهور الطفح المائي يمكن الإجابة على الأسئلة التالية:

-ما هي المنطقة التي يمتد فيها الحوض الجوفي النوبي؟

-ما هي الخصائص الجغرافية للمنطقة التي يمتد فيها الحوض؟

-ما هو حجم المخزون الجوفي في منطقة الدراسة خلال السنوات (2005 -2015)؟

-إلى أي مدى أثرت بحيرة سد مروي في تغذية الحوض الجوفي النوبي في منطقة الدراسة ؟

-هل انتشار ظاهرة الطفح المائي نتيجة لمساهمة بحيرة سد مروي في زيادة معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي في منطقة الدراسة أو أن هنالك أسباب أخرى؟

2.فرضيات البحث:

-يرجع سبب ظهور الطفح المائي في المنطقة الممتدة من مروي إلى البرقيق لزيادة في معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي من بحيرة سد مروي.

-أدت زيادة التغذية للخزان الجوفي إلى زيادة في مياه الآبار السطحية والجوفية في منطقة البحث.

-أثرت في الزيادة المياه الجوفية للتوسع في المشاريع الزراعية في التروس العليا في الولاية الشمالية.

3.أهداف البحث: يسعى البحث لتحقيق الأهداف التالية:

-التعرف على معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي قبل وبعد قيام بحيرة سد مروي بصفة عامة وفي المناطق المتأثرة بظاهرة الطفح المائي بصفة خاصة.

-توضيح العوامل الأخرى المتمثلة في طرق الري وفيضان النيل ومدى تأثيرها في معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي.

-تحديد أثر ظاهرة الطفح المائي على الإنتاج الزراعي بصورة عامة والعمران في المنطقة بصورة خاصة.

4.أهمية البحث: تتمثل أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

-يوفر البحث قاعدة بيانات علمية للباحثين عن منطقة الحوض الجوفي النوبي والمياه الجوفية بصورة عامة.

-يوفر البحث قاعدة بيانات للجهات ذات الاختصاص من التنفيذيين في مختلف المجالات ذات الصلة بالموضوع كمجال الزراعة والعمران والمياه والتربة والمناخ واستخدام الأرض وعلوم البيئة، للاستفادة منها لوضع حلول لظاهرة الطفح المائي.

-الخطة التي يتم وضعها لمعالجة المشكلة يمكن الاستفادة منها في المناطق الأخرى المشابهة خاصة أن هنالك خطة لإنشاء عدة سدود من أجل تنمية السودان.

-يوفر البحث حقائق علمية يستفيد منها المخططون والمنفذون في استغلال الموارد بمنطقة الدراسة.

-توفير مادة علمية للباحثين مستقبلاً للاستفادة منها في المجالات المختلفة لمنفعة منطقة الدراسة.

-يوفر بيانات ومعلومات تسهم في مجال التخطيط للمشاريع الاقتصادية،ومشاريع البنيات التحتية وتخطيط المراكز الحضرية في المنطقة.

5.مناهج البحث: استخدم البحث عدة مناهج وهي:

المنهج التاريخي: هو عبارة عن إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها، ليتم عرض الحقائق عرض صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها. وقد اتبع هذا المنهج في البحث في تتبع الظواهر الطبيعية والبشرية التي توجد في المنطقة خلال الفترة التاريخية.

المنهج التحليلي الكمي: الذي يؤمن استنباطاً دقيقاً للمعلومات ودلالاتها سواء كانت ظاهرة أو باطنة، جزئية أو كلية، وكذلك معرفة مدى تأثيرها وتأثرها ببعضها، مجتمعة أو منفردة. واستخدم هذا المنهج في البحث في جميع البيانات وتصنيفها وعرضها ثم تحليلها. كما استخدم نظم المعلومات الجغرافية لإنتاج خرائط توضح مناطق الآبار في منطقة الدراسة، مما يفيد في تحديد الاستخدام الحالي للأرض واستنتاج خرائط الاستخدام الحالي والمستقبلي للمياه الجوفية.

المنهج الإقليمي: هو منهج جغرافي يتخذ من الإقليم وحدة للبحث وهذا معناه أن ينطلق الباحث في إطار إقليمي بحت. وقد اتخذ الباحث من الإقليم الإداري تحت مسمى الولاية الشمالية إقليماً للبحث.

المنهج الأيكولوجي: هو المنهج الذي يهتم بدراسة العلاقات القائمة بين مكونات البيئة.

أستخدم هذا المنهج في البحث لمعرفة تأثير الظاهرة بموضوع الدراسة المتمثلة في ظاهرة الطفح المائي وأثرها وعلاقتها بمختلف الكائنات الحية في منطقة الدراسة وتشمل الإنسان والحيوان والنبات.

6.مصادر جمع المعلومات: تم الاعتماد على عدة مصادر في جمع البيانات والمعلومات تمثلت في المصادر الثانوية والأولية.

المصادر الثانوية: تتمثل المصادر الثانوية في الكتب والبحوث والدراسات السابقة والبيانات والمعلومات المتوفرة في مواقع الانترنت عن موضوع البحث.

المصادر الأولية: تتمثل في العمل الميداني لجمع البيانات التي لم يتم الحصول عليها بواسطة المصادر الثانوية، فلجأ الباحثان للعمل الميداني، بالزيارات لمنطقة الدراسة والمقابلات الشخصية.

7.تعريف المياه الجوفية:

المياه الجوفية هي المياه التي تتخلل التربة وما تحتها من صخور، وهي تشكل(14%) تقريباً من الحجم الكلي للماء العذب الموجود على الأرض. ويعرف السطح العلوي للمياه الجوفية بمنسوب الماء الجوفي. وهو خط متغير الارتفاع اعتماداً على طبوغرافية سطح الأرض، حيث يكون

عالي الارتفاع في المناطق الجبلية والتلال وينخفض تدريجياً مع انحدار الأرض حتى يصل إلى الأودية (النقاوي، 2004، ص12).

كما تعرف بأنها "المياه الموجودة تحت سطح الأرض، سواء تلك الموجودة في المناطق المشبعة (المنطقة المملوءة فراغاتها بالكامل بالمياه) أو غير المشبعة (المنطقة الواقعة مباشرة تحت سطح الأرض وتحتوي المواد الجيولوجية المكونة لها المياه والهواء في الفراغات الفاصلة بين حبيبات التربة.(عساف، سعيد،2007، ص4).

كما تعرف بأنها تلك المياه الواقعة تحت سطح الأرض، والتي يمكن تجميعها وسحبها بواسطة الآبار أو المياه التي تتدفق طبيعياً إلى السطح عن طريق التزاز أو عن طريق الينابيع (الجنايني، 1985، ص203). المياه الجوفية هي المياه التي تقع تحت سطح الأرض بأعماق مختلفة، وهي المياه التي تتسرب إلى داخل الأرض من خلال مسامات التربة والشقوق الصخرية وتتجمع في طبقات صخرية مسامية يطلق عليها اسم الطبقات الحاملة للمياه (أومايلة، 1996، ص54). هي تلك المياه التحت سطحية والموجودة تحت سطح الأرض في تكوينات أرضية مختلفة، والتي يمكن تجميعها بوسائل مختلفة مثل الآبار والينابيع والفوارات (شحادة ووهلان، 1999، ص36).

8.مفهوم الحوض الجوفي

هو الحوض الجوفي المتكون من تربة مفتتة كالخليط الرمل والحصى أو صخور تحتوي ماء ويمكن سحب الماء منها بكميات كبيرة وبسهولة ، عادة ما تكون هذه الأحواض ذات نفاذية كبيرة بحيث تسمح لكميات كبيرة من المياه بالحركة داخلها ومنها واليها وتصل نفاذيتها إلى أكبر من 1 متر / اليوم = 10^-5 متر/ الثانية.

9.مفهوم السد:

السد هو إنشاء هندسي يقام فوق واد أو منخفض بهدف حجز المياه. والسدود من أقدم المنشآت المائية التي عرفها الإنسان. وعادة ما يتم تصنيفها حسب أشكالها والمواد التي استخدمت في بنائها والأهداف التي شيدت من أجلها. إن الأنواع الشائعة من السدود هي التي تنشأ من نوع واحد من المواد أو ذات الردم الترابي والردم الصخري مع قالب ترابي، أو ذات الواجهة الخرسانية، والسدود الخرسانية التي تعتمد على الجاذبية أو القوس أو الدعامات الواقية.

10.جغرافية منطقة الدراسة

أ/ الموقع الفلكي: تقع الولاية الشمالية بين دائرتي عرض (16 – 22) درجة شمالاً وخطي طول (25 –32) درجة شرقاً. هذا الموقع الفلكي جعلها تمتد في الإقليم الصحراوي بصورة كاملة، أنظر الخريطة رقم (1).

ب/ الموقع الجغرافي: يحد الولاية من الشمال جمهورية مصر العربية، ومن الشمال الغربي الجمهورية الليبية، ومن الغرب ولاية شمال دارفور وشرقاً ولاية نهر النيل وجنوباً ولايتي شمال كردفان والخرطوم، أنظر الخريطة (1).

ج/ المساحة: تحتل الولاية الشمالية مساحة تقدر بحوالي (348,697)كم2. ومعظم هذه المساحة خالي من السكان لذلك يتجمع السكان حوالي النيل وبعض الواحات.

د/ التقسيم الإداري: تنقسم الولاية الي سبع محليات هي: وادي حلفا – دلقو – البورقيق - دنقلا – القولد - الدبة – مروي، وتقسم هذه المحليات بعدة وحدات إدارية بلغ مجموعها 23 وحدة إدارية. أنظر الخريطة رقم (1). منطقة الدراسة

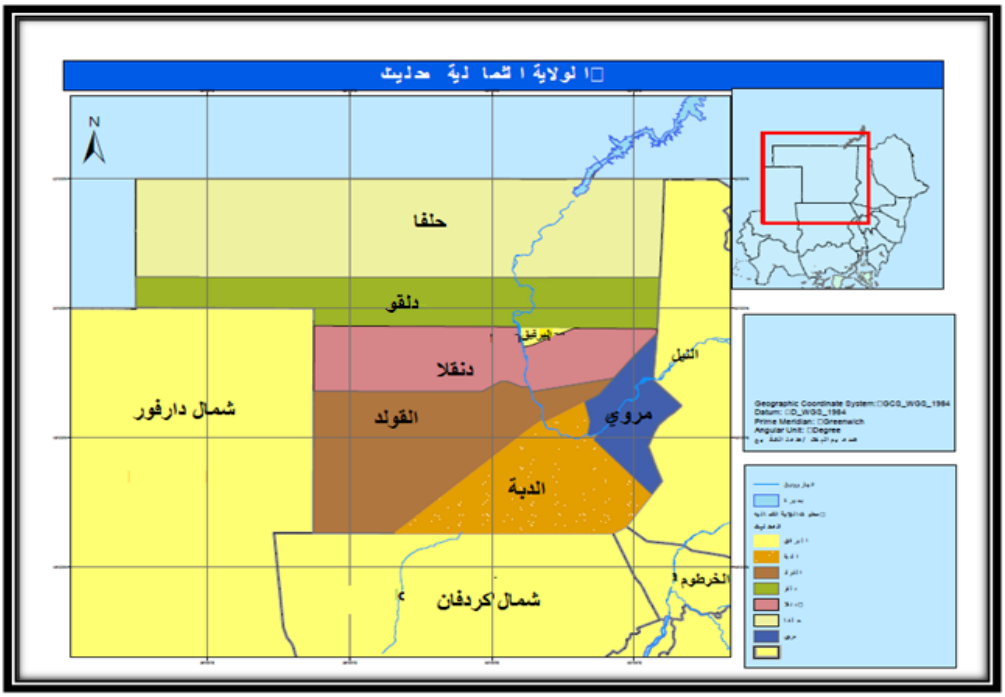

المصدر: الباحثان، هيئة المساحة، 2017م، بتصرف.

11.أثر بحيرة سد مروي في تغذية الحوض النوبي

مكونات الحوض النوبي:

تتكون من طبقات متوازية رأسية أو مائلة قليلاً من الحجر الرملي وحجر طيني وقد عرفت تكوينات منطقة الخرطوم – شندي.

1/ كنجولمرات حصوي.2/ كنجولمرات منقول.3/ الحجر الرملي للمرخيات. 4/ الحجر الرملي الكوارتوزي.5/ الحجر الطيني(Kheiralla 1966, p83).

وتتواجد المياه المكونة للحوض النوبي في طبقة الكنجلومرات الحصوي والمرخيات والحجر الرملي والكوارتزي وسمك متكونات النوبة متغاير ولا يزيد عن (1500) قدم. ويعتبر هذا الخزان الحوض المائي من أفضل وأجود الخزانات الجوفية في السودان وأكبرها حجماً وبعيداً عن النهر فإن مستوى الماء يقع بين (300-400) قدم. ويتم التغذية من النهر وبعض تفرعاته ومن سقوط الأمطار وخاصة في أطرافه الجنوبية من هذه المنطقة حيث هطول الأمطار بغزارة.

الخصائص الهيدروليكية للخزان النوبي:

درجة التوصيل الهيدروليكي في الجزء السفلي (رسوبيات – الباليوزي) تصل إلى(5-10)إلى(6-10) والجزء العلوي (الرسوبيات الميزوزي) أقل من(4×6-10)إلى أكثر من(3-10 m/s) والتوصيل النويمي يصل إلى(100 m2/d) بمحاذاة صخور الأساس إلى(1000 m2/d) عن زيادة السمك للطبقات في (3000م).

نوعية المياه للخزان النوبي:

تبلغ الأملاح المذابة أقل من (1000) جزء من المليون إلى (500) جزء من المليون وتعد مياه ممتازة وتغير درجة الملوحة جانبياً ورأسياً في الطبقات التي تحمل المياه لعصر الميزوزوي أقل من (2000) جزء من المليون حيث تحتوي على مياه عذبة وهي تكون في الجزء العلوي أما الجزء السفلي حيث طبقات الباليوزي تصبح مالحة نوعاً ما.

الحوض النوبي من أكبر الأحواض في العالم إذ تبلغ مساحته (2.4) مليون كلم2 ومساحة المنطقة الحاملة للمياه (1.8) مليون كلم مربع ويمتاز بنوع مياه جيدة عذبة ذات نسبة ملوحة منخفضة (810-1300) جزء من المليون وبالضغط الهيدروليكي العالية التي تساعد على تصاعد المياه إلى أعلى من خلال الشقوق والفواصل وتتكون من طبقات لتتابع سلسلة صخور الحجر الرملي والطفل يمتد عمرها من الباليورزي إلى العصر الكرتياسي الأسفل وقد استغرق تكوينه فترة زمنية جيولوجية وتاريخ طويل تم أثنائها التغذية والمخزون الإستراتيجي هائل جداً ويمثل الجزء الشمالي الغربي من السودان من منطقة العوينات جزء من الحوض النوبي الذي يمتد إلى جنوب مصر وليبيا وتشاد.

وتكوين القطاع الجيولوجي في هذه المنطقة من صخور الأساس المتبلورة يعلوها صخور الحجر الرملي النوبي التي لا تحتوي على طبقات كتمية مما يجعل المياه حرة الحركة. يتراوح عمق المياه بين(30-20م) ودلت نتائج الضخ التجريبي أن نفاذية الصخور الحاملة للمياه تتراوح بين (20-30/ يوم) وتتراوح الملوحة فيه من(1300-810) جزء في المليون وعلى هذا فهي صالحة للاستخدام المنزلي والزراعي. وقد نجح استخدامها في التسعينات في الولاية الشمالية غرب منطقة سكوت – المحس نجح مشروع زراعة الخضر والفاكهة نجاحاً منقطع النظير ويجب تعميم التجربة على كافة الولاية تتراوح ملوحة المياه من(1150-740) جزء في المليون. (أنظر الخريطة(2).

خريطة (2) جيولوجية الحوض الجوفي النوبي في منطقة الدراسة

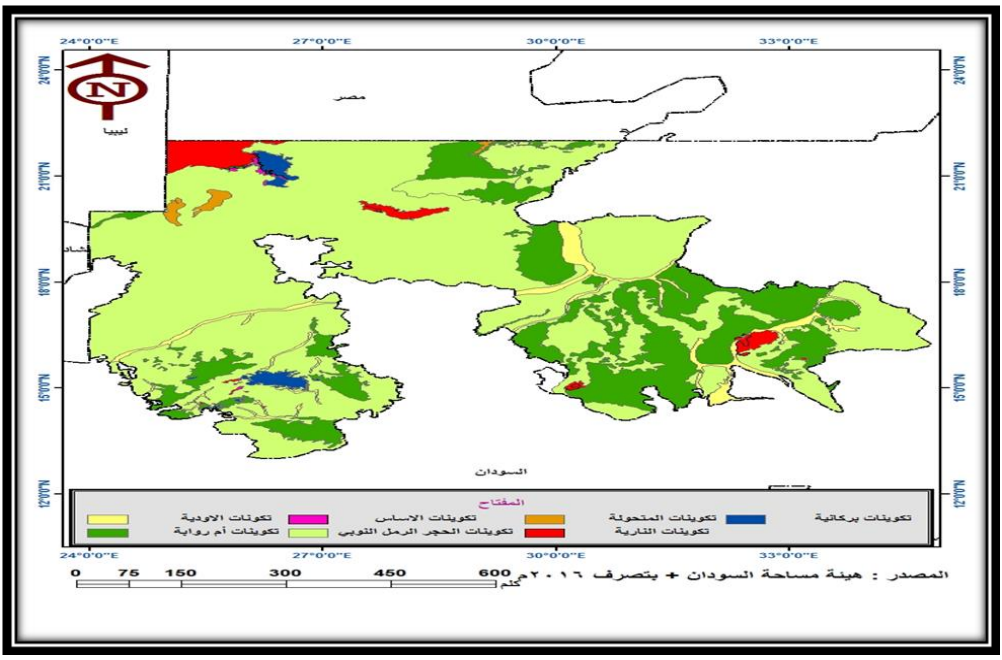

12.بحيرة سد مروي:

سد مروي هو سد كهرومائي يقع على مجرى نهر النيل في الولاية الشمالية بالسودان عن جزيرة مروي التي أطلق عليه أسمها، على بعد (350) كلم من الخرطوم و(600) كلم من ميناء بورتسودان. أكتمل بناء السد في 3 مارس 2009م، ويبلغ إجمالي طوله (9.2) كيلومتر فيما يصل ارتفاعه إلى (67) متر، وقد صاحب عملية بنائه عدد من المشاريع التحضيرية، مثل إنشاء عدد من الطرق والجسور وخط للسكة الحديد ومدينة سكنية لإقامة فريق العمل الذي تألف من (5)ألف عامل نصفهم من السودانيين والبقية من الصينيين.(الموسوعة الحرة، 2016م). و تمتد بحيرة السد لمسافة تصل إلى (176) كلم خلف جسد السد، حيث تمتد من جزيرة مروي بمنطقة الحامداب على بعد 34 كيلومتراً شمال مدينة مروي، حتى منطقة أم سقاية جنوب مدينة أبو حمد بولاية نهر النيل (يوسف، 2012، ص13).

صورة رقم(1) سد مروي

صورة رقم(2) جوية لسد مروي

المصدر: عمل الباحثان،2017.

13.زيادة في معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي بالمنطقة من (2005-2015)

لمعرفة معدلات الزيادة في مستوى المياه الجوفية استعان الباحث ببيانات هيئة المياه الجوفية والوديان بالولاية الشمالية، فتم الحصول على بيانات الأعوام (2005، 2010، 2011، 2012م، 2014، 2015) لعدد (35) بئراً في منطقة الدراسة وفقا للمحليات السبعة. كما مبين في الملحق رقم (1).

1/ محلية حلفا:

شكل (1) مستويات مياه الآبار في محلية حلفا

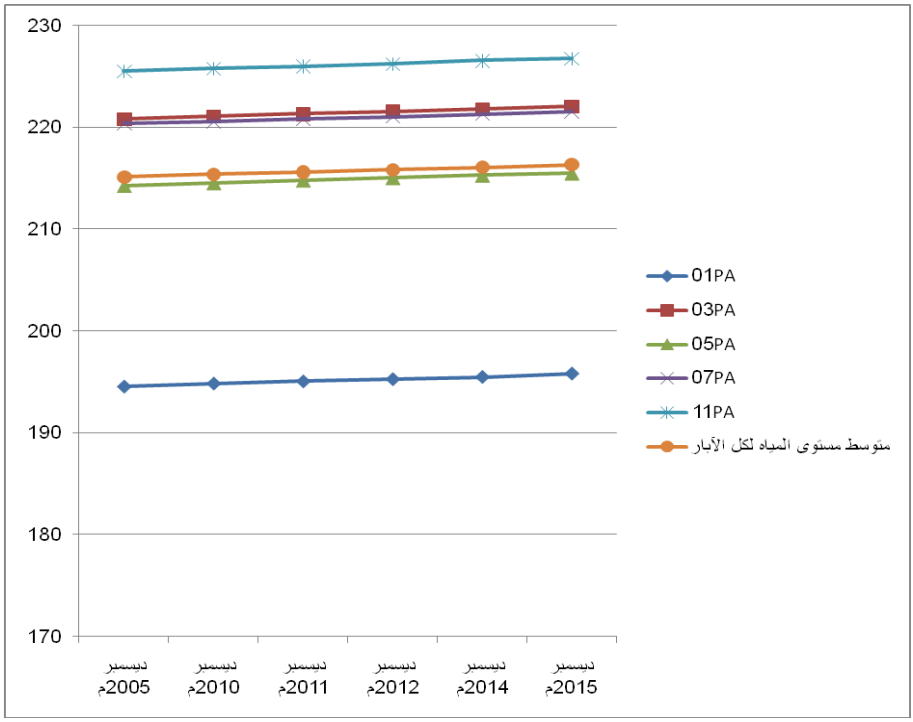

المصدر: عمل الباحثان، من بيانات إدارة المياه الجوفية والوديان، دنقلا،2017.

الشكل (1) يبين أن هنالك زيادة في مستويات المياه لجميع آبار محلية حلفا، وهذا ما يؤكده متوسط مستوى المياه لجميع الآبار، حيث نجد أن متوسط المياه في العام (2005م) بلغ (215.122 masl) وارتفع إلى(216.346) في العام 2015م، بمعدل زيادة بلغت (0.6%) وزيادة سنوية مقدارها (0.1224 masl).

2/ محلية دلقو:

شكل (2) مستويات مياه الآبار في محلية دلقو

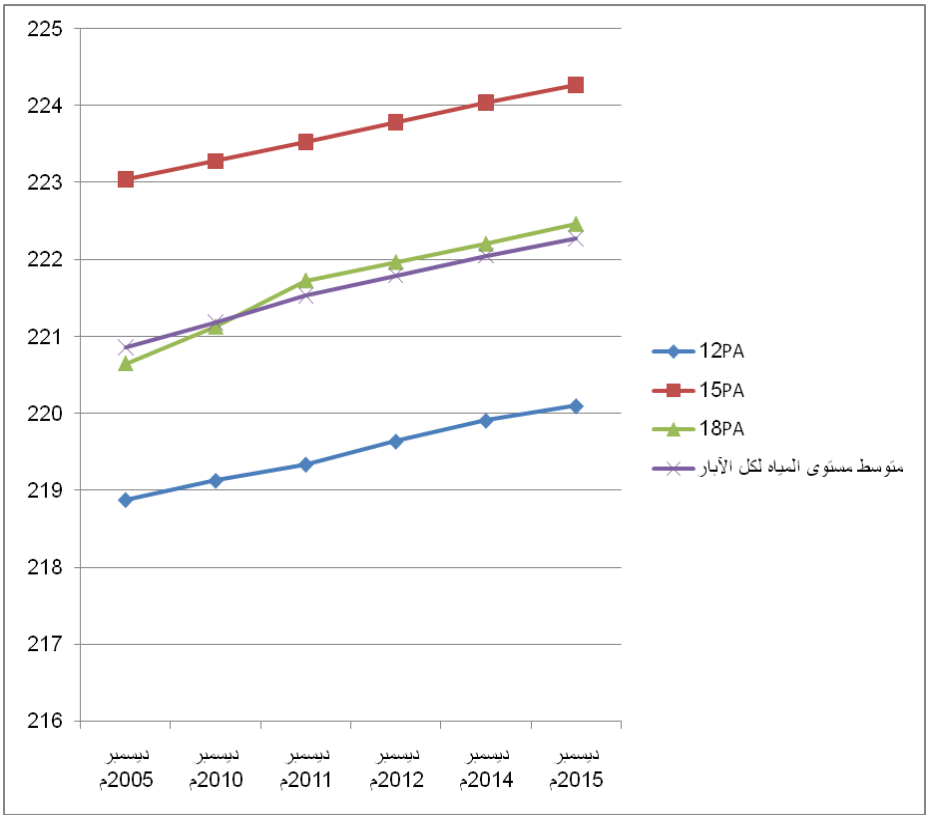

المصدر: عمل الباحثان، من بيانات إدارة المياه الجوفية والوديان، دنقلا، 2017.

الشكل (2) يبين أن هنالك زيادة في مستويات المياه لجميع آبار محلية دلقو، وهذا ما يؤكده متوسط مستوى المياه لجميع الآبار، حيث نجد أن متوسط المياه في العام (2005) بلغ (657.220 masl) وارتفع إلى (222.28) في العام 2015م، بمعدل زيادة بلغت (0.74%) وزيادة سنوية مقدارها (masl0.1623).

3/ محلية البرقيق:

شكل (3) مستويات مياه الآبار في محلية البرقيق

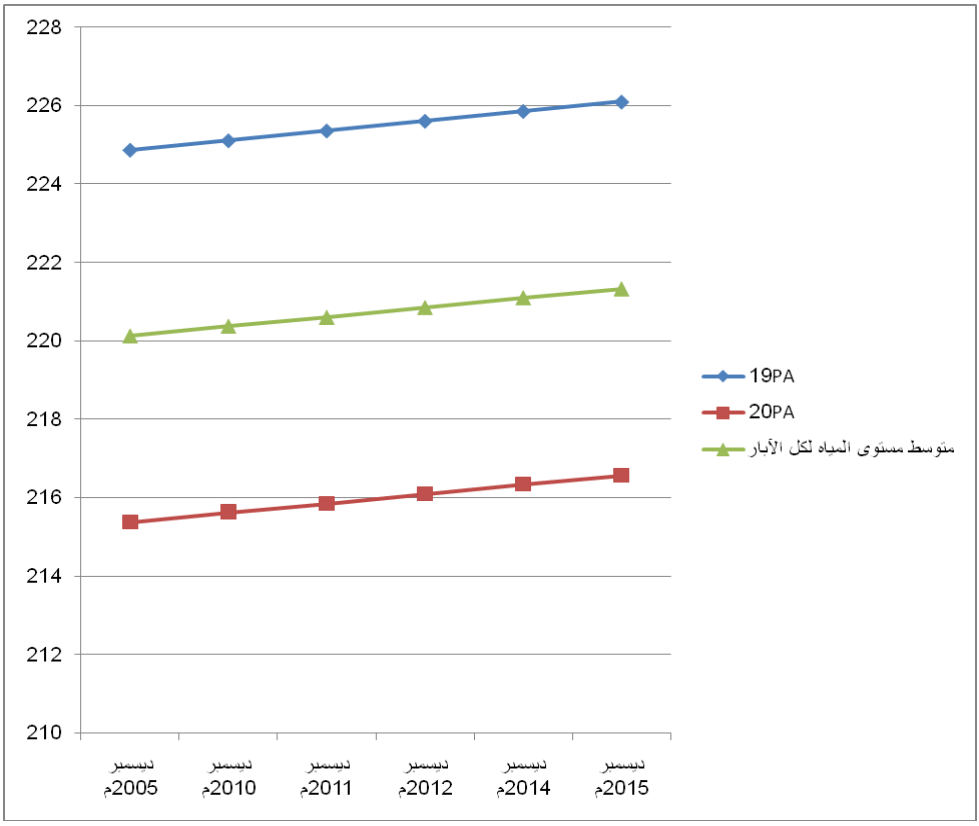

المصدر: عمل الباحثان، من بيانات إدارة المياه الجوفية والوديان، دنقلا، 2017.

الشكل (3) يبين أن هنالك زيادة في مستويات المياه لجميع آبار محلية البرقيق، وهذا ما يؤكده متوسط مستوى المياه لجميع الآبار، حيث يلاحظ أن متوسط المياه في العام (2005) بلغ (220.125 masl)وارتفع إلى (221.335) في العام 2015م، بمعدل زيادة بلغت (0.55%)، وزيادة سنوية مقدارها (0.121 masl).

4/ محلية دنقلا:

شكل (4) مستويات مياه الآبار في محلية دنقلا

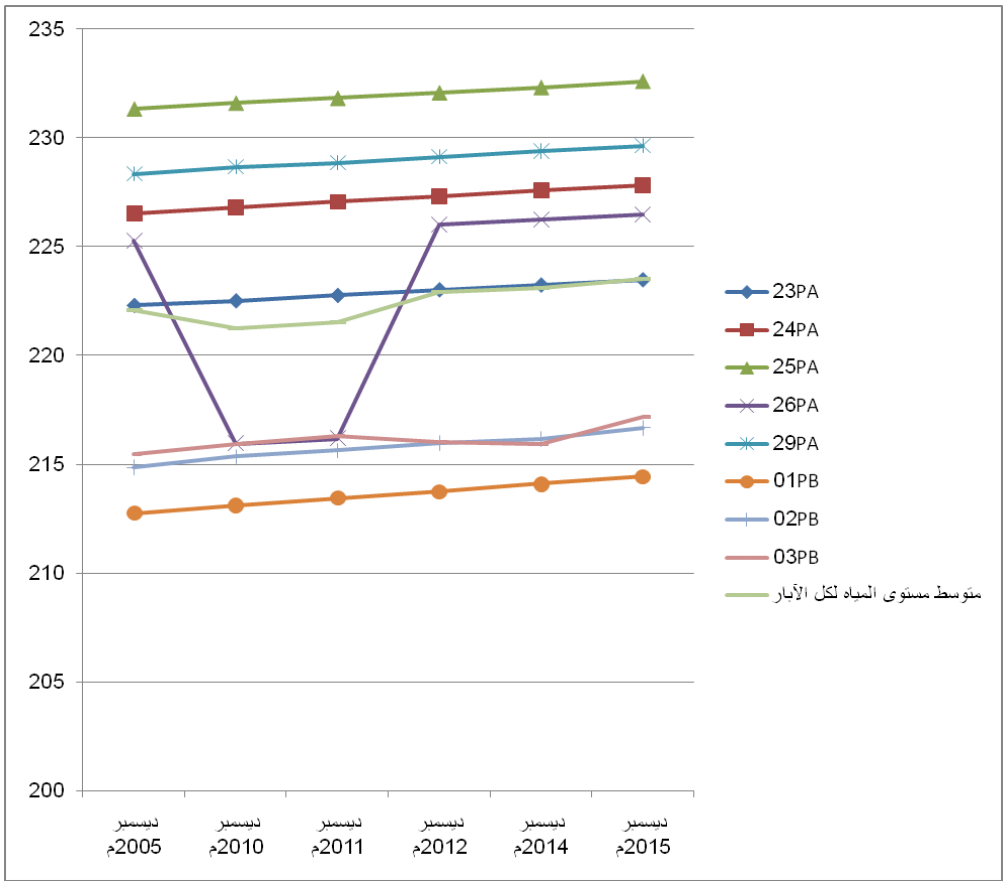

المصدر: عمل الباحثان، من بيانات إدارة المياه الجوفية والوديان، دنقلا، 2017.

الشكل (4) يبين أن هنالك زيادة في مستويات المياه لجميع آبار محلية دنقلا، وهذا ما يؤكده متوسط مستوى المياه لجميع الآبار، حيث نجد أن متوسط المياه في العام (2005) بلغ (222.103 masl) وارتفع إلى (223.538) في العام 2015م، بمعدل زيادة بلغت(0.65%)، وزيادة سنوية مقدارها (0.144 masl).

5/ محلية القولد:

شكل (5) مستويات مياه الآبار في محلية القولد

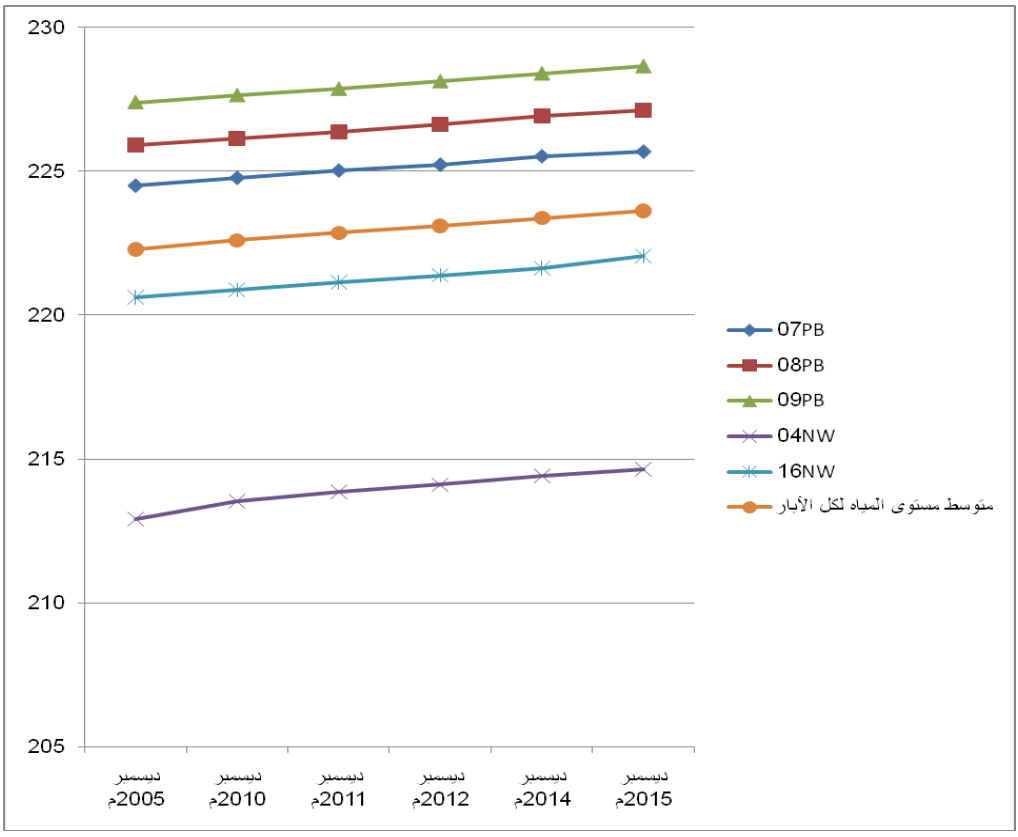

المصدر: عمل الباحثان، من بيانات إدارة المياه الجوفية والوديان، دنقلا.

الشكل (5) يبين أن هنالك زيادة في مستويات المياه لجميع آبار محلية القولد، وهذا ما يؤكده متوسط مستوى المياه لجميع الآبار، حيث نجد أن متوسط المياه في العام 2005. بلغ (222.272 masl) وارتفع إلى (223.63) في العام 2015م، بمعدل زيادة بلغت (0.61%)، وزيادة سنوية مقدارها (0.136 masl).

6/ محلية الدبة:

شكل (6) مستويات مياه الآبار في محلية الدبة

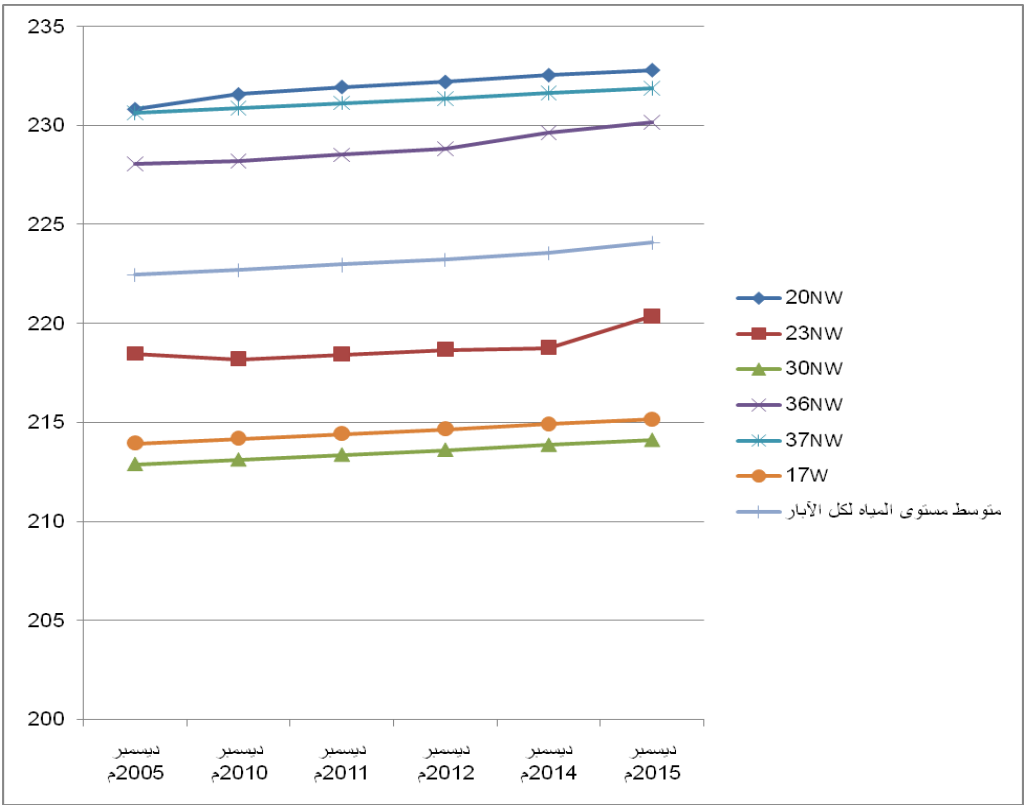

المصدر: عمل الباحثان، من بيانات إدارة المياه الجوفية والوديان، دنقلا.

الشكل (6) يبين أن هنالك زيادة في مستويات المياه لجميع آبار محلية الدبة، وهذا ما يؤكده متوسط مستوى المياه لجميع الآبار، حيث نجد أن متوسط المياه في العام 2005م. بلغ (222.48 masl) وارتفع إلى (224.09) في العام 2015م، بمعدل زيادة بلغت (0.72%)، وزيادة سنوية مقدارها (0.161 masl).

7/ محلية مروي:

شكل (7) مستويات مياه الآبار في محلية مروي

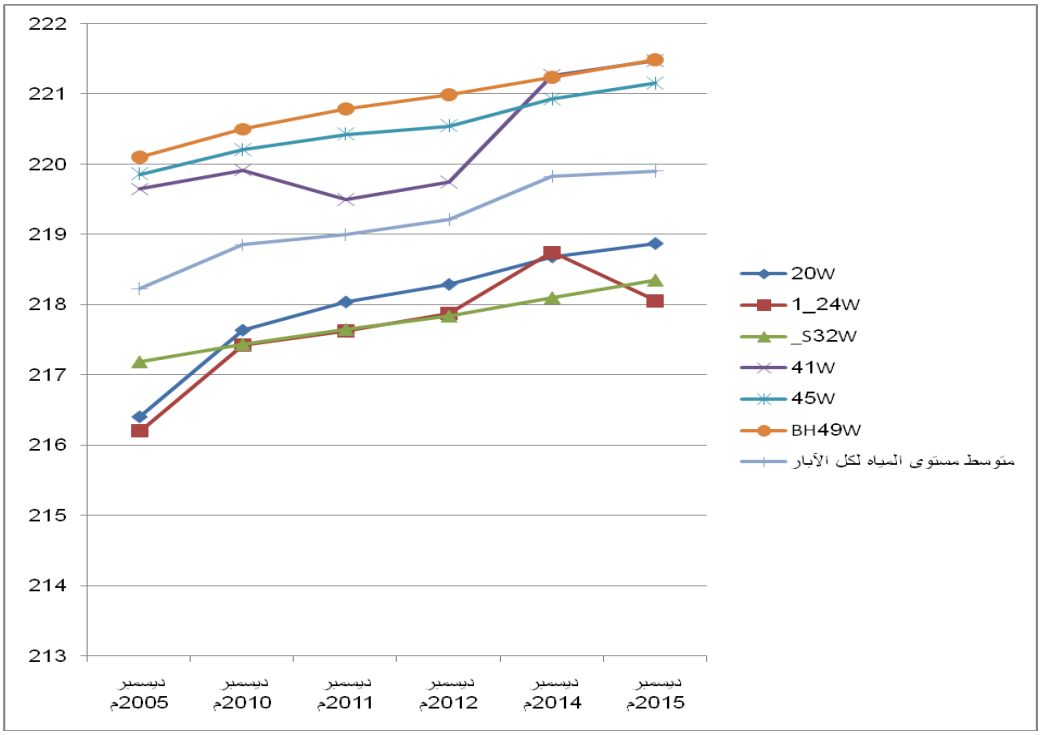

المصدر: عمل الباحثان، من بيانات إدارة المياه الجوفية والوديان، دنقلا،2017.

الشكل (7) يبين أن هنالك زيادة في مستويات المياه لجميع آبار محلية مروي، وهذا ما يؤكده متوسط مستوى المياه لجميع الآبار، حيث نجد أن متوسط المياه في العام 2005. بلغ(218.235 masl) وارتفع إلى (219.902) في العام 2015م، بمعدل زيادة بلغت (0.76%)، وزيادة سنوية مقدارها (0.167 masl).

14.أثر البحيرة على تغذية الحوض النوبي:

ظاهرة الطفح المائي:

تبين من الأشكال السابقة أن هنالك زيادة مستمرة في مستويات المياه الجوفية في منطقة الدراسة حيث ارتفعت المياه الجوفية في الفترة من 2005-2015 إلى (1.45 masl)، وتبين كذلك أن الزيادة منذ عام 2012، مقارنة بالعام 2005، هي زيادة دالة إحصائياً. وبذلك فإن ارتفاع مستويات المياه الجوفية في الآبار في منطقة الدراسة لما يقارب المتر والنصف لكل بئر يدلل على ارتفاع المياه الجوفية في المناطق القريبة للنيل، وذلك لتأثير عاملين في تغذية المياه الجوفية، هما عاملي المياه السطحية المتسربة من النيل، ويلاحظ أن ظاهرة الطفح المائي قبل العام 2012م، كانت تعتبر من الظواهر النادرة، ولكن بعد اكتمال ملء بحيرة سد مروي أنتشرت الظاهرة بصورة كبيرة في السنوات 2012-2015.

صور من مناطق الدراسة المتأثرة بالطفح المائي:

(1): منطقة تنقاسي

(2): منطقة مروي

المصدر: العمل الميداني، 2017.

زيادة مستويات المياه في آبار منطقة الدراسة:

من البيانات التي تم جمعها عن مستويات الآبار في منطقة الدراسة تم تحليل مستويات مياه الآبار لبيان الفروق ذات الدلالة الإحصائية عن طريق الوسط الحسابي والانحراف المعياري كما يبين الجدول أدناه.

جدول (1) اختبار (ت) لبيان الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين مستويات المياه في الآبار بين العامين 2005 -2015.

السنة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار (ت)	الدلالة	النتيجة
2005	220.31	7.11	25.683	0.000	توجد فروق ذات دلالة إحصائية
2015	221.76	7.09			

المصدر: عمل الباحثان، الملحق رقم (1).

يبين الجدول (1) أن الفترة الممتدة من 2005-2015م شهدت فروق ذات دلالة إحصائية في مستويات المياه في الآبار الجوفية حيث بلغت قيمة الدلالة المصاحبة لاختبار (ت) (0.000) وهي أقل من(0.05) مما يدلل على أن الفروق دالة إحصائية، مما يبين أن الفترة الممتدة من 2005-2015 شهدت ارتفاع في مستويات المياه الجوفية في منطقة الدراسة بصورة دالة إحصائياً، حيث ارتفع من(220.31) إلى (221.76 masl) بزيادة قدرها (1.45 masl). كما تم التحليل باستخدام GIS لبيان لتغيرات في مستويات في المياه خلال الفترة 2005-2015. والتحليل بالطريقتين تبين أن هنالك زيادة في مستويات المياه الجوفية بلغت (1.45 masl)، ذلك بين أن هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في مستويات المياه الجوفية في العام 2015 مقارنة بالعام 2005، مما يدلل على أن هنالك زيادة في معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي في منطقة الدراسة خلال الفترة 2005-2015.

النتائج: يمكن إيجاز أهم نتائج الدراسة في الآتي:

-يرجع سبب ظهور الطفح المائي في المنطقة الممتدة من مروي إلى البرقيق لزيادة في معدلات تغذية الحوض الجوفي النوبي من بحيرة سد مروي. وهذا يحقق فرضية البحث.

-أدت زيادة التغذية من الخزان للزيادة في مياه الآبار السطحية في منطقة البحث.

-أثرت الزيادة في المياه الجوفية زيادة التوسع في المشاريع الزراعية في التروس العليا في الولاية الشمالية.

-قيام سد مروي في منطقة الدراسة أدى إلى تغيرات مناخية.

-زيادة مستويات المياه الجوفية في منطقة الدراسة ساهم في إنشاء مشاريع ضخمة كمشروعي الراجحي وأمطار، التي يعتمدان على المياه الجوفية في الري من الحوض الجوفي.

-تتميز منطقة الدراسة بتوفر المياه الجوفية الجوفية المتجددة عن طريق التغذية من حوض النيل وبحيرة سد مروي.

-معظم آبار منطقة الدراسة هي آبار عادية (سطحية) تعمل في ري المشاريع الصغيرة التي يمتلكها الأهالي، مع انتشار للآبار الارتوازية العميقة التي بدأ استخدامها في ازدياد نتيجة للحوجة لكميات أكبر من المياه.

التوصيات: بعد التوصل إلى نتائج الدراسة يوصي الباحث بالآتي:

-إجراء دراسات لمنطقة الدراسة لوضع معلومات كافية تستوعب التغيرات التي حدثت فيها نتيجة انتشار ظاهرة الطفح المائي وزيادة معدلات هطول الأمطار، بحيث يتم تحديد وتخطيط العمران بصورة تتلاءم والظروف المستجدة.

-الاستفادة من وجود الأراضي الزراعية الملائمة (التروس العليا) والمياه الجوفية، في التوسع الزراعي بصورة تتلاءم وتوفق بين كميات المياه والأراضي، بتحديد المنتجات الزراعية التي تلاءم تلك النسبة.

-التوسع في دراسة التغيرات المناخية في منطقة الدراسة نتيجة إنشاء سد مروي، لتلافي المخاطر الممكنة الحدوث، والاستفادة من الإيجابيات الناتجة من تلك التغيرات.

-لابد من إجراء دراسات دقيقة للمشاريع الزراعية الكبرى التي أنشئت في الولاية الشمالية في السنوات السابقة، وبيان كميات استهلاكها للمياه الجوفية، حيث أن الباحث يرى أن إغفال الدراسات المستمرة لتلك المشاريع ربما يؤدي إلى استهلاك متسارع للمياه الجوفيه في منطقة الدراسة.

-يجب أن يتم استهلاك المياه الجوفية القديمة المنشأ بصورة معتدلة تحفظ للأجيال القادمة حقوقها من الموارد، وذلك عن طريق إنشاء بنك معلومات يهتم بكميات السحب والتغذية بصورة دورية.

-لابد من إجراء دراسات علمية دقيقة للآبار الارتوازية التي بدأ انتشار استخدامها في منطقة الدراسة، لتكون بمثابة إنذار مبكر للسحب المتوسع للمياه الجوفية.

-الإسراع في تنفيذ الترع المصاحبة للبحيرة حتى يتم التقليل نم سحب مياه الحوض الجوفي.

قائمة المراجع:

1.إلهام النقاوي(2004)، الجيولوجيا الاقتصادية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، القاهرة.

2.محمود السلاوي(1986)، المياه الجوفية بين النظرية والتطبيق، الدار الجماهيرية للنشر التوزيع والإعلان، طرابلس.

3.هدى عساف، محمد سعيد المصري(2007)، مصادر تلوث المياه الجوفية، منشورات هيئة الطاقة الذرية السورية، دمشق.

4.وزارة الحكم المحلي(2008)، الولاية الشمالية، الدليل التعريفي بالولاية الشمالية. السودان

5.إدارة المياه الجوفية(2017)، الولاية الشمالية، دنقلا. السودان.

6.تقرير إعلامي(2016)، محلية مروي، الولاية الشمالية، نوفمبر. السودان.

7.يوسف فضل حسن(2005)، سد مروي التاريخ والإنجاز، منشورات سد مروي. السودان

8.مقابلة مع المهندس إبراهيم شمعون(2016/10/7)، مهندس المياه الجوفية، محلية الدبة، مقابلة في مكتبه، الدبه، ، الساعة الثانية عشر ونصف ظهراً. السودان.

9.مقابلة مع المهندس عبد الله عمر(2016/10/6)، مدير إدارة المياه الجوفية والوديان بالولاية الشمالية، مقابلة بمكتبه، دنقلا، الساعة العاشرة صباحاً. السودان.
10.سد مروي، موسوعة المعرفة،(2016/4/27)، http://www.marefa.org/index.php/ تاريخ الزيارة، الساعة العاشرة صباحا.

ملحق (1) مستويات المياه في آبار الاستكشاف في الولاية الشمالية

رقم البئر	البئر	المحلية	خط الطول	خط العرض	مستوى مياه في البئر (Level masl)					
					ديسمبر 2005م	ديسمبر 2010م	ديسمبر 2011م	ديسمبر 2012م	ديسمبر 2014م	ديسمبر 2015م
.1	PA01	حلفا	29.95741	19.65826	194.56	194.86	195.07	195.29	195.51	195.84
.2	PA03		29.88556	19.37016	220.83	221.08	221.32	221.57	221.81	222.05
.3	PA05		30.28843	19.42880	214.25	214.51	214.77	215.03	215.27	215.48
.4	PA07		29.89202	19.27488	220.41	220.63	220.87	221.09	221.34	221.59
.5	PA11		29.56771	19.13615	225.56	225.81	226.02	226.27	226.57	226.77
.6	PA12		29.74052	19.07618	218.88	219.13	219.34	219.64	219.91	220.10
.7	PA15	دلقو	29.71172	18.91226	223.04	223.28	223.53	223.78	224.04	224.27
.8	PA18		30.23169	18.94169	220.65	221.13	221.73	221.97	222.21	222.47
.9	PA19		29.71654	18.81625	224.87	225.11	225.36	225.61	225.86	226.10
.10	PA20	البرقيق	29.88092	18.81099	215.38	215.64	215.85	216.10	216.35	216.57
.11	PA23		30.23810	18.70277	222.31	222.52	222.77	223.03	223.25	223.49
.12	PA24		30.09562	18.65278	226.53	226.80	227.06	227.32	227.57	227.82
.13	PA25	دنقلا	29.94888	18.57045	231.32	231.59	231.82	232.07	232.32	232.60
.14	PA26		30.12786	18.53088	225.25	215.95	216.18	226.00	226.24	226.47
.15	PA29		30.36138	18.00217	228.35	228.66	228.86	229.13	229.39	229.64
.16	PB01		30.33569	19.62378	212.75	213.10	213.45	213.74	214.09	214.43
.17	PB02		30.37196	19.50113	214.84	215.33	215.62	215.95	216.14	216.66
.18	PB03		30.39319	19.37934	215.47	215.95	216.29	216.01	215.94	217.19
.19	PB07		30.50077	18.76443	224.51	224.78	225.03	225.23	225.52	225.68
.20	PB08		30.53463	18.63730	225.92	226.14	226.38	226.64	226.93	227.12
.21	PB09		30.49818	18.38847	227.40	227.65	227.87	228.13	228.40	228.65
.22	NW04	الدبة	29.93418	19.06946	212.91	213.53	213.86	214.11	214.41	214.65
.23	NW16		30.13228	18.82538	220.62	220.88	221.13	221.38	221.63	222.05
.24	NW20		30.71958	18.15304	230.85	231.59	231.96	232.21	232.55	232.80
.25	NW23		30.45514	19.17197	218.48	218.20	218.44	218.69	218.78	220.37
.26	NW30		30.25574	19.46731	212.90	213.13	213.38	213.63	213.88	214.13
.27	NW36		30.66964	18.40077	228.07	228.22	228.53	228.84	229.64	230.17

.28	NW37		30.53979	18.16952	230.63	230.89	231.14	231.36	231.65	231.90
.29	W17	مروي	30.17577	19.36760	213.95	214.20	214.43	214.67	214.92	215.17
.30	W20		30.43539	19.31828	216.41	217.64	218.04	218.29	218.68	218.87
.31	W24_1		30.45358	19.20519	216.20	217.43	217.63	217.88	218.75	218.06
.32	W32_S		30.14251	19.09449	217.19	217.44	217.65	217.84	218.10	218.35
.33	W41		30.12072	18.93497	219.65	219.92	219.50	219.75	221.27	221.48
.34	W45		30.19412	18.81105	219.86	220.21	220.43	220.55	220.93	221.16
.35	W49BH		30.21127	18.29340	220.10	220.50	220.79	220.99	221.24	221.49

المصدر: هيئة المياه الجوفية والوديان، الولاية الشمالية، مدينة دنقلا، 2017.

العلاقات الاقتصادية وتقسيم العمل الاجتماعي في:(دول –المدن) في الشرق الأدنى القديم

أ.د. سمير الشيخ علي-كلية الآداب-جامعة ماردين ارتقلو- تركيا

Economic relations and the division of social work in;

(City-states) in the Ancient Near East

Prof. Dr. Samir Al-Chikh Ali, Faculty of Arts, MARDIN ARTUKLU University.

ملخص: شغلت ظاهرة التحضر المبكر في حضارات الشرق الأدنى القديم الباحثين في العلوم الإنسانية، لا سيما علماء التاريخ والاقتصاد والاجتماع والانتروبولوجيا، لكن الإجابة عن الأسئلة الأساسية لهذه الظاهرة التي ترافقت مع ظهور السلطة الدولة، قد تبدو ناقصة في ظل غياب التحليل الاقتصادي والسيسيولوجي لأدوار ووظائف المدن، مقارنة مع ظواهر مماثلة في الحضارات الغربية، تحاول هذه الدراسة فهم هذه الظاهرة، بالربط بين تقسيم العمل الاجتماعي المبكر في حضارات الشرق الأدنى القديم وبين ظهور الدولة –المدينة والتحليل الاقتصادي والسيسيولوجي لأدوار ووظائف المدن، الإدارية والتجارية، مع المدن الغربية واستنتاج بنية العلاقات الاقتصادية السائدة في الشرق الأدنى القديم وإمكانية استمرارها لمراحل متأخرة في الفترة الحديثة.

الكلمات المفتاحية:علاقات، اقتصادية، تقسيم، عمل، مدن، شرق، أدنى، قديم.

Abstract: A phenomenon the Early urbanization in civilizations of the Middle East, was occupied interesting different researchers in humans sciences. Such as historic and sociologists although Economist and Anthropologist. But Infinitely, completely answer, about this phenomenon, that need more seriously researching, and socio-economic analyses, for functions and roles oriental cities and social and economical structures. It well be useful for realize this aims, to do comparatives، with same phenomenon urbanization in West civilizations An ancient history. So, this tithe's tray to do that analyze, and a comparison, between tow different phenomenon's of cities; (Adolspolis-city) and (state-city) ،throw detail and category' social division work' between cities and

periphery.Wich that details، maybe help to drew specify socio-economical structures، and institutions each one of them, that may be their phases and some elements preserved to late period of new ages

Keywords: relations, economic, division, work, cities, east, lower, old.

مقدمة:

إن ظهور المدن بوقت مبكر في حضارات مصر وسوريا وبلاد الرافدين، أو ما يطلق الاستشراق الغربي عليها حضارات(الشرق الأدنى القديم) من الظواهر التي شغلت المفكرين والباحثين في المرحلة المعاصرة.وكانت موضع اهتمام علماء الاجتماع والاقتصاد السياسي الكلاسيكي، لاسيما كارل ماركس وماكس فيبر.

تزامن ظهور المدن مع ظهور الدولة، ووجود شكل جنيني للسلطة داخل (القرية-المعبد)، التي تطورت إلى شكل جديد من التنظيم الاجتماعي والإداري، وهو(المدينة –المعبد) ومن هذا الشكل انبثقت نماذج من (دول-المدن)، التي تطورت مع طموح بعض الملوك إلى توحيد(مدن-الدول)المجاورة في دول مركزية قوية مترامية الأطراف.ومن الصعب توصيف هذه المدن بمدن(العبودية)، ومقارنتها بالمدن الإغريقية-الرومي، نظراً لغياب طبقات ملاكي الأرض والعبيد وقوانين العبودية، فهناك كم هائل من الوقائع، التي يقدمها علم الآثار مع الاكتشافات الجديدة لأرشيف مكتوب في هذه (المدن –الدول)، تتنافى مع هذه الاسقاطات والاستنتاجات، وتتطلب تضافر جهود علماء الآثار واللغات القديمة، مع جهود علماء التاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع لدراستها وتحليلها، بعيداً عن التحيّز والأحكام المسبقة.

تُعد مقولة (تقسيم العمل الاجتماعي) أداة منهجية مهمة في فهم العديد من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، فقد استخدم ابن خلدون هذه المقولة في (لمقدمة)، للحديث عن ضرورات تقسيم العمل في (العمران البشري) للتعاون في المعاش، وإنتاج القوت، والانتقال من الضروري إلى الكمالي(ابن خلدون، عبد الرحمن، 2001، ص150-151) واستخدم دوركهايم المقولة ليبين عملية الانتقال من المجتمعات التقليدية الزراعية إلى المجتمعات الحديثة عبر تقسيم العمل، والتأكيد على العلاقات الوظيفية والتكامل بين أفراد المجتمع الليبرالي على صعيد المهن والأعمال والاختصاصات(دور كهايم اميل، 1982، ص120-130). أما آدم سميث فقد استخدم المقولة لفهم دورها في زيادة الانتاجية وتحقيق التوازن والتكامل في المجتمع الليبرالي(سميث آدم، 1962، ص131-151). وفي العصر الحديث استخدم سمير امين مقولة (التقسيم الدولي للعمل)، لمعرفة أسباب التبادل اللامتكافيء في المنظومة الرأسمالية العالمية بين المركز والأطراف(امين سمير، 1974)..الخ وتُعد هذه المقولة أداة مهمة في التحليل السوسيولوجي لفهم أسباب الظهور المبكر للمدن القديمة، والتعرف على أدوارها ووظائفها المختلفة.

لقد عرفت المجتمعات الغربية القديمة، انفصال العمل الجسدي عن العمل الفكري وظهور الدول العبودية، وانفصال الزراعة عن الصناعة وظهور المدن الصناعية، وتعد أولى الأنماط التي عرفتها البشرية تقسيم العمل الاجتماعي حسب الجنس (بين المرأة والرجل) وتقسيم العمل حسب الجهد بين العمل الجسدي والعمل الفكري، كانت هذه الأشكال الأولى لتقسيم العمل، قد ظهرت في حضارات الشرق القديم، ومهدت لتقسيم العمل بين الزراعة و الإدارة، بين الريف والمدينة، وقد أدت هذه الأشكال الباكرة لتقسيم العمل الاجتماعي إلى الظهور المبكر لمدن الإدارة، من داخل (المدن-المعبد)، التي ظهرت كنتاج تطور طبيعي لشكل بدائي من التنظيم الاجتماعي وهو (القرية-المعبد)، ولفهم أسباب ظهور هذه الأنواع المبكرة من تقسيم العمل، يبدو من الضروري الربط بينها وبين ظهور ثورة مبكرة في (إنتاج الغذاء) مع اكتشاف الكتابة وتطور التعليم داخل المعابد وتطور العلوم القديمة كالرياضيات وعلم الفلك والهندسة وعلم القانون. وقد أدى (الدين) كعامل ثقافي دوراً حاسماً في هذا التطور العلمي والتقني، فقد شهدت حضارات الشرق الأدنى القديم، الانتقال المبكر إلى العصر الحجري الحديث (النيوليتي) أو العصر الفخاري وظهور معالم لتجمعات قروية تعمل في الزراعة، معلما هاماً في التطور الحضاري، قبل اكتشاف الكتابة في الآلف الرابعة ق.م وظهور المدن الأولى. فكان اكتشاف الفخار والألياف النباتية والمعادن، إلى جانب تطور العلوم، قد أدى إلى ثورة في إنتاج الغذاء مهدت لإشكال مبكرة من تقسيم العمل الاجتماعي، بدأت بتقسيم العمل حسب الجنس بين المرأة والرجل، مع تحلل المجتمع البدائي، وظهور تقسيم للعمل حسب الجهد بين العمل الفكري والعمل الجسدي داخل القرية-المعبد، أدى لزيادة إنتاج الغذاء وظهور تقسيم جديد للعمل بين الزراعة والإدارة، وكان توفر فائض كبير من الإنتاج الزراعي والغذاء السبب المباشر في زيادة السكان والانتقال من مشاعة (القرية-المعبد) إلى (المدينة-المعبد) وتطور هذه المدينة إلى نمط (المدينة-الدولة) كمدن إدارية حيث استدعت الحاجة للتنظيم الإداري والسلطة، ظهور الدولة المبكر في هذه المدن، واستئثارها بالفائض من الإنتاج الزراعي، المحصّل على شكل (ريع-ضريبة)، بصفتها المالك الأعلى للأرض وللمياه، ونتيجة لقيامها بوظائف هامة لتنظيم العمل الزراعي يتعذر على الأفراد القيام بها، فكان التصرف بهذا الفائض حق من حقوق الملك(الإله)، بإنفاقه على الفئات الاجتماعية التي تسكن المدن، وقد أخذ تقسيم العمل الاجتماعي شكلاً صريحاً لتقسيم العمل بين المدينة والريف، حيث تخصص الريف بالزراعة والمدن بالإدارة، وعلى أساس النشاط الاقتصادي (زراعة -حرفة)، وظهرت أيضا أنواع من المدن-الدول التجارية المنقطعة عن جميع الأعمال الزراعية وتمارس التجارة والحرف.لكن لم يؤد هذا التقسيم للعمل بين الأرياف والمدن، وبين المدن لإلغاء العمل الحرفي في القرى، فكانت دورة التبادل التجاري منقطعة تقريباً بين هاتين البنيتين الاجتماعيتين (اريف-المدينة)، فالفائض الزراعي ينتقل باتجاه واحد، من الريف إلى المدينة، حيث يتم داخل المدينة (تخزينه، وتوزيعه وتبادله واستهلاكه) أو نقله للتجارة الخارجية..الخ وقبل الحديث عن هذه المدن لابد أن نتوقف عند المرحلة البدائية في الشرق الأدنى

أولاً-المجتمع البدائي في الشرق الأدنى القديم:

تشير مصادر علم الآثار إلى وجود دلائل عن تشكل أقدم تجمعات ريفية عرفتها البشرية في سهول سورية وفلسطين في الألف العاشرة ق. م وعن تشكل تجمعات قروية اعتمدت على مظاهر من الزراعة غير المنتظمة، إلى جانب الالتقاط والصيد في سهول العشارنة والفرات الأوسط في الألف الثامنة ق.م(فراس السّواح، 1986، ص15-16)، ويؤكد جان كوفان أن أولى أشكال زراعة الحبوب، انتشرت على نطاق ضيق في العصر النيوليتي 8500-4500 ق0م باستخدام الأدوات الصّوانية. وأدت لظهور أولى التجمعات القروية، في سهول المريبط و أريحا، التي اعتمدت على الزراعة شبه المستقرة، في الألف السادس ق0م حيث بدأ ت بزراعة القمح و الشعير، ومن هذه المنطقة انتقلت موجة زراعة الحبوب في اتجاهين أحدهما نحو آسيا والآخر إلى جنوب أوربا (جان كوفان، 1984، ص98-99).

من ناحية أخرى كان اكتشاف الزراعة قد تزامن مع ظهور الأديان المبكر في هذه الحضارات، فكانت أولى الديانات التي ظهرت هنا كديانات زراعية تعود إلى العصر النيوليتي، وتطورت هذه الأديان مع تطور الأعمال الزراعية، وكما يؤكد فراس السواح أن(الأديان لم تكن مجرد طقوس للعبادة فحسب وإنما تأخذ هذه الطقوس الدينية بمحاكاة الأعمال الزراعية التي يقوم بها الإنسان من وحرث وبذار وحصاد، فهي ليست أعمالاً دنيوية فحسب، بل طقوس دينية مقدسة)(فراس السواح، 1986، ص117)، هكذا بدأ يظهر دور الكهنة في القرى، التي تشكلت من تجمع العائلات أو القبائل، التي تعاونت فيما بينها لبناء المعبد واختيار الكهنة الذي يقومون بخدمة المعابد، فحدث الانتقال من ملكية القبيلة إلى ملكية القرية-المعبد وكما يقول واليس بدج في دراسته للأساطير المصرية القديمة:(في أزمنة ما قبل التاريخ كان لكل قرية أو بلدة، أو منطقة أو مدينة كبرى، إلهها الخاص بها، وقد نخطو خطوة فنقول لكل عائلة ذات حسب ونسب إلهها الخاص بها، وكانت العائلات الميسورة تختار واحداً من الناس يتولى القيام بخدمة إلهها وتلبية احتياجاته، وكانت العائلات الفقيرة تشارك بحسب مقدرتها في الصندوق المشترك لبناء بيت الآلهة)(بدج واليس، 1986، ص94) وفي بلاد الرافدين القديمة، حدث انتقال مماثل وبوقت مبكر من ملكية القبيلة إلى ملكية المعبد، حيث كان زعماء القبائل ينتخبون من الكهنة جهازاً لإدارة المدينة المعبد)(خليل إبراهيم خالد، محمد الأزدي، 1983، ص16)، ومع تطور تقنيات العمل والإنتاج الزراعي، وظهور التمايز المبكر بين العمل الفكري والعمل الجسدي، بين من زاولوا العمل المنتج الزراعي والرعي والصيد، وبين الكهنة الذين زاولوا الأعمال الفكرية في المعبد.بدأ دور الكهنة يظهر لا في تنظيم العبادات فحسب بل في الإدارة والتنظيم الاجتماعي، فظهرت وظائف جديدة للكهنة، كالتعليم والإدارة، وضبط السجلات إلى جانب مهام الدفاع داخل المعبد، وظهر شكل جنيني للإدارة والسلطة من داخل المشاعة الريفية التي استندت على تنظيم(القرية -المعبد)، وتكونت السلطة السياسية كنتيجة لاجتماع القبائل تحت لواء سلطة الآلهة المشتركة، التي يمثلها المعبد، والتي يرأسها ممثله على الأرض الإله الروحي والزمني (محمد وحيد خياطة، 1994، ص 19-21)، ومع توسع القرى بسبب وفرة الغذاء وزيادة عدد السكان، انبثق من داخل (القرية-

المعبد) شكل جديد للتنظيم الاجتماعي وهو(المدينة-المعبد) وقد وصف هذه العملية التاريخية فراس السوّاح بالقول :(أقام الناس المعبد وسط القرية ليسهل على جميع السكان الوصول إليه، ونتج عن الاستقرار الزراعي، وتوفر المزيد من فائض الغذاء، تطور الحياة العمرانية وبناء المساكن من الطين، وقد تتصل المساكن بين تجمع قروي وتجمع آخر، لتشكل في حجمها مدينة مثل مدن (تللو) و(لاغاش) و(أور)(فراس السواح، 1986، ص26).هكذا بزغت أولى نواة (مدن-المعبد)التي تعد نتاجاً تاريخياً لهذه الأشكال المبكرة من تقسيم العمل الاجتماعي، وتعدد الاختصاصات في المجتمع، وبدأت المشاعة الريفية بالتفسخ بشكل تزامن مع تفسخ المجتمع الأموي، وبدأت السلطة تنتقل للرجل، ليبدأ عصر جديد من النظام الأبوي مع ظهور (مدن-الدول) القوية ذات التنظيم التراتبي الهرمي الصارم للسلطة، وتنوع أجهزة السلطة التي تدور في فلك (الملك-الإله)(توفيق سليمان، 1985، ص51).

ثانياً- أنواع (مدن-الدول) في الشرق الأدنى القديم:

يمكن التمييز بين نوعين أساسيين من المدن، من منظور النشاط الاقتصادي، ونوع الوظائف والأدوار، التي قامت بها المدن وهي: (المدن الادارية) و(المدن التجارية).

أ- المدن الإدارية: كانت أولى أشكال المدن القديمة التي ظهرت في الشرق الأدنى القديم كما أشرنا سابقاً هي (المدن-المعبد) التي نشأت من داخل (القرية-المعبد) حيث كانت نواة (المدينة-المعبد)هي قصر الملك والمعبد الرئيس للآلهة المحلية، وتحيط من حوله الأحياء، التي يعيش فيها رعايا الملك من الجند والموظفين وجباة الضرائب، إضافة إلى الفئات الأخرى، من التجار والصنّاع الحرفيين) (M.Rosovitzeff, 1940, p510-511). وأتضح اندماج السلطة مع الدين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، من خلال الأدوار المزدوجة للكهنة حيث (كان الناس يتوجهون للمعبد لممارسة الطقوس الدينية المحددة، بإشراف الكهنة، و بدأت تتشكل حول الكاهن الإدارة -السلطة، التي كانت مهمتها لا القيام بخدمة المعبد فحسب، بل بجمع الفائض أو الأقوات من الأراضي الخاصة للمعابد الآلهة، عدا عن الهبات والتبرعات، وبدأ اعتماد العسكر لحماية وحراسة ممتلكات المعابد، إلى جانب شكل من الإدارة-السلطة، وأصبح الكاهن الأكبر بمثابة رئيس السلطة في المدينة- المعبد(توفيق سليمان، 1985، ص59-65) فكان رئيس الكهنة يسمى في مصر القديمة (ان- EN) وفي بلاد الرافدين (باتيسا-Batisa) يقوم بالأشراف على إدارة (المدينة-المعبد)، التي ُعرفت بالأدبيات اليونانية القديمة باسم(نوم-NUM) ومع نهاية الألف الرابعة ق.م بدأت عمليات النمو للفائض من الغذاء تفرز امتداداً أفقياً لزيادة المساكن والسكان، وامتداداً عمودياً في شكل تنظيم الإدارة والسلطة، وبدأت من داخل (مدن-المعبد) تتشكل(مدن–الدول) التي تملك جيوشاً كبيرة نسبيا، وتقوم بغزو مدن–المعبد الضعيفة، وتفرض سيطرتها عليها، وبدأت تظهر أولى أشكال مدن- الدول المركزية؟ فقد شهدت مصر أولى محاولات توحيد مدن (النّوم) المبعثرة، بقيام دولتين؛ احدها في مصر العليا، والثانية في مصر السفلى، قبل أن تتوحد مصر على يد الملك (ممفيس أو منيس)(السلالة المصرية الأولى) فبنى مدينة أطلق عيها أسمه (ممفيس أو منيس)(واليس بدج، 1986، ص94)، وفي بلاد الرافدين كانت أولى المحاولات

اليائسة لتوحيد(مدن- المعبد) في سومار على يد (جلجامش) ملك مدينة (أوروك) في الألف الرابعة ق.ب، لكن محاولته باءت بالفشل، قبل ان تتوحد مدن-المعبد في بلاد الرافدين تحت لواء مدن-العواصم الكبرى مثل:(سومار– أكاد– بابل..الخ) ومن الملفت للانتباه ارتفاع عدد السكان النسبي في هذه المدن قياساً لذلك العصر، فقد قدر غولايف الكثافة السكانية متخذاً من حلب نموذجاً بحوالي400 نسمة\كم، فكان عدد سكان مدينة أوروك (200-20 ألف) وسكان حلب 40 الف نسمة(ف.ي. غولايف، 1989، ص77).

من الصعب تفسير ضخامة هذا العدد مقارنة مع المدن الأوربية في فرنسا وألمانيا ما قبل الثورة الصناعية، التي كان عدد سكانها يتراوح بين 3-5 آلاف، بمعزل عن توفر فائض كبير من الغذاء، الذي يصل إلى للمدينة على شكل ضرائب من الريف الزراعي المجاور. فمن الملاحظ تاريخياً أنه في حال تغير الحاكم او الدولة، كان الحراك الاجتماعي للسكان سريعاً، إذ ينتقل السكان من المدن القديمة إلى المدن الإدارية الجديدة، ولا يمكن تفسير هذا السلوك بغير سعي أصحاب المهن والتجار خلف رجال الدولة، لتأمين متطلباتهم، كونهم لوحدهم يمتلكون الدخل وينفقونه على حاجاتهم في المدن الجديدة، باعتبار مدن–الدول الإدارية هي المكان الطبيعي الذي تتم فيه عمليات (التوزيع-التبادل–الاستهلاك) للفائض من الإنتاج الزراعي.

لكن إلى أي حد يمكن مقارنة هذه المدن مع مدن البوليس (Adols-polis) العبودية في التاريخ الغربي القديم(Ancient)الإغريقي-الرومي، التي وصفها ماركس بـ(تجمع لمالكي العبيد والأرض) وميز هذه الظاهرة بالقول:(إن التاريخ القديم الكلاسيكي هو تاريخ المدن، هذه المدن كانت قائمة أساساً على الملكية الخاصة للأرض والعبيد) (كارل ماركس، مجلد 46، ج1، ص456).

قد يبدو التشابه ظاهرياً بين هاتين الظاهرتين، لكن الفوارق كبيرة بينهما نظراً لاختلاف الأسباب التاريخية لظهور كل منها، والاختلاف في التركيب الاجتماعي والطبقي بينهما.فمن حيث النشأة كان ظهور (المدن-البوليس) نتيجة لتحلل المجتمع المشاعي وظهور الملكية الخاصة، وكانت المدينة المكان الذي يعيش فيه الأحرار وملاكي الأرض والعبيد، وجرى فيه استهلاك الفائض والعمل بآن معاً، إذ تعيش فئات الأحرار في المدينة إلى جانب ملاكي الأرض والعبيد، من حساب هذا الفائض الزراعي القادم من الريف.أما (مدن–الدول) في الشرق الأدنى فقد تشابهت مع مدن-البوليس، لجهة كونها كانت تعيش أيضا على حساب الفائض المحصل على شكل ضريبة من الريف، لكن لم يكن هناك ملكية خاصة ولا وجود لملاكي الأرض والعبيد في المدينة، حيث اعتبر جميع السكان في المدينة هم (رعايا الملك) ويعيشون من هذا الفائض، ونمت هذه المدن وتوسعت بحسب نمو هذا الفائض.

كتب رتشارد جونز بهذا الصدد يقول:(فقط في آسيا بالتحديد، نستطيع ملاحظة هذا الشكل من المدن الكبيرة وهذا الحجم من الاحتياطي الكبير من الغذاء الكافي لإطعام عدد كبير من الموظفين والأفراد، المنقطعين بشكل كامل عن العمل الزراعي)(ريتشارد جونز، 1937، ص343-343).

أما أي.ل. مایاك فلخص الفوارق بين مدن- البوليس ومدن-الدول في الشرق القديم بالقول:(إن الفارق الأساسي هنا إنما يكمن تحديداً في شكل الملكية القديم، حيث كان الاختلاف في شكل الملكية، في نهاية المطاف، يمثل الفارق الجوهري بين مدن- البوليس وهذه الأشكال الاجتماعية السياسية والحكومية لمدن الشرق القديم، التي درج الباحثون على تسميتها مدن- الدول.ففي حين كان حق الملكية الخاصة في مدن-البوليس قد أعطى الفرد حق المواطنة في المدينة، وحق المواطنة أعطى الفرد حق الملكية الخاصة ضمن مشاعة المدينة، ولم يمتلك العبيد والغرباء مثل هذه الحقوق، وكان القانون الوضعي الذي يتم وضعه من قبل المشرعين والحكماء، هو الذي ينظم العلاقات الاجتماعية والسياسية، بين الأفراد داخل المدينة وبين المؤسسات، التي تشرف مباشرةً على إدارة المدينة، فإن مدن-المعبد ببساطة لم تعرف الملكية الخاصة، ولم تكن مكاناً لتجمع مالكي العبيد والأرض، إذ أن ملكية الأرض هنا قد انتقلت من مشاعة القبيلة إلى مشاعة القرية، ومن ملكية القرية إلى ملكية مؤسسة المدينة-المعبد، وأصبحت فيما بعد ملكية جهاز الدولة أو الملك حاكم المدينة.وكان القانون الذي يحكم هذه العلاقات المنظمة بدقة، للملكية والتصرف بالأرض والمياه والفائض، هو قانون إلهي، إذ يستمد الملك سلطته من الإلهة، باعتبارها مانحة الأرض والسلطة)(أي.ل. مایاك، 1983، ص29)، فالقانون الذي ينظم الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن -البوليس هو قانون وضعي يضعه المشرعون لتحديد حقوق المواطنة، أما في (مدن-الدول) الشرقية القديمة، فان القانون وضعه الملك (الممثل للإلهة) ويتدّعم هذا القانون ويترسخ بفعل التقاليد، وتصبح مسألة الخضوع للقانون الذي يحكم به الملوك هو بمثابة الخضوع للقانون الإلهي ذاته) (M.Rosovitzeff, 1925, p205-206)، ومن هذه الزاوية أخذ ماكس فيبر القضية في منحى آخر إذ يقول: (إن الشروط التاريخية لتطور المدن الآسيوية، هي شروط بالكامل مناقضة ومعاكسة تماماً لشروط تطور المدينة الغربية، وبالرغم من وجود سمات مشتركة بينهما(..) لكن الفرق الجوهري بينهما، هو أن المدينة الغربية، كانت المكان الطبيعي، للانتقال من حالة اللاحرية إلى الحرية)(ماكس فيبر، 1923، ص30) فمن الناحية السياسية إن ما يميز المدن الشرقية القديمة عن المدن الغربية اليونانية (البوليس) هي سلطة الملك المطلقة على المدينة، واحتكار الدولة وإشرافها على جميع الأنشطة الاقتصادية، وهذه السلطة متمثلة بالموظفين الحكوميين، الذين يعينهم الملك مباشرة، ويقومون بأدوار الوسيط بين الملك ورعاياه، لكن هؤلاء الموظفين برأي روسوفتسيف (لا يشكلون فئة أو طبقة من ملاكي الأرض، بل يتلقون من الملك مقابل هذه الوظائف التي يقومون بها إما عطاءات نقدية أو عينية أو قطعة صغيرة من الأرض يعيشون منها في فترة الخدمة ولا يعتبروا ملاكين لها، شأنهم في ذلك شأن بقية الرعايا، ويتوجب عليهم دفع الضرائب أيضاً لخزينة الملك(M.Rostovetzeff, 1925, p375).

هكذا كانت السلطة السياسية في (المدينة-الدولة) المتجسدة بشخص الملك حاكم المدينة، تُعدُّ المالكة للأرض والماء والمواشي، وتسيطر على التجارة والحرف وكان جميع المنتجين يدفعون الضريبة للملك.واستمرت هذه الحالة على هذا النحو حتى العصرين (الهليني-الرومي).فلم تحصل (مدن-الدول) في مصر وسوريا على الحرية وكانت النخبة الأرستقراطية اليونانية كما يقول روبرت: (فئة صغيرة لها تمثيل في مجالس المدن ولم يكن لها شأن كبير، وكان حق المواطنة

يشمل فئات محدودة جداً من مواطني المدن من أصل إغريقي أو روماني)(M.Roberts, 1979, p24).. وكانت سلطة الملك على المدينة تفوق سلطة مجلس المدينة، فكان يتدخل في نشاط وأعمال مجلس المدينة (البوليس) ويعين الموظفين، ويفرض الضرائب على الأراضي الملحقة بالمدينة، التي يملكها مزارعون من سكان المدينة، وهذه الضرائب ذهبت إلى الخزينة الملكية مباشرة(مصطفى العبادي، 1975، ص211-231)

1-السلطة والتنظيم الإداري:

من المثير للاهتمام التنظيم الإداري الدقيق والصارم في (مدن- الدول) الشرقية، واستخدام الدولة لعدد كبير من الموظفين، وخضوع السلطة لنوع من التنظيم والتسلسل الهرمي، يقف على رأسه الملك حاكم المدينة أو الملك (الإله) كممثل للسلطتين السماوية والأرضية، ولديه ممثلين في المراكز الإدارية الأصغر وصولاً لأصغر وحدة إدارية متمثلة في القرية أو في المدن التجارية، فكانت السلطة في الريف يمثلها(العمدة-المختار)الذي يتم تعيينه في القرية بموجب تعليمات الملك، وقد ساعد العمدة في عمله مجلس الكبار الممثلين للعائلات الارستقراطية في الريف، وغالباً ما كانت سلطة وامتيازات هؤلاء تنتقل بالوراثة من الآباء للأبناء أما الموظف الوحيد في القرية المعين من قبل الدولة ويتقاضى أجر كان (كاتب القرية) الذي تمثلت مهمته بضبط سجلات القرية ونفوسها من البالغين الذكور، وأسماء العائلات والأفراد الذين يستثمرونها، وينظم سجلات أراضي القرية وحجم مساحاتها الصالحة للزراعة، وأنواع المحاصيل المزروعة، والضرائب المتوجبة عليها في سجلات خاصة. كانت مهمة هذا الموظف الإشراف على جمع المحصول، وقبل أن ينقل الفلاحون المحصول إلى بيوتهم، كانوا ينتظرون قدوم هذا الموظف مع الضامن او التاجر الذي يُفترَض قدومه من المركز الإداري ليسلموه حصة الدولة (الأرض والفلاح في مصر على مر العصور، 1974، ص89). لكن من المهم جداً القول أن السلطة الإدارية في (مدن-الدول) أدت أدوراً تاريخية وحيوية مهمة في استمرار حياة المجتمع، وعدم تعرضه للانهيار والتفكك، في فترات الحروب وانقسام الدول وسقوطها أحيانا نتيجة للغزو الخارجي، أو انتقال الحكم من أسرة حاكمة إلى أخرى، أو انتقال عاصمة الدولة من مركز إداري إلى آخر، حيث ظلت الوحدات الإدارية الأساسية كما في مصر القديمة (المدن–النوم) تتابع عملها الإداري بانتظام وهدوء، من تنظيم للري وللزراعة، وجمع الضرائب، والإشراف على العمل الزراعي ككل حتى تظهر دولة قوية جديدة تخضعها لحكمها (تاريخ الشرق القديم، 1988، ص39)

لم يحدث أي تغيير جوهري مهم لوظائف وأدوار المدن الادارية في الشرق الأدنى القديم في العصر(الهليني- الرومي) فقد خضعت مصر مثلاً في العصر الهليني (القرن الثالث ق.م) لشكل من التنظيم الحكومي الهرمي التسلسلي(Earaches) حيث كان مركز السلطة المركزية هو مكان إقامة الملك في العاصمة تليها(مدن-النوم) كوحدات إدارية أساسية، التي تقابل الولاية، وينقسم (النوم) إلى وحدات إدارية أصغر، لتصل إلى القرية كأصغر وحدة إدارية، لجمع الضرائب عن الأرض والأنفس، وكانت أهم الشخصيات الإدارية هي جامع الضرائب أو المسئول المالي، الذي كان في العصر الهليني يسمى(الإيكونوميس) ويأتي ترتيبه في الأهمية بعد أمير المدينة مباشرة،

وتعتبر اهم واجبات الوالي والإيكونوميس، تحمل المسؤولية أمام الملك في تحصيل الضرائب المستحقة على وحدته الإدارية للخزينة، وتنفيذ التعليمات الحكومية المتعلقة بالزراعة، ونوعية المواسم والمحاصيل ومواقيت الزراعة ونوعيتها، وتنظيم الري، وتحديد حجم حصة الدولة من المحاصيل والقطعان ونسبة الضرائب.وكان الملك يتدخل بتحديد المساحات الواجب زراعتها حبوباً، ومتى وأين يجب زراعتها، في ظل احتكار الدولة لتجارة الحبوب(الأرض والفلاح في مصر على مر العصور، 1974، ص85).

2-أشكال ملكية الأرض:

كانت الأشكال الأساسية لملكية الأرض في (مدن- الدول) في الشرق الأدنى القديم هي ملكية المعابد وملكية الدولة مع وجود قطاع صغير للملكية الخاصة:

أ- ملكية المعابد: تعتبر هذه الملكية من أقدم أشكال الملكية في الشرق الأدنى القديم. وإذا كان من الصعب العثور على بيانات دقيقة عن حجم هذه الملكية في العصور القديمة، فقد قدرت ملكية أراضي المعبد في مصر القديمة، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد فترة سلالة الرعامسة بنحو يتراوح بين 8-15% من المساحات المزروعة(J.A.Wilson، 1951.p.270.) وكانت ملكية معبد الإله حورس في ادفو في أواسط القرن الثاني ق.م، نحو 18 ألف اورورة أي قرابة 11918 فدان (مصطفى العبادي، 1974، ص38).

ب-ملكية الدولة: يعتبر هذا الشكل من الملكية هو الشكل السائد بالنظر إلى حجم المساحة، ويُعد من الأشكال التي ظهرت بوقت مبكر أيضاً مع ظهور (مدن–الدول) وقد توسعت هذه الملكية تاريخياً بمصادرة أراضي الأسر الحاكمة المغلوبة في الحرب، إضافة للأراضي الخصبة على ضفاف الأنهار، التي تروى بمشاريع ري اصطناعية، وبالرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة يمكن الركون إليها، إلا أنها كانت تقدر في مصر وبلاد الرافدين بين 60- 75 %على الأقل من المساحة، نظراً لاعتماد الزراعة هنا على الري الاصطناعي على ضفاف الأنهار الكبرى(النيل- الفرات –دجلة). أما في سورية فكانت هذه النسبة أخفض، لا بسبب الاعتماد على الزراعة البعلية فحسب، بل لأن أرستقراطية المدن من التجار، كانت قد لعبت دوراً كبيراً لجانب رجال الدولة والأرستقراطية الدينية، بالحصول على حقوق الملكية المنقولة بالوراثة في بعض المدن السورية مثل حلب ودمشق، حيث لعبت هاتان المدينتان أدوراً هامة في التجارة الدولية إلى جانب وظائف الإدارة

ج- الملكية الخاصة:غالباً ما كانت هناك أرض مشاع واسعة تخضع لسلطة الملك، لكن حين يتم استثمارها تصبح ملكاً خاصاً، وقد يمنح الملك قطعاً صغيرة من الأرض كملكية خاصة لبعض اعوانه أو قادة جيشه أو موظفيه، كمكافأةً لهم على أعمال بطولية قاموا بها تتراوح مساحتها أو بين 5 -6 أفدنة كما في مصر(بين القرنين16-19 ق.م) وينتقل هذا الحق وراثياً إلى ابنائهم (مصطفى العبادي، 1974، ص38) وفي في بلاد الرافدين، كانت تتروح بين(5-2) هكتار، لكن

حقوق الملكية الخاصة حتى في العصرين (الهليني-الرومي)، التي وجد فيها مجالس مدن (البوليس) أو (جمنازيوم) في العصر الرومي، لم تتغير كثيراً (فكانت سلطة الملك تشمل هذه الأراضي التي كانت غالباً ما تُمنح لبعض الموظفين والقادة مدى الحياة، وتدفع ضرائب نحو ربع المحصول، وفي حال عجز أصحابها عن دفع الضرائب المستحقة، كان بإمكان الملك سحَبها من أيديهم وطرحها للبيع أو نقلها إلى أفراد آخرين من القواد أو العسكر في المدينة، الذين لديهم قدرة على تسديد ما يتوجب عليها من ضرائب)(الأرض والفلاح في مصر على مر العصور 1972، ص17) ويؤكد شيفمان (أن ظهور الملكية الخاصة واختفائها في آخر الأمر كان مرهوناً بإرادة الملك)(ي.ش.شيفمان، 1977، ص13، ص40)

2-إقطاع الخدمة: كانت الدولة في (دول-المدن) في العصر القديم تمنح الموظفين والعسكر عطاءات عينية دورية من الحبوب والغذاء والملابس، إضافة إلى المنازل والماشية والحديقة الملحقة(تاريخ الشرق القديم، 1988، ص128) أو كانت تصرف لهم رواتب نقدية محدودة، أو تمنحهم قطعة أرض (اقطاع خدمة)، وقد عرفت مدينة (آلالاخ) إقطاع الأرض مقابل الخدمة في القرن 18 ق.م، حيث منح الملك قرى بكاملها لأفراد الأسرة الحاكمة(فيصل عبد الله، 2003، ص165) وفي حضارة ماري(الألف الثانية ق.م) حيث اعتُبرت الأرض ملكاً للقصر، كان الملك يمنح الاقطاعات للموظفين كجزء من أجورهم (فيصل عبد الله، 2003، ص94).

3-طرق جمع الضرائب:عرفت المدن الإدارية القديمة طرق مختلفة في جمع الضرائب، فإما أن يقوم الملك بتعيين جباة الضرائب، ويتم جمعها مباشرة من الفلاحين بعد جني المحصول، أو تلجأ الدولة إلى طريقة الضمان (الالتزام) ببيع حصتها من ضرائب الأرض للتجار الملتزمين قبل جمع المحاصيل، على أن يسدد هؤلاء وبشكل مسبق قيمة الضمان نقداً للخزينة.

إن تنظيم جباية الأموال ووجود جهاز كبير من الموظفين يقومون بهذه الوظيفة، كانت مسألة بالغة الأهمية، لان ازدهار الدولة أو انحطاطها يتوقف كثيراً على حسن سير هذه العملية كما يقول روسوفتتسيف(حيث تم جمع الضرائب وتخزينها في عنابر ومستودعات الغلال، هذه الضرائب قام بجمعها آلاف من الموظفين، من مختلف المستويات، لتصل لآصغر موظف وهو جامع الضريبة في الريف.وكان هؤلاء الموظفين مسئولين مباشرةً أمام الملك، عن الوفاء بتسديد التزاماتهم للخزينة، من إتاوات وضرائب جمعوها من المزارعين ومن مختلف الفئات الأخرى)(M.Rosovitzef، 1940، p.328).وفي العصر الرومي بقيت هذه الوظائف، مثل وظيفة الخازن (مسؤول الأموال الملكية) ورئيس ديوان الخزينة، فكان هناك مسؤول مخازن الأغلال في الإسكندرية ومسؤول أملاك الإمبراطور الخاصة (M.Rosovitzef، 1940، p.404)

إلى جانب هذه الطريقة في جمع الضرائب من قبل الموظفين، كانت طريقة (الالتزام) أي ضمان الضرائب من قبل التجار، فقد أدى التجار دوراً هاماً في ضمان حصة الدولة من المحاصيل، فكان الذين يقومون بشراء حصة الدولة من الحبوب، يُعَرفوا باسم (الملتزمين) وعلى كل حاكم ولاية إطلاع الملتزم على الأرض، ومساحتها ونوعية محاصيلها، وفي حال تأخر الولاية عن دفع

حصتها من الحبوب، كان على موظفي الولاية وكبار حكامها أن يدفعوا غرامات ثقيلة للملتزم، إلى جانب دفع ما يتوجب على الولاية من الحبوب للملتزم(مصطفى العبادي، 1975، ص227).

عرفت مصر طريقة الضمان في عصر الفراعنة، وفي بلاد الرافدين في العصر الساساني، وكانت هذه الطريقة هي الأكثر شيوعاً في المرحلة (الهلينية–الرومية) فظهرت وكالات تجارية لضمان المحصول.وكانت قيمة الريع –الضريبة متباينة، من منطقة لأخرى تبعاً لدرجة خصوبة الأرض أو إنتاجيتها، ومن عصر إلى آخر وتراوحت بين السدس(1\6) والربع (1\4) إذا كانت مروية بجهد، أو بين الثلث (1\3) والنصف(1\2) إذا كانت بعلية، وفي بعض الأحيان وصلت إلى الثلثين(2\3) وأحياناً(3\4) من المحصول كما في العهد الساساني في بلاد الرافدين (يو.آ. سوسولدوخو، 1950، ص49، ص55).وتشير الوثائق الملكية في إيبلا لشيوع طريقة التحصيل النقدي للضرائب إلى جانب التحصيل العيني، لا من التجارة فحسب بل من المزراعين، وهذه دلالة على وجود ملكية خاصة وتوفر النقد بيد أصحابها لدفع الضرائب، ففي أرشيف الخزينة الملكية، هناك لوح طيني يشير إلى حجم موجودات الخزينة من الذهب الخالص يقدر بنحو1740مينا(سبيكة) تعادل 870 كغ ذهب(فيصل عبد الله، 2003، ص45) وقد اختلفت أساليب تحصيل الضرائب من عصر لآخر، ودرجة تعسف الحكام والموظفين في تحصيل الضرائب، ومن النصوص السومرية القديمة المكتوبة، التي تدل على تعسف جامعي الضرائب، وعلى لسان أحد الرعايا يقول:(حتى الموت لم يخلص الناس من الضرائب والمغارم، فعندما يؤتى بالميت إلى المقبرة ليُدفن، يحضر عدد من الموظفين يطالبون أهالي الميت بمقادير من الشعير والخبز والجعة "البيرة" والمؤن المختلفة، ومن أقصى الدولة إلى أقصاها، انتشر جباة الضرائب فلا عجب إذا تضخمت أملاك القصر حتى أصبحت أراضيه وأملاكه تشكل عقاراً متصلاً واسعاً)(وديع بشور، 1981 ص117-118) وقد شهدت المرحلة الرومية حالات مشابهة لتعسف جامعي الضرائب، حيث كانوا ينبشون قبر الفلاح الذي مات ولم يدفع ضرائبه، فيأخذوا جثته لإرغام أهله وأقاربه، على دفع الضرائب المتوجبة على الميت (مصطفى العبادي، 1974، ص115).

4-**الدولة وطرق توزيع واستهلاك الفائض:**لقد أشرنا سابقاً أن ما يفسر ظهور الدولة كجهاز تنظيم أداري ضخم، يستخدم أعداداً كبيرة من رجال (السيف والقلم) يعود سببه إلى توفر فائض كبير من الغذاء لإطعام هذه الاعداد الضخمة من الفئات المنقطعة عن العمل المنتج، لكن كيف كانت الدولة تنفق هذا الفائض؟ وما هي أبواب أنفاقه واستهلاكه؟ يمكن تقسيم أبواب إنفاق الدولة للفائض إلى الأبواب التالية:

ا- صرف مرتبات جهاز الموظفين والجند: غالباً ما كانت الدولة توزع المرتبات على شكل عطاءات عينية من الحبوب والأغذية (بشكل موسمي أو شهري) على العاملين في الدولة، مع وجود بعض العطاءات النقدية على نطاق محدود، وكما تشير السجلات الملكية في حضارة (ماري) كان الملك يدفع أجور شهرياً للعاملين، حتى للمشتغلين في الحرف والزراعة ورعاة الأغنام، فكانوا يتلقون أجرتهم عيناً(فيصل عبدالله، 2003، ص94) ولم يكن هذا الأمر مقتصراً

على (دول– المدن) والممالك الزراعية، بل حتى في (دول-المدن) التجارية مثل أوغاريت (Ugareat) في القرن السابع ق.م ومدينة لارسا(Larsa) في القرن التاسع ق.م. فقد منحت الدولة موظفيها عطاءات من الحبوب والزيت والصوف وبعض النقود، وكان بعض الملوك يمنحون لموظفيهم المنازل والماشية والبساتين (م.ل.غيلسر، 1986، ص215) وفي كلا الحالين تلقت طبقة الموظفين وسدنة المعابد أو(الاكليروس) عطاءات عينية من الخزينة الملكية (فكان الموظف الذي يعمل في خدمة الملك، كما هو حال خدام المعابد، يتلقون الأغذية بشكلها الطبيعي من مخازن الدولة أو المعابد، أي من الحصة التي جمعها على شكل ضرائب لصالح الملك أو ضرائب المعبد)(ماكس فيبر، 1923، ص71).

ب-الأنفاق على مشاريع الري والمرافق: كانت الدولة تنفق على صيانة مشاريع وشبكات الري وبناء السدود والخزانات الأرضية وحفر الأقنية، إضافة إلى شق الطرقات، ومسح الأرض، و تأمين حماية القوافل التجارية.فقد قام الملك منيس مؤسس أول دولة مركزية في مصر جمعت مصر العليا مع مصر السفلى في دولة مركزية واحدة في النصف الثانية للألف الثالثة قبل الميلاد، بعد بناء مدينة حملت اسمه (مينيس أو ممفيس) فبنى إلى جانب قصره معبد الإله (بتاح) ووضع القوانين والتشريعات وقام ببناء شبكة ري ضخمة لعموم مصر.(1981 ، pp54، Biech).وقد بنى الفراعنة في فترة ما بين القرنين التاسع والثامن ق.م سد اللاهون على نهر النيل بهدف حجز مياه الفيضان، واستصلحوا مساحة من الأرض تقدر بنحو 27 ألف فدان (العبادي 1994، ص34). وفي بابل هناك اشارات في بعض مواد قانون حمورابي لعناية الملك بأنظمة الري، ووضع عقوبات وغرامات كبيرة على من يهملون شبكات الري، التي تمر بأراضيهم ولا يقومون بإصلاحها.(سليمان، 1985، ص201).

ج-الإنفاق على بناء القصور والمدن: عرفت حضارات الشرق الأدنى القديم مظاهر مذهلة للإنفاق على المشاريع العمرانية الضخمة كالأهرامات في مصر، والزقورات في بلاد الرافدين، وبناء القصور والمعابد وأماكن الاستجمام الملكية.ولم تتغير الاحوال في كثيراً في العصر الهليني، فبقي الريف الزراعي في الشرق الأدنى مصدراً لثروة الملوك، وبقي الريف محافظاً على عاداته وتقاليده السابقة ودياناته القديمة(فيليب حتي، 1982، ص181) وكان الريف المصدر الأساسي للحصول على الغذاء والحبوب، لإطعام المدن والجهاز الاداري، واستخدام المتبقي في التجارة الخارجية، أو بناء المدن التي سموها بأسماء الأسرة الملكية الحاكمة، وعلى أقل تقدير بنى السلوقيون نحو60 مدينة (إدارية) (آي.إف. فيخمان، 1974، ص3-7) ومن هذه المدن الباقية إلى اليوم (الاسكندرية) تكنّياً بالاسكندر المقدوني و(أنطاكية) أنتوخيان و(اللاذقية) لودقيا، وأفاميا وطرسوس وطرابلس (تريبولي) وسلوقيا ..الخ(فيليب حتي، 1982، ص181)

د-اكتناز للذهب والفضة: إذا كان لدى ملوك الهند والصين القدماء ولع كبير بجمع وتكديس الذهب، انعكس على سلوك رعاياهم، فإن ملوك مصر القديمة وسوريا وبلاد الرافدين استخدموا الفضة إلى جانب الذهب، كأساس في عمليات التبادل التجاري وتقدير قيمة الضرائب، إلى جانب الاكتناز وتزيين المعابد. ففي وثيقة(لوح فخاري) تم العثور عليها في مكتبة ايبلا هناك أشارة

واضحة إلى (أن كبير الموظفين ابريوم كان مسؤولاً مباشراً عن الخزينة وسلم نحو 329 كغ من الفضة ونحو 5 كغ ذهب وأكثر من 1000 قطعة من الألبسة، وارتفعت موجودات الخزينة في عهد ابنه الذي ورث أبيه في هذا المنصب (أبي ذكير) من 420-730 كغ فضة ونحو من20-22كغ ذهب ومن الثياب من3- 5 آلاف قطعة (فيصل عبد الله، 2003، ص288-289) وفي مصر قدرت موجودات المعبد في فيلادلفيا عشية الغزو الهليني بنحو 2000 تالنت فضة أي ما يعادل 60 طناً، قام ملوك البطالمة بمصادرتها وتحويلها للخزينة باعتبار الملك رئيساً لمالكي النقد)(M.Rosovitzeff، 1940.P.404)

5- الصناعات والعمل الحرفي: عرفت حضارات الشرق الأدنى انماط عديدة للعمل الحرفي، وكانت اقدم هذه الأشكال قد ظهرت داخل المعابد القديمة، التي تتخصص بتزيين المعابد والمدافن، ومع ظهور المدن- الدول والدول المركزية، أصبح العمل الحرفي من بين أهم القطاعات الإنتاجية في المدينة، وقد عرفت هذه المدن نوعين من العمل الحرفي:

أ-العمل الحرفي في المدن: عرفت مدن الشرق الأدنى القدين شكلين للعمل العمل الحرفي الحضري :الأول وهو الورش التابعة للدولة، والثاني العمل الحرفي الحر، وكان الشكل الأول هو السائد غالباً، فكانت الدولة تقدم لحرفييها المواد الأولية وأدوات العمل، ويتلقى الحرفي أجراً شهرياً لقاء عمله على عطاءات غذائية وألبسة وبعض الجرايات النقدية البسيطة، وكانت الدولة تتصرف بتسويق الإنتاج.إلا أن هذا الشكل من العمل الحرفي كان يتطلب تقنيات فنية ومهارات كبيرة، وتتميز منتجاته بجودتها العالية، وكانت منتجاته مخصصة لرجال الدولة، من الجيش والموظفين ورجال القصر، ويذهب القسم الفائض عن حاجة الاستهلاك إلى التجارة الخارجية، لاسيما الأنسجة المطرزة والموشاة بالذهب، وصناعة الأحجار الكريمة والجواهر والحلي.فكما تشير المصادر التي تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد في عصر الرعامسة، أن العمل الحرفي في المعابد والمدافن كان عملاً حكومياً، وكانت الدولة تقدم للحرفيين المواد الأولية وأدوات الإنتاج، وكانت جماعات العمل في الورش تنقسم إلى مجموعات تتألف كل منها من خمسة أفراد يرأسهم كبير الحرفيين، وتلقى الحرفيون عطاءات عينية من الحبوب والبيرة "الجعة" لقاء عملهم، ولم يقتصر تقديم العطاءات للعاملين في الحرف، بل شمل جميع المهن الأخرى كالأطباء وصانعي الأدوية، فتلقوا شهرياً 77 كيلاً من الحنطة و19 كيلاً من الشعير في حين حصلت النساء من العبيد على 14، 5كيلاً من الشعير ومثلها من القمح (ي.سي.بوغاسلافسكي، 1983، ص179-180) والحالة ذاتها كانت شائعة في مدن بلاد الرافدين في العصور القديمة، حيث كان الحرفي يحصل 550 كيل من الحبوب، وحوالي3 ليتر زيت، 1.5كغ من الصوف سنوياً(دياكونوف، 1980، ص99). وفي إيبلا التي كانت تتميز بصناعة الألبسة الصوفية والأقمشة الفاخرة، كان الحرفيون يتلقون أجوراً شهرية عينية ونقدية، وحتى العاملين في المهن الخدمية كالحلاقين والعازفين على الآلات الموسيقية والحدادين الذين تجاوز عددهم 500 حداد كانوا يتلقون أجورهم من القصر (فيصل عبدالله، 3003، ص51) وفي مصر في العصر البطلمي كان هذا الشكل من الورش الحكومية هو الشكل الأساسي في مدن

(الإسكندرية –الفيوم) للحرف، إلى جانب العمل الحرفي في المعابد، وكانت هناك حرف في الريف تعتمد على العمل الحرفي المنزلي.وخضعت جميع أنواع العمل الحرفي هذه لإشراف مباشر من الدولة، التي نظمتها في تنظيمات حرفية ومهنية خاصة، بهدف ضبط عملية جمع الضرائب على الإنتاج الحرفي، بما في ذلك الإنتاج الحرفي في الريف) **(**M.Rostovtzeff، 1925، p301**)**.

إلى جانب هذا الشكل من الصناعة والمهن عرفت مدن الإدارة الحرف في الورش الحرة، فكان حرفييها يدفعون الضرائب للدولة، ويعملون تحت إشراف التجار الذين يقدمون المواد الأولية ويقومون بعمليات التسويق، وعادة ما كان التجار يأخذون المنتجات من الحرفي بأسعار أدنى بكثير من أسعار السوق **(**آي.ف.فيخمان، 1965، ص122-123**)** وكان هناك موظف مسؤول عن التجارة يدعى تامكار(Tamkar) ومهمته الإشراف والرقابة على تحديد وضبط الأسعار للسلع المختلفة **(**ب.ف.أفديف، 1970، ص71**)**

تميزت المنتجات الحرفية النسيجية في مدن الشرق الأدنى بتقنياتها العالية وجودتها المرتفعة، وكانت مخصصة لجمهور محدد من المستهلكين، من رجال القصر والبلاط والموظفين الكبار ورجال الجيش والأرستقراطية المالكة للثروة، ويسجل المؤرخ الرومي Plinus بلينوس الذي عاصر تلك المرحلة هذه الملاحظة القيّمة بقوله: إن قيمة واردات الإمبراطورية من الهند وسيريس "سورية" وبلاد العرب كانت تربو على 100مليون Sesterces "سِسترسس(عملة رومية قديمة من الذهب او الفضة تراوح وزن القطعة بين 2، 5-3غ) فكنا ندفع من أجل كمالياتنا ومن أجل نسائنا ثمن بضائع تباع لنا بأثمان تبلغ مائة ضعف من ثمنها الأصلي)(مصطفى العبادي، 1975، ص265**)** والمثال الأكثر نصوعاً تقدمه (فينيقية) العريقة بتجارتها وصناعاتها، إذ أن الأنسجة الصوفية التي كانت تصلها من مصر والحرير القادم من الصين، يُعاد صبغها بألوان زاهية حمراء أو صفراء، حيث اكتشف الفينيقيون سر هذه الطريقة من مركبات نباتية وكيميائية مختلفة واحتكروا سرها، فكانت منتجاتهم يُدفع بها في أسواق روما نحو 2000 دينار لكل كغ من الملابس الصوفية، أما الأصناف الصوفية الممتازة فكان ثمن القطعة يقابل وزنها ذهباً وقد تصل 50 دينار للفونت (الفونت= 50 دينار ذهبي وزن) أما الملابس الحريرية فوصلت أسعارها إلى 150 ألف دينار للفونت، وتعكس هذه النسب وجود معايير دقيقة للقيمة، بين الذهب ووزن الملابس: الصوف 1:1، الحرير 1:3 (مصطفى العبادي، 1975، ص45، ص265) وقد لا يوجد وصف لهذا الغزو التجاري لمنتجات الشرق الأدنى الصناعية لدول أوربا أبلغ من وصف لويس ارشيبالد إذ يقول: (حتى نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس ميلادي كانت أوربا من الناحية الاقتصادية والصناعية مجالاً استثمارياً لصالح سورية والإسكندرية والقسطنطينية كما في القرون السابقة)(ارشيبالد، 1960، ص22**)**.

ب-العمل الحرفي في الريف: إلى جانب هذه الأشكال الفاخرة من الصناعات في المدن، كانت هناك حرف ومهن في الريف نشأت كجزء متمم للاقتصاد المنزلي، وكان هذا النوع من الحرف (يُمارس في المنازل، أوفي أمكنة خاصة، ويذهب قسماً ضئيلاً منه للتجارة مثل الحياكة والغزل

والنسيج، لكن هذا النوع كان لا يتمتع بجودة عالية تضاهي صناعة المدن ولا يتطلب مهارات وتقنيات عالية، وكان يعتمد على المواد الأولية المحلية المتوفرة مثل الكتان أو الصوف، ولا يتطلب أدوات وأماكن خاصة ويمكن مزاولته في المنزل) (مصطفى العبادي، 1975، ص255) إلى جانب هذه الصناعات انتشرت في الريف صناعة الفخار والصناعة الغذائية، كتصنيع الألبان والعسل والنبيذ وتصنيع جلود الماشية، وضمن القرية كانت هناك مطاحن الحبوب ومعاصر الزيوت وورش الحدادة، وهؤلاء الحرفيين منقطعين عن العمل الزراعي ويبادلون منتجاتهم بالحبوب أو المنتجات الحيوانية، وكانت جميع هذه الحرف تدفع ضرائب للدولة بشكل عيني أي حصة من الإنتاج المعد للتبادل أو البيع.(M.Rostovtzeff.، 1925، p375)

ثالثا-المدن التجارية في الشرق الأدنى القديم: عرف الشرق الأدنى القديم إلى جانب (مدن-الدول) الإدارية، نمطاً آخراً من المدن، وهو (مدن-الدول) التجارية، وإذا كانت نشأة المدن الإدارية، وتطورها وحياة سكانها، وبقائها مرهوناً بحجم الفائض من الإنتاج الزراعي الواصل من الريف، فان ظهور وتطور المدن التجارية ارتهن بحركة الفائض الزراعي في التجارة الخارجية الدولية.

لقد أدت هذه المدن التجارية أدواراً هامة في التجارة الدولية، وشغلت وظائف متممة لدورة الحياة الاقتصادية في(دول-المدن) والإمبراطوريات المركزية المجاورة، فساهمت بتأمين المعادن والخامات والمواد الأولية اللازمة للصناعات الحرفية في (دول- المدن) الادارية، وأدت دوراً وسيطاً في ايصال منتجاتها إلى الأسواق الدولية.

يعكس هذا الأمر حالة مبكرة من تقسيم العمل الجغرافي والاعتماد المتبادل بين المدن التجارية والمدن الإدارية. فالمدن الإدارية كانت تقدم الغذاء للمدن التجارية، في حين تقوم المدن التجارية بدور الوسيط التجاري بين المدن الإدارية وإمبراطوريات العالم القديم، في استيراد المواد الأولية وتصدير السلع المنتجة. وقبل أن نتحدث عن طابع الإدارة في هذه المدن لا بد من الإشارة أن هذه المدن كانت مشابهة في تنظيمها الادراي لنموذج (مدن–الدول) في الإمبراطوريات الزراعية المجاورة، وقد تتحول في ظروف استثنائية إلى إمبراطوريات تجارية عالمية على غرار(أوغاريت- المدن الفينيقية- تدمر..الخ).

لاشك أن هذه المدن التجارية أدت أدوراً حيوية في التجارية الدولية بين حضارات العالم القديم، بين شمال المتوسط وجنوبه وشرقه.فظهرت هذه المدن إما في نقاط تقاطع التجارة الدولية البحرية على شواطئ البحر المتوسط أو الخليج العربي مثل (البحرين- أوغاريت- صور- طرابلس- الإسكندرية)، أو في نقاط تقاطع القوافل التجارية البرية أو على مقربة من الواحات الصحراوية مثل (مكة - تدمر- بترا- أنطاكية).هكذا كانت تجارة آسيا(الهند-الصين) تعبر هذه المدن إلى فارس و شبه الجزيرة العربية، محملة بعاج الهند و الحرير من الصين، والتوابل و البخور من شبه الجزيرة العربية والمعادن والأنسجة من فارس، لتمر عبر سوريا إلى مصر ومنها إلى أوروبا القديمة. وسنتوقف عند بعض نماذج (المدن- التجارية) وأهمها:

1-أوغاريت:تُعد أوغاريت واحدة من أقدم (مدن- الدول) التجارية في شرق المتوسط، وقد تناوبت على هذا الدور في مرات عديدة بين الألف الثالثة والألف الثانية ق.م، وكانت من اهم الفترات في القرن الثالث عشر ق.م أثر توقيع معاهدة السلام بين الحبشة ومصر، حيث تحررت أوغاريت بموجب هذه الاتفاقية من القيود الاقتصادية التي كانت مفروضة عليها، وأخذت تحل محل (جبيل الفينيقة) في تجارة البحر المتوسط، فعادت لممارسة أدوارها وعلاقاتها التجارية الخارجية، وأسست أسطولاً بلغ عدد قطعه نحو 150 سفينة (انطون سعادة، 1982، ص 115- 117) فكانت مراكبها تجوب سواحل البحر المتوسط محملة بالبضائع التابعة للملك، الذي كان يمارس التجارة والربا شخصياً، ويقوم بعقد الصفقات التجارية في قصره، ويساعده موظفون تابعون له أُطلق عليهم"Tamcares"(كلود شيفر، 1980، ص91) وكان الملك يوزع على جميع التجار والحرفيين وبشكل دوري عطاءات عينية من الحبوب والصوف والزيت إضافة إلى مبلغ نقدي محدود(م.ل.غيلتسر، 1968، ص251) إلى جانب التجارة كان العمل الحرفي مزدهراً في أوغاريت، فبلغ عدد أصناف الحرف فيها أكثر من40 صنفاً، وكان الحرفيون يعملون لدى الملك مباشرة ويتلقون إلى جانب الموظفين أجوراً، وقد يمنحوا قطعاً من الأرض لزراعتها لقاء عملهم ويقدموا 1\3 المحصول للملك كريع، إلى جانب قيامهم بالسخرة المفروضة على جميع الرعايا لصالح الملك عند الضرورة (م.ل.غيلسر، 1968، ص114، ص245، ص329) ويشير شيفمان: إلى أن الأراضي المحيطة بالمدينة كانت تتبع للملك، ويقدم مستثمروها (الريع) للملك عيناً ونقداً، وكانوا ملزمين بأعمال السخرة والخدمة في الجيش الملكي(آي.ش.شيفمان، 1982، ص358).هكذا خضعت أوغاريت، مثل فينيقيا ومدن –الدول التجارية الأخرى لنظام مركزي صارم في الإدارة، وأحتكر الملوك معظم الأنشطة الاقتصادية.

2-البحرين(دلمون): أدت هذه المدينة دوراً مهماً في التجارة الدولية الوسيطة بين الهند القديمة وبلاد النهرين عبر الخليج العربي بدءاً من القرن الرابع والعشرين ق.م، فكانت صادرات بلاد النهرين تمر عبر الصحراء إلى دلمون (البحرين) محملة بالحبوب والتمر والزيت والصوف والمنتجات الحرفية المختلفة إلى الهند، وتستورد من الهند المعادن والحجارة والخشب والصيد والأحجار الكريمة(تاريخ الشرق القديم، 1988، ص12).

3-مدن-الدول الفينيقية: تقدم فينيقيا مثالاً لم يعرف له التاريخ القديم مثيلاً في السيطرة على التجارة العالمية، ويعتقد هيردوت ان اصل الفينيقيين أو(الكنعانيون) يعود إلى البحرين(دلمون)، وهناك جدل كبير بين المؤرخين حول الحضارة الفينيقية، التي بنت مجموعة (مدن-دول) تجارية على الساحل اللبناني-السوري، وبنت مستعمرات تجارية غرب المتوسط كان أبرزها(قرطاج).

مرت هذه الحضارة بحركات مد وجزر، تغيرت عواصمها باستمرار (صيدا- صور-جبيل-طرابلس) شهدت هذه الحضارة ع ازدهاراً كبيراً بين(1500- 300ق.م) فحلت فينيقيا محل أوغاريت، بعد سقوط هذه الأخيرة، في احتكار التجارة البحرية في البحر المتوسط، وقامت بتوحيد (دول-المدن)على الساحل اللبناني، بمجرد خروج القوات المصرية منها، وتحررت من التبعية لمصر وفارس، واتخذت من (طرابلس) عاصمة لها، ثم تحولت لنموذج دولة تجارية

مركزية في القرن الرابع ق.م. كان لها أساطيلها البحرية الخاصة، التي حملت المنتجات الحرفية والنسيجية السورية والفينيقية لمناطق بعيدة في حوض البحر المتوسط، وقامت بتصنيع الأنسجة الصوفية والحريرية الثمينة، وكانت تقوم أحياناً بإعادة تصنيع وصباغة الأنسجة المستوردة من مصر والهند والصين لتعيد تصديرها، كما قلنا سابقاً، وكانت هذه الأنسجة من الجودة بحيث كان يوزن مقابل وزنها ذهباً في أسواق روما القديمة(آي.ش.شيفمان، 1961، ص13)

4-تدمر :خضعت تدمر لسيطرة الملك الرومي كمستعمرة تجارية ومحمية عسكرية تابعة لروما حتى منتصف القرن الثاني ميلادي، حين منحها الإمبراطور هارديان لاستقبالها الحافل له لقب (المدينة الحرة) وأصبحت بموجب هذا اللقب ذات حكم ذاتي تدير شؤونها بنفسها، وتجمع الضرائب من مكوس التجارة العابرة لنفسها، واحتفظ الإمبراطور بحق بقاء ممثل عنه عرف باسم Curator ومهمته مراقبة الخزينة في المدينة(عدنان البني، 1978، ص102) واستطاعت الملكة زنوبيا أن تبسط سيطرتها على طرق التجارية البرية والبحرية مع (الشرق الأقصى)الهند والصين ومع روما و(الشرق الأوسط)، وتشير بعض المصادر أن نفوذها السياسي وصل إلى مضيق البوسفور وفارس وأرمينيا إضافة لمصر وسورية(عدنان البني، 1978، ص103-120).

من نافلة القول أن ملوك و أباطرة العالم القديم أدركوا (كما هو الحال اليوم) أهمية الاستيلاء على هذه المنطقة في (شرق المتوسط) للسيطرة على التجارة العالمية والتحكم بحركة الفائض العالمي، فكانت هذه المدن تخضع باستمرار لسيطرة القوى العظمى أو الدول المركزية المجاورة، التي كان لها موظفيها وجبات ضرائبها في هذه المدن، الذين جمعوا مكوث التجارة لصالح خزينة ملوكهم، فكان لملوك الفراعنة، على سبيل المثال، ممثلين في المدن التجارية على السواحل السورية، يرأسهم موظف كبير أطلق عليه اسم(Rabettsion) ومهمته الحفاظ على المصالح التجارية لمصر، وإعلام فرعون عن تحركات حكام المدن المجاورة، وعن خطط وتحركات القوى المعادية في الدول المجاورة، وإذا اقتضت الحاجة يقوم (ربيتسون) بالتدخل المباشر، وتركزت مهمته الاقتصادية في جمع الضرائب من هذه المدن للحفاظ على كنوز وثروات الملك المصري الخاصة(الدبلوماسية والعلاقات الدولية بين الدول في الشرق القديم، 1978، ص43) بالمقابل فإن هذه المدن-التجارية كانت تحصل على الغذاء والحبوب من الملوك الخاضعة لحكمهم، إذ نجد مثلاً أن حمورابي بين القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد قدم عرض مساعدة لملك ماري بتقديم صفقة من القمح تصل إلى(50 الف حمل حمار من القمح)أي نحو(4000طن)(الدبلوماسية والعلاقات الدولية بين الدول في الشرق القديم، 1978، ص23).

في العصر الرومي كانت هذه المدن مصدر ثروة كبيرة لروما، فقد مارست روما احتكار تجارة الحبوب وتقدم إحدى البرديات المصرية التي تعود للقرن الثاني ميلادي نصاً لمحاكمة الامبرطور كومودرس لرئيس جمنازيوم (مجلس المدينة) الإسكندرية ويدعى أبيانوس لقيامه بمزاولة احتكار تجارة الحبوب وبيعها في مدن أخرى بأربعة أمثال ثمنها لتعويض نفقاته الخاصة(مصطفى العبادي، 1975، ص45، ص118-119).هكذا كانت مصر تسمى(عنبر القمح للإمبراطورية

الرومية)، وقد جمع الإمبراطور أنطاسيوس ثروة قدرت بنحو 320 ألف رطل ذهب في مطلع القرن الرابع ميلادي من احتكار هذه التجارة(لويس ارشيبالد، 1960، ص27)

ثالثاً-السلطة السياسية المطلقة(TOTAL POWER): ذهب بعض المفكرين مثل كارل ماركس لتفسير سبب ظهور الاستبداد والسلطة المطلقة في حضارات الشرق القديم للاعتقاد (إن الزراعة المروية على ضفاف الأنهار الكبرى مثل: الفرات –النيل-الغانج-الأصفر..الخ استدعت مثل هذه الحاجة لوجود الدولة كجهاز منظم لهذه الأعمال الضرورية).(كارل ماركس، مجلد46، ج1، ص8) لكن المكتشفات الأثرية الحديثة عن تاريخ الشرق القديم أكدت بأن هذا الشكل من السلطة سبق هذه المرحلة بكثير، كما مر معنا في مدن –الدول، وفي المدن -التجارية ايضاً، التي لم تعتمد على الزراعة المروية، ولم يكن للزراعة دور مهم في حياتها الاقتصادية مثل أوغاريت وفينيقيا وتدمر وبترا..الخ.

تبدو الإجابة الممكنة لتفسير هذه الظاهرة من وجهة نظرنا هي: محدودية المساحة الصالحة للزراعة، الذي ترافق مع الخصوبة المرتفعة للتربة وإنتاجية الارض، فالغلال الوفيرة سمحت للفلاح بالتخلي عن قسم كبير من انتاجه للدولة دون ان يتضور جوعاً؟ لا بل هناك فائض عن استهلاكه السنوي يُمكنّه من تخزين كمية لا بأس بها من الغذاء تحسباً لسنوات جفاف أو قحط قادمة؟ ففي حوران مثلاً في العهد الرومي كما يشير (هيرودوت) كان المِد من القمح يعطي أكثر من 20مداً ولهذا كانت حوران تسمى إهراء(عنبر) روما، وذلك*لخصوبة* أرضها ووفرة محاصيلها الزراعية، وخاصة قمحها الذي يمتاز بجودته العالية، وكانت خصوبة الارض مرتفعة في بلاد الرافدين ايضاً(فكان المد من البذار يأتي بنحو 200 ضعفاً وقد يصل إلى 300 في المواسم الممتازة، وكان طول سنبلة القمح 3، 5 بوصة)(هيرودوت، 2001، ص121، ص138) أما في مصر فيقول:(لا تحتاج الزراعة لكثير من الجهد، ويكفي ان يقوم الفلاح بغرس البذار بدون محراث او أدوات، بعد ان تنحسر مياه النيل، وينتظر الغلال الوفيرة)(هيرودوت، 2001، ص138).وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار محدودية المساحة الصالحة للزراعة التي لم تكن تتجاوز 4% من مجمل المساحة الكلية في مصر، وهي محصورة بالمنطقة الممتدة على جانبي النيل ومنطقة الدلتا، فإن هذه المساحة المحدودة تميزت بالخصوبة المرتفعة جداً، إضافة لإمكانية زراعتها بثلاثة محاصيل سنوياً، مما يؤمن وفرة كبيرة في الغذاء، كانت سبباً في ارتفاع عدد سكان مصر في زمن الفراعنة يتراوح بين 8- 10مليون نسمة وظل عددهم قرابة 8 مليون حتى القرن الأول ميلادي، كما تشير بعض المصادر، ومع توفر الإدارة الجيدة والاستثمار الأفضل للأرض، وبالشروط القديمة ذاتها للري، فإن إنتاج مصر من الغذاء يكفي لإطعام 23 مليون نسمة(آ.آيرو، 1954، ص19)

لكن هذا لا يعني إطلاقاً أن سبب ظهور الدولة المركزية في مصر، التي تتصف بالسلطة المطلقة، هو ارتباطها بالزراعة المروية كما ذهب ماركس وأنصار (نمط الإنتاج الآسيوي)(كارل ماركس، المجلد13، ص7) فقد ظهرت منظومات مماثلة من الدول المركزية في مناطق اعتمدت على الزراعة المطرية مثل إيبلا في القرنين السابع عشر والرابع عشر ق.م حيث مستوى الأمطار

فيها كان كافياً لزراعة وفيرة، كما كانت الأراضي المروية في إيبلا محدودة ولم يتجاوز 10-15% من مساحة الأرض على امتداد مساحة الدولة.مع ذلك كان في خزائن الملك من المؤن والمحاصيل ما يكفي لإطعام 18 مليون نسمة، في حين لم يكن يتجاوز عدد سكان المملكة 230 ألفاً، هذا عدا عن إنتاج الزيوت والخمور، مع ذلك كانت إيبلا تتمتع بسلطة مطلقة للملك وبنظام مركزي صارم للإدارة واحتكرت الدولة الماشية والأرض والتجارة والصناعة، وكانت الأرياف المجاورة لها تدفع الضرائب العينية من الإنتاج الزراعي والحيواني، فضلاً عن تقديم السخرة واليد العاملة (قاسم طوير، 1984، ص63-64).

-السلطة وحق التفويض الإلهي: أن علاقة الفرد في السلطة تلخص مجمل التاريخ السياسي للشرق القديم. فقد ظل وعي الفرد لذاته مرتبطاً بالرحم الاجتماعي المحيط بدءاً من القبيلة أو العائلة أو الجماعة الدينية التي ينتمي إليها أو مشاعة الحي، وكان وعي الفرد مندمجاً بوعي الجماعة؛ فهو لا يمتلك وعيه الفردي الخاص خارج المشاعة، فالارتباط الاجتماعي حدد طبيعة وعيه لذاته وعلاقته بالعالم الخارجي، فظلت علاقته بالأرض والمشاعة أقوى من أية علاقة أخرى اقتصادية أو اجتماعية، وكان الناس يعتقدون بإحساسهم الفردي أنهم جزء من الآلهة مرتبطون معها جسدياً بواسطة الكاهن (رجل الدين) أو (الملك)(وحيد خياطة، 1984، ص19-20) وفي كل مرة كانت تظهر دولة جديدة، كان الملك الجديد بحاجة للحصول على تفويض بالسلطة لنفسه من الآلهة، فالملك سرجون الأول في القرن الرابع والعشرين ق.م حين قام بتأسيس دولة مركزية في أكّاد، زعم أن الإله أنليل منحه الأراضي الممتدة من ماري إلى جبال الأرز والفضة) وفي آسيا الصغرى ادعى الملك حاتوشيلي الثالث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد(أن الإله منحه السلطة وجعل منه ممثلاً له على الأرض)(توفيق سليمان، 1985، ص124).

من جهة أخرى مع انتشار الأختام الأسطوانية في هذه المدن، التي كانت دليلاً على تطور الإدارة والسلطة، وعلى التفويض الإلهي لحامل الختم. فالختم تمنحه الآلهة كرمز للسلطة؟ تشير المصادر إلى انتشار صناعة الأختام الأسطوانية في سوريا القديمة، وفي وبلاد الرافدين (3200 ق.م) واستمرت حتى القرن الرابع قبل الميلاد.حيث كان لكل ملك أو تاجر أو موظف كبير ختمه الخاص، وحتى كهنة المعابد امتلكوا أختامهم الخاصة، التي حملت عبارات تذكر اسم ولقب الموظف أو الكاهن أو التاجر أو الملك، ونعته لنفسه بأنه خادم الآلهة (الختم هبة الآلهة إلى الملك)(آي.بي.واينبرغ، 1986، ص123)

لكن على اية حال لم يقتصر هذا الادعاء بالتفويض الإلهي على ملوك الشرق القدماء، فكان بطليموس مؤسس الدولة البطلمية في مصر أدعى لنفسه بمثل هذا الحق، فقد عُثر على نقش هيروغليفي على جدران معبد "أدفو" نص يقول: (إن الإله حورس أهدى ابنه الملك حورس الحي بطليموس كل الأراضي المزروعة في كافة أرجاء مصر، وقدم له وثائق الملكية وسجلات وصفية للممتلكات)(كلود شيفر، 1980، ص13) إضافة لادعاءاته بأنه كسب مصر برمحه، أثر موقعة مع ولي عهد الإسكندر باريديكاس321 ق.م(M.Rostovtzeff 1925، p375) ولم يقتصر التفويض الإلهي على حقوق السلطة وملكية الأرض، بل شمل أيضاً حق التشريع وسن

القوانين، فكان حمورابي واضع أول تشريع شامل في الشرق الأدنى قد أدعى أيضاً: (أن الإله حدد منحه القانون، وأن الآلهة وصفته بالحاكم العادل الذي تزين بتاج العدل)(Roux. 1964 ، p.172).فحق (التفويض الإلهي) يعني جملة من الواجبات التي ترتب على الأفراد (رعايا الملك) تجاه الملك، كدفع الضرائب وعمل السخرة، وتنفيذ إرادة الملك بصفته يمثل الآلهة وكما يقول زاماروفسكي: (إن الملك الإله كان من الواجب تنفيذ أوامره كإله في حفر الأقنية، والخدمة في الجيش ودفع حصة من المحصول..الخ)(ف.زاماروفسكي،، 1986، ص171) وفي هذه الوظائف بالذات يكمن جوهر (حق التفويض الإلهي) الذي يرسم علاقة الحكام بالمحكومين.

خاتمة: ماذا يمكن أن نستنتج من العرض السابق؟ هل يمكن توصيف مدن-الدول وحضارات الشرق الأدنى القديم بالعبودية؟ تبقى هذه المسألة موضع خلاف بين الباحثين، لاسيما فيما يتعلق بطبيعة المدن وخصائص أسلوب الإنتاج الذي اتسمت به هذه المرحلة، لكن من الصعب إسقاط سمات العبودية على المجتمعات في هذه المدن، فقد تغيبت عن هذه المجتمعات أهم سمات الإنتاج العبودي : وهي وجود ملكية خاصة وملاكين كبار للأرض والاعتماد على قوة عمل العبيد في الزراعة، ففي مدن تجارية مشابهة لأثينا مثل أوغاريت تؤكد غيلسر في دراستها لمجتمع أوغاريت في الألف الثانية ق.م على عدم وجود ملاكين كبار للعبيد(م.ل.غيلسر، 1968، ص315) وفي إيبلا القديمة (الألف الثالث ق.م) تغيب عمل العبيد في الزراعة -كما يقول باولو ماتييه–لدرجة يصعب وصف هذا المجتمع بالعبودية(آي دياكانوف، **1985**، ص230) كما تشير معطيات أخرى عن بابل في الألف الأولى ق.م إلى أن العمل في الورش الضخمة والمزارع والأطيان الكبيرة لم يكن عمل العبيد فيها أساسياً(الجديد حول الشرق القديم،، ص203).إلا أن العبودية(الرق) كنمط اجتماعي كان موجوداً، لكن المجال الرئيس لعمل العبيد كان في القطاع الخدمي، أما في الأعمال الإنتاجية كالزراعة والحرف فكان عمل العبيد فيها محدوداً، بالرغم من وجود شواهد عن الاسترقاق الأبوي أو الاسترقاق نتيجة الحروب، واستخدام العبيد في أعمال البناء كالأهرامات والمعابد والقصور والمدافن، إلا أن نسبة الأحرار كانت كبيرة في هذه الأعمال كما يؤكد زاماروفسكي (فإن عمل العبيد في الزراعة في مصر القديمة كان محدوداً جداً، وحتى في بناء الأهرامات فأن العمل لم يقتصر على العبيد وأعتمد على عمل الأحرار بشكل أساس)(ف.زاماروفسكي، 1986، ص214-215) ومن جهة اخرى إذا كانت السخرة منتشرة في هذه النماذج من دول-المدن، فالأعمال المجهدة لم تقتصر على العبيد بل شمل الأحرار.ويمكن القول أن عمل العبيد أنتشر في القطاع الخدمي، كالخدمة في القصور أو منازل الأسياد أو في التجارة وحماية القوافل، وشكل العبيد الأرقاء طبقة اجتماعية توزعت بدءاً بشكل عمودي، بدءاً من بيوت العائلات الميسورةً وكبار رجال الدولة والتجار وصولاً إلى القصور والبلاط، وكان العبد يستمد مكانته الاجتماعية من مكانة سيده؟ وقد تمتع العبيد بحقوق اجتماعية خلافاً للعبيد في اليونان وروما القديمة، إذ لم تمنع القوانين الشرقية زواج الرجل الحر من الأمة، أو حق وراثة العبيد لأسيادهم.فقد سمحت تشريعات حمورابي، أن يتزوج الأحرار من العبيد، واعتبرت الأولاد أحراراً في هذه الحالة، كما يحق للأولاد وراثة أبيهم إذا أعترف الأب بأبوته لهم، ويرثونه إذا لم يكن له ورثة(توفيق سليمان،، ص214-215) على الرغم مما وصف به العصر البابلي

بالعبودية، ومدى الظلم الذي لحق بالعبيد جراء القانون، ففي تشريع يعود لبداية الألف الثانية ق.م في بلاد الرافدين(تشريع بيت عشتار) يذكر أن السيد إذا أساء معاملة العبد واشتكى عليه ثم تكررت الإساءة يصبح العبد عندها حراً (ك.خ.بنهارت، 1982، ص92).من هنا يمكن القول أن الرق في مدن الشرق الأدنى القديم يختلف اختلافاً جوهرياً من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية عن مثيله في التاريخ الغربي.فالتشريعات الغربية لاسيما في روما حرمت التساهل مع العبيد، ووضعت حدوداً طبقية صارمة بينهم وبين الأحرار، وضيقت مجال الحرية أمامهم، فإن الديانات الشرقية شجعت على تحرير العبيد واعتبرته بمثابة تقرب من الآلهة، لكن هذه النزعة تعرضت - كما يشير شيفمان – لقيود في المجتمع السوري في العصر الرومي، فقد سمح القانون الرومي بتحرير جزءاً منهم، إذا كان عددهم ثلاثة يسمح بإطلاق حرية اثنين منهم، وإذا كان العدد بين 5-9 عبيد يسمح بإطلاق حرية النصف، ومن 10-30 يسمح بتحرير ثلثهم وإذا كان بين 30-100عبداً فأكثر يسمح بتحرير ربعهم)(آي.ش. شيفمان، 1977، ص129).

خلاصة القول فان المرحلة القديمة في الشرق الأدنى لا يمكن توصيفها بالعبودية فمحدودية المساحة الصالحة للزراعة المترافقة مع ارتفاع عدد السكان نسبياً لم يكن يتطلب قوة عمل بشرية إضافية، وبالتالي لم يتطلب الاستخدام الواسع لعمل العبيد. ربما كانت مقولة سمير أمين (التشكيلات الخراجية)(سمير أمين، 1980، ص25) هي الأقرب لتوصيف هذه المراحل التاريخية في الشرق الأدنى، إذ يأخذ هذا الشكل طابع الخراج (الريع- الضريبة) المحصلة من الريف لصالح المدينة الشكل الأساسي لعلاقة الريف بالمدينة في ظل سلطة الدولة المطلقة وملكيتها للأرض، ويشكل هذا النمط الخراجي الخط الأحمر للنسيج الاقتصادي والاجتماعي الذي يربط بين مراحل التطور، منذ العصر القديم وحتى عشية الغزو الاستعماري (الكولونيالي).

قائمة المراجع:

1.ارشيبالد، لويس(1960)، القوى التجارية في البحر المتوسط(1100-500)، ترجمة: احمد محمد عيسى، مراجعة:محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة

2.الارض والفلاح في مصر على مر العصور(1974)، برئاسة تحرير:د.احمد عزت عبد الكريم، القاهرة

3.ابن خلدون، عبد الرحمن، 2001، (المقدمة)، خليل شحادة -سهيل زكار، ط2، دار الفكر، بيروت

4.أمين، سمير(1980)، الطبقة والأمة في التاريخ وفي المرحلة الإمبريالية، دار الطليعة، بيروت

5.امين، سمير(1974)، التطور اللامتكافىء: دراسة في المجتمعات المحيطية للرأسمالية، ت.برهان غليون، دار الطليعة، بيروت

6.السّواح، فراس(1986)، لغز عشتار (الالوهة المؤنثة، اصل الدين و الأسطورة)، ط2، نيقوسيا (قبرص)

7.بدج، واليس(1986)، الديانة الفرعونية، ت.نهاد خياطة، نيقوسيا(قبرص)

8.بشور، وديع(1981)، سومار وأكاد، دمشق

9. البني، عدنان(1978)، تدمر والتدمريون، دمشق

10.حتّي، فيليب(1982)، خمسة آلاف عام من تاريخ الشرق الأدنى ج1، بيروت ط2

11.خالد، خليل إبراهيم- الأزدي، محمد(1983)، تطور ملكية الأرض في العراق، بغداد

12.خياطة، محمد وحيد(1984)، دراسات في حضارات الشرق القديم:المرأة والألوهية، دار الحوار، اللاذقية.

13.دوركهايم، اميل(1982)، تقسيم العمل الاجتماعي، ت.حافظ الجمالي، اللجنة اللبنانية للترجمة، الطبعة الثانية، بيروت

14.سعادة، صفية(1982)، أوغاريت، بيروت

15.سليمان، توفيق(1985)، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة منذ أقدم العصور إلى عام1190 ق.م.(الشرق الأدنى القديم ما بين النهرين وبلاد الشام) دمشق

16.شيفر، كلود(1980)، رأس شمرا، حصيلة التنقيبات الأثرية الفرنسية في موقع رأس شمرا بين 1929-1979، ت.فهمي الدالاتي، دمشق

17.شيفر، كلود، - كيني، ف.ي .غ(1980)، الأختام الأسطوانية في سوريا، ترجمة أبو علي عساف- قاسم طوير، توبنغن(ألمانيا)

18.العبادي، مصطفى(1975)، مصر من عهد الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، القاهرة

19.عبدالله، فيصل(2004-2003)، تاريخ الوطن العربي القديم وبلاد الشام(سوريا ولبنان وفلسطين والأردن)، جامعة دمشق

20.غولايف، ف.ي(1989)، المدن الأولى، ترجمة: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو

21.طوير، قاسم(1984)، ألواح إيبلا، مجلة فكر، العددان 60-61، بيروت

22.كوفان، جان(1984)، الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع الثامن والثامن ق0 م، ترجمة: قاسم طوير، دمشق.

23.نصحي، إبراهيم(1966)، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج(3)، ط3، القاهرة.

24.هيرودوت(2001)، تاريخ هيرودوت، ترجمة:عبد الاله ملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

مراجع باللغة الروسية

25.إيبلا القديمة(حصيلة التنقيبات الأثرية في سوريا)(1985) رئيس التحرير :أي.م.دياكانوف، موسكو

26.أفتسيان.أ(1984)، الدولة الهيلينية في سورية من نهاية القرن الرابع ق.م حتى القرن الأول ق.م، موسكو

27.افديف، ب، ف(1970)، تاريخ الشرق القديم، موسكو

28.آيرو.آ.(1954)، فلاحي مصر، ترجمة:.ف.فولكوفا، غ.أ.كولاغينا، موسكو،

29.بنهارت، ك.خ(1982)، لبنان القديم، موسكو

30. بازيلي، قسطنين. م.(1962)، سوريا وفلسطين، موسكو

31.بوغاسلافسكي، ي، سي(1983)، المهن والحِرَف في مصر القديمة(عصر السلالة 19-20، موسكو

32.تاريخ الشرق القديم(1988)، مجموعة من المؤرخين الروس، برئاسة تحرير، أي، اف، كوزيشينا، موسكو

33.الجديد حول الشرق القديم(1988)، مجموعة باحثين سوفييت، ت.د.جابر ابي جابر وخيري الضامن، دار التقدم، موسكو.

34.جونز، ريتشارد(1937)، المؤلفات الاقتصادية الكاملة، لينيغراد

35.الدبلوماسية والعلاقات الدولية بين الدول في الشرق القديم(1978) مجموعة من الباحثين السوفييت، برئاسة تحرير، أي.آ. ستوتشفسكي، موسكو

36.دياكونوف، أي، م(1980)، تاريخ العالم القديم، موسكو

37.زاماروفسكي، ف(1986)، عظمتهم في الاهرامات، موسكو

38.سميليانسكايا، ايرينا، م(1979)، البنية الاقتصادية الاجتماعية لبلدان الشرق الأوسط على مشارف العصر الحديث، موسكو.

39.سولدوخو، يو.آ(1950)، حول موضوع البنية الاجتماعية في العراق بين القرنين الثلث والرابع ميلادي، موسكو.

40.شيفمان، إي.ش(1961)، المستعمرات الفينيقية في غرب البحر المتوسط وظهور هيمنة الكرفغان، لينينغراد.

41.شيفمان آي.ش(1977)، المجتمع السوري بين القرنين الأول والثالث ميلادي، موسكو.

42.شيفمان، إي.ش(1982)، مجتمع أوغاريت بين القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م، موسكو.

43.غيلسر، م.ل(1986)، مجتمع أوغاريت (رسالة دكتوراة في التاريخ القديم)، فيلنوس.

44.فيبر، ماكس(1923)، التاريخ الزراعي للعالم القديم، موسكو

45.فيبر، ماكس(1923)، المدينة، بطرسبورغ.

46.فيخمان، أي.ف(1965)، مصر على أعتاب الانتقال بين عصرين، موسكو.

47.فيخمان، أي.ف(1974)، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في مدن مصر القديمة، رسالة دكتوراة، موسكو.

48.ماركس كارل، الأعمال الكاملة، الطبعة الروسية الثانية، ب.د. موسكو، مجلد 46، ج1-ج2.

49.مایاك، أي.إل(1983)، روما في المرحلة الامبرطورية الأولى (أصل مدن البوليس الرومية)، موسكو.

50.واينبرغ، آي.بي(1986)، الإنسان في حضارة الشرق الأدنى القديم، موسكو.

51.Biech, S(1881).History of Egypt from Earlist times to b.c.et, London.

52.Roux, George(1964).Ancient Iraq.London

53-Hamid, Abdul Rahman (1954). Le rigionde Alep – etude de coevgraphie rurale, Parise.

54.Roberts.M.H.P (1979). An urban froflie of the middle East .London
55-Rostovtzeff, M(1925). A History the Anicent world, Vol 1, Oxford

56- Rostovitzeff, M (1940). The Social and Economic History of the Hellenistic World, vol. 1, Oxford.

57.Wilson, J.A(1951)The Burden of Egypt.Chichago

التحولات السياسية الراهنة في الوطن العربي قراءة عبر البراديغم الجديد

د.أسماء بن قادة، جامعة الجزائر 02- الجزائر

The current political transformations in the Arab world, a reading through the new paradigm

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تجاوز المقاربات التقليدية التي تنتمي إلى النظام المعرفي الديكارتي-النيوتوني في قراءة التحولات السياسية الراهنة في الوطن العربي وما تضمنته من تفاعلات معقدة عجزت مسلمات البراديغم التقليدي ومناهجه المعتمدة في بحث ظواهر ما سمي بالربيع العربي والتي تقوم على الحتمية والتجزيئية والقدرة على التنبؤ، في حين تبين أن تلك الظواهر لا خطية في طبيعتها ولاحتمية في نتائج تفاعلاتها التي انتهت في صيرورتها إلى حالة من اللايقين، وبدت بذلك المقاربات التقليدية عاجزة عن تفسير تلك الظواهر، حيث لم يواكب التحولات السياسية الجارية على مستوى الواقع الفعلي تطور مهم على مستوى الأدوات المعرفية ومن بينها المفاهيم والمناهج، وفي هذا السياق تحاول هذه الدراسة الخروج من السجون المفاهيمية التقليدية نحو فضاء البراديغم الجديد بتوظيف مسلماته الجديدة كالكلانية واللاحتمية والمفهوم الجديد للزمن وعبر اعتماد تعددية المناهج والعبر-منهاجية في دراسة التحولات السياسية الأمر الذي منحنا قدرة تفسيرية أكبر لتلك الظواهر وما صحبها من تحولات على مستوى الوطن العربي.

الكلمات المفتاحية: البراديغم، التجزيئية، الاستعجالية، الكلانية، اللاحتمية، تعددية المناهج، العبر-منهاجية، التعقيد، الفوضى، الانبثاق، الشبكة، الدبلوماسية الشعبية، اللاخطية، الصيرورة.

Abstract: This studyaims to transcend the traditional approches thatbelong to the Cartesian Newtonian cognitive system in reading the currentpolitical transformaions in the Arab worldwhere the tradional paradigm and itsapproaches were unable to research the phenomenacolledcalled" the ArabSpring " whichisbased on reductionism,detreminism and predectability,whileit turnes out thatphenomena are nonlinear and undetrmined in the results of their interactions,whichendedin theirbecoming a state of uncertainty, and thustraditional approches seemed to beunable to explain hese phenomena , and in thiscontextthisstudy tries to get out of the traditionalconceptual

prisons,towards the new paradigmspace by employingits new postulatessuch as holistic,undeterminism and the new concept of time withadopting of multidisciplinarty and transdisciplinarity in the study of politicaltransformations wich gave us greaterexplanatorycapacity for thesephenomena.

Keywords: Paradigm, fragmentation, urgency, holism, indeterminism, pluralism, trans-methodology, complexity, chaos, emergence, network, popular diplomacy, nonlinearity, becoming.

مقدمة:

إن الفرضية التي يقوم عليها هذا البحث تنبني على استحالة قراءة التفاعلات المعقدة الجارية على مستوى الوطن العربي من خلال البراديغم التجزيئي النيوتوني القديم الذي انبثقت عنه وصيغت عبره كافة النظريات وتأسست من خلاله المدارس التي قام عليها النظام الدولي والعلاقات الدولية، وأن النظام المعرفي الجديد بمسلماته الجديدة المتمثلة في الكلانية واللاحتمية وعدم القدرة على التنبؤ واللايقين والذي هو في طور التبلور يملك قدرة أكبر على تفسير التحولات التي يمر بها العالم العربي حاليا، ومن أجل بحث هذه الفرضية اعتمدنا توظيف منهج التحليل الابستمولوجي الذي يقوم على تحليل الظواهر من خلال النموذج التفسيري أي البراديغم الذي تنتمي إليه.

نقسم البراديغمات أو النماذج التي مرت بها المنظومة المعرفية التي انبثقت عنها مختلف المعتقدات والقيم والنظريات والمناهج والرؤى ومن ثم السياسات والمؤسسات عبر

التاريخ إلى ثلاث أنظمة معرفية، يتمثل أولها في النظام المعرفي الأول الذي حددناه وفقا لنمذجتنا في النظام المعرفي الأرسطوطاليسي والنظام المعرفي الديكارتي النيوتوني والبراديغم أو النظام المعرفي الثالث والمتمثل في النظام الجديد الذي هو اليوم في طور التشكل والتبلور وسنحاول من خلاله قراءة التحولات السياسية الراهنة في العالم العربي، بما فيها الاحتجاجات والحراك القائم حاليا على مستوى العالم العربي، الأمر الذي يتطلب ابتداء المرور على النظامين الأرسطوطاليسي والنيوتوني كي نتمكن من استيعاب طبيعة الثورة العلمية التي انتجت البراديغم الجديد الذي سيمكننا من قراءة التحولات الجارية على مستوى النظام الدولي والمنطقة العربية.

بدءا بالنظام المعرفي الأرسطوطاليسي الممتد ما بين المدينة –المدينة العالمية- الامبراطورية الرومانية، والذي قام على مسلمات هي مزيج من العقل والأسطورة والإلياذة والميتافيزيقا الأرسطوطاليسية واللاهوت (Marie-Claude Bartholy, Jean-Pierre Despin, Gerald Grandpierre, 1978, p15-16)، والتي نتج عنها مجموعة من المبادئ الجلية التي أفرزت بدورها مفهوما للطبيعة تحدد من منطلقه مفهوم المدينة والمواطنة والمجتمع المدني والتقسيم

الطبقي التفاضلي الطبيعي، ففي المجتمع اليوناني القديم كان الفلاسفة المهتمون بالمبادئ العامة ينتمون إلى طبقة أعلى من الطبقة التي ينتمي إليها المهتمون بالحقائق الجامدة والتطبيقات التقنية وهي طبقة متخلفة عن الأخرى تخلف الجسد عن الروح بتعبير أرسطو فمبلغ العبيد الطبيعي من العقل هو أن يفهم الصواب دون أن يكون حائزا عليه(Mansion Suzanne, 1984, p22-23)، وقد وجه أفلاطون نقدا شديد اللهجة إلى بعض العلماء اللذين عززوا نظريات الرياضيات البحتة أو الميكانيكا باختبارات مفردة على اعتبار أنهم أفسدوا الهندسة وحقروا من تميزها بأن جعلوها تهبط من شيئ عقلاني غير مادي إلى شيئ محسوس(Pierre Duhem, 1958, p50-59)

وقد جرى وضع وصياغة القوانين التي تحكم الشعوب خارج المدن اليونانية والامبراطورية الرومانية مما عرف بالبرابرة إلى غاية مؤتمر وستفاليا وانبثاق الدولة القومية، أما الكنيسة فلم يكن بإمكانها الإفلات من العقائد العلمية الأرسطية التي عملت على إدماجها في جملة معتقداتها، وظل هذا التحالف قائما بين مبادئ أرسطو الجلية وتعاليم المسيحية وهو تحالف عقدي وسياسي في إطار النظام المعرفي السائد من أرسطو إلى نيوتن وعصر النهضة (Philipp Frank, 1957, p47-51)

ولأن احتقار العمل اليدوي الذي كان بالنهاية احتقارا للتجربة وفقا للمفهوم الأرسطي للطبيعة قد أخر تطور علمي الفيزياء والكيمياء إلى غاية القرن السادس عشر الميلادي، عند ظهور الثورة الكوبرنيكية التي كرسها غاليلي، باعتماده الرياضيات في فهم الطبيعة والتي انتهت إلى التأكيد على أن القانون الطبيعي مكتوب بلغة رياضية ومن ثم تحول العلم من العناية بالكيفيات إلى العناية بالكميات(Maurice Clavelin, 1996, p189-195)، فتم بذلك اعتماد القياس وتحولت الفيزياء الحديثة إلى عملية صياغة رياضية للطبيعة، ومن داخل هذا النظام المعرفي القائم على التجزيئية والحتمية والخطية، انطلق فلاسفة الفكر السياسي في أوروبا يبحثون عن القانون الكلي الذي يحكم الظواهر الانسانية ومن بينها السياسية يساعدهم في ذلك انبثاق الليبرالية السياسية وتصاعد وتيرة الاقتصاد الرأسمالي، ولقد اعتمد فلاسفة التنوير سواء من حيث مسلمات النظام المعرفي النيوتوني أو من حيث منهجيته المعتمدة نفس ما اعتمده علماء الفيزياء والرياضيات، حيث استخدموا التجزيئية في تفكيك الظواهر الانسانية والحتمية في التنبؤ بمستقبلها، والتجزيئية هنا تعني أن كل موجود مكون من جزيئات قابلة للقياس وأنه لا يمكن فهم عمل وبنية الكليات إلا من خلال تفكيكها ودراسة الجزيئات التي تتكون منها، لتحديد خصائصها الأساسية والقوانين التي تحكم التفاعلات التي تجري بينها، الأمر الذي جعل جون لوك يطور رؤية تجزيئية للمجتمع الذي يصفه بمجموع أفراده حيث يعلق فريختوف كابرا على ذلك بقوله " تماما كما كان يختزل علماء الفيزياء والرياضيات خصائص الغازات في حركة الذرات كان لوك يدرس طبيعة الانسان الفرد ثم يعممها على الظواهر الاقتصادية والسياسية"(Frijtof Capra, 2003, p32-34)، ولقد أسس لوك رؤيته هذه على آراء توماس هوبس الذي كان يعرف الانسان بقوله " يتميز الانسان عن الحيوانات الأخرى بعقله الذي لا يزيد عن كونه حسابا أي جمعا وطرحا" وكذلك بناء الدولة

الذي استلهمه من الآلة كنوع من المحاكاة أو المماثلة للنموذج الميكانيكي متجسدا في الليفياتان الذي يعني وحش التوراة وهو عنوان كتاب هوبس الذي اعتبر مرجعا أساسيا للفلسفة السياسية منذ القرن السابع عشر وتمهيدا لنظريات لوك وروسو حول صياغة العقد الاجتماعي ومفهوم المجتمع المدني، ويعبر الليفياتان في هذا السياق بقوة عن مسلمة التجزيئية التي تتبنى الفصل بين وظائف الأعضاء، فالنموذج الميكانيكي للدولة الليفياتان يعتبر السيادة نفس الوحش الاصطناعي والحكام مفاصله والمكافأة والعقاب أعصابه والمستشارون ذاكرته والقوانين عقله وإرادته والوئام صحته والحرب الأهلية موته، ولقد عرف هوبس بنبي الفردية الاستبدادية والفردية هنا هي نتاج للتجزيئية ولقد تزامنت هذه النظريات والمقولات لهوبس مع انبثاق الدولة القومية في مؤتمر وستفاليا عام 1648 مع انبثاق الدولة القومية.

إذن ومنذ نيوتن وغاليلي وكبلر وديكارت انتقلت التجزيئية من العلوم الطبيعية إلى العلوم الانسانية ومن ثم إلى علم السياسية من هوبس إلى روسو حيث اعتبرت المجتمعات الانسانية مثل الجزيئات الذرية ولذلك كان لابد من تفكيكها إلى عناصرها الأساسية ثم دراسة كل جزء وتعميم ذلك على الظاهرة ككل من خلال الاستقراء.

أما الحتمية، فإنها المسلمة الثانية التي قام عليها البراديغم النيوتوني، وهي تقوم على أن كل حدث في الكون خاضع لتسلسل منطقي محدد سلفا ضمن سلسلة غير منقطعة من الحوادث التي يؤدي بعضها إلى بعض، وفق قوانين محددة، ويعتبر لابلاس من أقوى دعاتها حيث جعلها تشمل أغلب الظواهر الكونية حتى وصفت حتميته بالحتمية الكونية(Pierre- Simon Laplace, 1886)

وبمجرد امتداد توظيف الحتمية في العلوم البيولوجية حتى انتقلت إلى العلوم الانسانية ابتداء من علم النفس إلى علم الاجتماع مع وضعية كونت وبعده دوركايم وماركس ، إضافة إلى مسلمة الخطية التي تعكس التعبير الرياضي عن الظواهر البسيطة القابلة للتقدير والتي يكون فيها الأثر متناسبا مع السبب، أما الجملة الخطية أو النظام الخطي فهو النظام الذي يساوي مجموع أجزائه.

ولكن ومع تطور علوم الفيزياء والرياضيات بدأت هذه المسلمات تواجه مأزقا معرفيا، مع اكتشافات بور وهايزنبرغ التي أدت إلى نظرية الكم التي تأكد من خلالها أن الكليات أكبر من مجموع أجزائها مما يعني أن دراسة الظاهرة من خلال التجزئة سيؤدي إلى اغفال هذه الحقيقية العلمية التي تؤدي نتيجتها إلى أن الانسان ليس مجموع أعضائه والمجتمع ليس سوى مجموع أفراده والمجتمع الدولي ليس مجموع دوله ومن هنا ظهر مفهوم الكلانية بشكل متزامن في البيولوجيا العضوية والجشطلت والإيكولوجيا، لتمتد بعد ذلك إلى كافة العلوم ومن بينها الاجتماعية والسياسية، منطلقها وقاعدتها الأساسية الكل أكبر من مجموع أجزائه(وليد عبد الحي، تحولات المسلمات في العلاقات الدولية، ص7. JeanChrestian Smuts, 1926, p103-104 .(Frijtof Capra, 1990, p110-120.

ومع علاقات الارتياب في الفيزياء الميكروسكيبية والميكانيكا الكوانتية تحولت حتمية لابلاص إلى حالة من الاحتمال وعدم اليقين، وانهار بذلك التصور الكلاسيكي للحتمية ليحل محله الارتياب وعدم القين، كما حل التحليل الاحصائي محل مبدأ السببية المرتبط بالحتمية (Jean Louis Destouches, 1947, p39-42).

وارتبط تحول مسلمة الخطية إلى اللاخطية مباشرة بتطور الرياضيات (Jean Eisenstaedt, 1999, p56-64)، حيث تطلبت دراسة بعض البحوث والظواهر بناء نماذج جديدة لتفسيرها لاسيما في مجال الميكروبيولوجيا والسيبرنيطيقا وعلى مستوى بعض الأنظمة المفتوحة لعبت الرياضيات الحديثة وعلوم الكومبيوتر دورا كبيرا في التعبير عن الظواهر اللاخطية ومن ثم يكون النظام المعرفي النيوتوني وبانهيار مسلمات التجزيئية والخطية والحتمية وعلى أثر نسبية آينشتين انهار النظام النيوتوني الديكارتي الكلاسيكي تلاه منعطف تاريخي معرفي نتج عنه ظهور نظام معرفي جديد يقوم على مسلمة التعقيد في مقابل مسلمة التبسيط والاختزال.

ويعتبر إدغار موران التعقيد ظاهرة كمية، بسبب الكم الهائل من التفاعلات والتداخلات بين عدد كبير جدا من الوحدات والفواعل على مستوى النظام أو النسق،وتشمل منظومة التعقيد اللايقينياتواللاحتميات والظواهر اللاخطيةوالأنظمة نصف الخطية، ولقد تحولت منظومة التعقيد إلى منهجية في التفكير لها مبادؤها ومفاهيمها الفرعية الإجرائية (Edgar Morin, 2005, p127-134)، الأمر الذي جعل النظام المعرفي الجديد يستند أساسا إليها كمسلمة خاصة وأن أكثرية الظواهر الطبيعية والانسانية ظواهر معقدة ولا خطية في مسارها واحتمالية في تطوراتها حيث يصعب فيها التنبؤ وهي غير قابلة للتجزيئ أو الاختزال الذي يمس خصائصها الكلانية كما يتطلب ذلك التعقيد اعتماد تعددية المناهج و العبرمنهاجية لدراسة الظواهر المعقدة.

والسؤال:

ما علاقة ذلك بالدولة والنظام الدولي والتحولات العربية الراهنة؟

لقد حاولت كافة المدارس مقاربة النظام الدولي من خلال اعتبار المجتمع الدولي وحدات متباينة بينها شبكة من العلاقات تجعل الترابط بين الوحدات ترابطا عابرا ونفعيا وتكتيكيا تكون فيه الدولة فاعلا أساسيا حيث كرست منهجية التجزيئية والحتمية التعامل مع المجتمع الدولي باعتباره أجزاء مترابطة أي التعامل مع الواقع الدولي كأطراف تربط بينها علاقات سببية وحتمية يمكن التنبؤ بنتيجة تفاعلاتها، كل ذلك كان يتم وفقا لمفهوم النظام الدولي وفقا للنظام المعرفي النيوتوني الذي اعتمدته وضعية أوغست كونت.

كما أن الترابط بين وحدات النظام الدولي هو ترابط ميكانيكي وأفضل من وصف ذلك بدقة هو باريتو عندما حدد مفهوم النظام بكونه"نسق متوازن يتألف من أجزاء بينها اعتماد متبادل" وتسببت هذه النظرة التجزيئية الميكانيكية في جعل التفاعلات تتصف بالحتمية التي تستلزم بدورها القدرة على التنبؤ ومن ثم فرض هذا التصور الميكانيكي الذي قامت عليه كافة نماذج

النظام الدولي اعتمادا على مسلمات النظام المعرفي النيوتوني كما حمل الاستقرار في النظام الدولي مغزى إيديولوجيا يجعل من معنى الاستقرار مضمون إيجابي وعدم الاستقرار يحمل مغزى سلبي.

إلى هذا الحد لم تظهر عيوب هذه المقاربات التجزيئية إلا بعد أن بدأ يظهر العجز في التعامل مع حزم التدفقات الكثيفة والمتسارعة القادمة من البيئة الداخلية والخارجية فضلا عن آثار العولمة وعمليات الاندماج بين الشركات المتعددة الجنسيات وحرية تنقل الأموال والأشخاص وتحرير التجارة وفتح الأسواق وإعلام الشبكات والإعلام الجديد والانفجار المعرفي ومن ثم بدت النظرة التجزيئية عاجزة عن استيعاب هذا الكم الهائل من التفاعلات المتشابكة والمعقدة، لأنها تفرض أنماطا ثابتة من التفاعل وهي تركز على الوحدات بدلا من التركيز على التفاعلات.

ولقد لعب الحجم غير المتوقع للسرعة ودرجة التسارع الذي تتم به تلك التفاعلات الجارية على إيقاع الزمن الرقمي بديلا عن الزمن الاستغراقي من خلال ثورة الاتصالات والأنظمة الآنية لعمل الحواسيب عبر شبكة الانترنت تزامنا مع القصور المعرفي في التعامل مع هذه الظواهر المستجدة.

ومع غياب الإطار المفاهيمي المعبر عن الظواهر المستجدة وعجز المسلمات القائمة والمنهج التقليدي عن تفسير واستيعاب تلك الظواهر، انتهى كل ذلك إلى عجز المنظرين عن النمذجة بعد التحولات الكبرى التي شهدها واقع النظام الدولي على كافة المستويات(Bertrand Badie, 1996, p32).

بعد نهاية الباردة، وبدأت أدوات الفعل السياسي تضعف في مواجهة الخصائص اللاخطية لتطور المجتمعات وهو ضعف يرتبط بالحد الزمني المتاح لصانع القرار لاتخاذ القرار وتقييمه فالاعلام وانتقال المعلومات بشكل آني لا يترك المجال الضروري للتحليل حيث لايمكن اتخاذ قرار صعب يتعلق بعوامل مركبة وشديدة التعقيد في ظرف زمني وجيز، ومن ثم بدأت تطرح اشكالية تكيف المؤسسات السياسية مع تغير الأنظمة الاجتماعية بفعل التطور الديموغرافي والتدفق السريع للمعلومات ونوعيتها والتطور التكنولوجي كما أن أجهزة الدولة وأنظمتها الفرعية مثل التربية والشرطة والمالية والعدالة تعيش تفاوتا كبيرا واضطرابا باتجاه التحولات الطارئة على المجتمع والمجتمع الدولي، ويعتبر رئيس الوزراء الفرنسي السابق ميشال روكارد Michel Rocard في دراسة له تحت عنوان مسؤوليات السياسي في مواجهة التعقيد يستشعر صانع القرار هذه الصعوبات ولكنه لا يستطيع تحديد طرقا علمية للتعامل معها كما يفعل المتخصصون في العلوم الدقيقة مع المعادلات اللاخطية ولذلك بات السياسيون يطلبون اليوم مساعدة العلوم الدقيقة في التعامل مع الظواهر السياسية، ابتداء من استغلال تلك النتائج التي أظهرتها الأنظمة الديناميكية اللاخطية فيما يخص المفهوم العلمي للفوضى والانتظام الذاتي...الخ، والاستفادة منها في التعامل مع المعلومات والمعطيات والمتغيرات التي توضع بين يدي صانع القرار (Michel Rocard, 2008, p42-47)، ومن أمثلة التفاعلات المعقدة وما ينبثق عنها من ظواهر وفواعل جدد، ووفقا

لظاهرة الانبثاق المصاحبة لظاهرة التعقيد والفوضى، نسوق مثال انبثاق ظواهر الجماعات المسلحة التي وفرت لها العولمة من خلال حرية تنقل الأشخاص ورؤوس الأموال الدعم اللوجيستي الذي كان له الأثر الأكبر في تكوين وبناء هذه الجماعات والتي تعتبر حالة انبثاق ناتجة عن اضطراب النظام الدولي في مرحلة انهيار المعسكر الشرقي وشركات الأمن العسكرية والمنظمات غير الحكومية والقرصنة الحديثة والجريمة المنظمة وهنا نجد بأن المفاهيم التقليدية للدولة والأمن القومي والسيادة لم تعد قادرة على استيعاب كاف لهذه الظواهر ولاحتى بعض آليات النظام الدولي سواء تلك المرتبطة بالتكيف أو الظبط .(Olivier Roy, 2006, p82-89. Gilles Keppel, 2000, p122-124. Philippe Chapeleau, 2005.p130)

كما شمل التعقيد تفاعلات العلاقات الاقتصادية الدولية، فالاعتماد المتبادل المعقد سجل تراجعا كبيرا لدور الدولة في التفاعلات الاقتصادية وشمل التحول أيضا ميكانيزمات توازن القوى بنية التوازن الحالية قائمة في معظمها على الترابطات الاقتصادية وفي جزء منها على الترابط العسكري بعد التحولات الطارئة على مفهوم القوة ورأس المال الذي بات يقوم على المعرفة، وتعتبر الأزمة المالية نموذجا للتعقيد الذي تعيشه التدفقات الدولية من جهة ولحالة الفوضى التي يمكن أن تعيشها التدفقات الدولية من ناحية ثانية، كما شمل التحول المفهوم التقليدي للحرب ففي محاولة لبناء عقيدة جديدة تقوم على استحالة إقصاء الصدفة في ممارسة الحرب بناء على نظرية الفوضى ظهر نموذج استراتيجي جديد في التكوين العسكري الأمريكي الذي يدرج التعقيد لتحديث المفاهيم الكلاسيكية مثل الاحتكاك وضباب الحرب من أجل مواجهة التحديات الجديدة المرتبطة بالفاعلين الجدد في الحرب وتداخل الفواعل والرهانات الجديدة التي باتت تفرض إعادة النظر في المخططات الجيو-استراتيجية التي كانت تعتبر الدول ذات السيادة فواعل وحيدة في الحرب، ومفهوم التعقيد في الحرب يقوم على الطابع الاحتمالي لعوامل المقاومة ومن ثم لابد من إدراج وسائط احتمالية ويندرج في نماذج الحروب المعقدة أو تفاعلاتها إلى جانب الجماعات المسلحة وحالات العصيان والتمرد والردع والحروب الأهلية والمواجهات الإثنية والطائفية الغير قابلة للتكميم(Barry D. Watts, 2004, p66-68)

وأخيرا التحول في مفهوم الزمن الذي انتقل إلى طبيعة كونية نمطية تعبر عن السرعة المذهلة لتفاعل المعطيات والبيانات فيما بينها بشكل آني مدفوعا بقوة المنافسة التي تسير على قاعدة أنه كلما تقلص الزمن كلما نمت الثروة وتضاعفت ومن ثم بات المطلوب هو التعايش مع ثقافة "زمن اللازمن" كما يقول مانويل كاستلس الذي يعتبر بأن الفرد في المجتمع الشبكي أصبح يعيش في سياق حاضر أبدي، مما أدى إلى الانتقال من المعالجة التسلسلية للزمن إلى المعالجة الآنية الرقمية.كل هذه التحولات أدت إلى حالة من الانسداد التي وصل إليها المنظرون من الأكاديميين في تفسير كثير من الظواهر السياسية فالتطورات المتلاحقة على مستوى الواقع لم يواكبها تقدم على مستوى الأدوات المفاهيمية والمقاربات النظرية لتفسير ذلك الواقع حيث لاتزال معظم الكتابات أسيرة الرؤية التجزيئية والاختزالية.

وقد لجأ جيمس روزينو إلى فكر التعقيد كي يخرج من حالة الانسداد التي وصلت إليها المقاربات الكلاسيكية لتحولات النظام الدولي بعد مرحلة الحرب الباردة حيث يعتبر بأنه وانطلاقا من أن نظام ما بين الدول le systèmeinterétatique الذي بين يعود انبثاقه إلى اتفاقية وستفاليا 1648 قد ضمن استمرارية تسيير الشؤون العالمية كما عبر عنها لأسباب تعود إلى القيود المنظمة والضابطة التي احتوت باستقرارها النسبي كل التغيرات الممكنة داخل نهايات معترف بها وقابلة للتنبؤ، ولكن ولأسباب مختلفة فإن هذه الثوابت الأساسية التي حققت التوازن على مستوى النظام القديم حتى عام 1950 قد تزعزت واهتزت لينبثق عالم جديد غير متوقع وفوضوي chaotique يمكن التعبير عنه بالوضع ما بعد الدولي ,post- international ويتميز هذا الوضع بالدخول في مسار التشعب befurcationنتاج التفاعلات المعقدة التي تعود إلى ما وفرته العولمة من آليات، وقد حاول روزينو عبر إنشاء وتأسيس مجموعة من المصطلحات لوصف الوضع ما بعد الودولي مثل مصطلح (التفتت-التكامل) fragmeration دمجا لمصطلح fragmentation تفتت وintegration تكامل ووظف مفهوم التشعب المرتبط بنظرية الفوضى للتعبير عن الوضع الدولي الجديد(James N.Roseneau, 1990, p11-15).

إذن أدى التحول في مسلمات منظومة العلوم الطبيعية والدقيقة إلى التحول في مسلمات ومنهجية العلوم الانسانية حيث وفرت مسلمات النظام المعرفي الجديد المتمثلة في الكلانيةواللاخطيةواللاحتمية والتعقيد ومفهوم الفوضى والمفهوم الجديد للزمن وحالة الاستعجالية كما يسميها المفكر الفرنسي زكي العايدي ZakiLaidi كل ذلك وفر قدرات تفسيرية لكثير من حالات التعقيد من خلال اعتماد تعددية المناهج Multidisciplinarité أو البين -منهاجية Interdisciplinarité أو العبر- منهاجية Transdisciplinaritéفي محاولة بناء نموذج تفسيري تحل فيه الشبكة محل التراتب وفقا لما جاء به مانويل كاستلس ,Manuel Castells) (1998, p109-110 في كتابه مجتمع الشبكات والصيرورة محل البنية.كما جاء في نظرية فريختوف كابرا للتفاعلات غير المرئية(Frijtof Capra, 2004, p119-121)

وفي ظل هذه المعطيات المعرفية والاستراتيجية والانبثاقات الجديدة للفواعل يكون تناولنا للتحولات السياسية الراهنة في العالم العربي والسؤال:

هل مع هذا التحول في مفهوم الزمن وهذا التسارع في انتقال المعلومات والبيانات وهذا الانبثاق للمنظمات غير الحكومية وهذه التفاعلات الشبكية المعقدة يمكن اعتبار ما يجري في العالم العربي من حراك أو حركات احتجاجية ثورة؟

إن مزيدا من المتابعة والتحليل لصيرورة الأحداث والمطالب والمواقف يضعنا أمام مجموعة من الاحتمالات أولها دلالات المصطلح في النظام المعرفي العربي الذي يتحدد في لسان العرب وثروة ابن منظور اللغوية في معنى الغضب والهيج الذي يتجسد في نوع من التمرد الجمعي الانفعالي، وقد يذهب في النظام المعرفي (الإسلاموي) إلى مفهوم الفتنة حسب بعض الاجتهادات التي تقع داخل إطار قراءة أحوطية لبعض معطيات الواقع، أو الجهاد وفقا لاجتهادات أخرى

تدخل ضمن القراءات التبسيطية لتحولات هي غاية في التركيب والتعقيد، بينما يختلف الموضوع تماما في النظام المعرفي الغربي، حيث يتنمي المفهوم لأبوة فلسفية وفكر سابق للفعل ومنتج للمطالب والمواقف التي تنبثق عن منظومة معرفية متكاملة تقوم على خلفية من الفلسفة السياسية الناتجة عن عصر الأنوار والتي مثلت الدليل لكل الثورات التي اندلعت في الغرب عبر رحلة معرفية وميدانية في آن، حيث يمكن القول بأن الثورات السياسية في الغرب قد ولدت من عمق رحم ثورات علمية وفلسفية.

أحدثت قطيعة معرفية مع النموذج المعرفي الأرسطوطاليسي-المدرسي وتمكن روادها من تحويلها إلى فلسفة شعبية استوعبتها الجماهير ونزلت بها إلى الشارع.

إنه الارتجال إذن، وهو ارتجال دل عليه ذلك الارتباك الثقافي والسياسي والقانوني الذي عاشه شباب الفايس بوك ومواقع التواصل الاجتماعي في حراكه. وفي ظل هذه الحالة من التعقيد والتشعب والفوضى هل يمكن القول بأن القوى الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة بمنأى عما يحدث في العالم العربي من تحولات؟ على خلفية الاخفاقات المتتالية للولايات المتحدة في افغانستان وباكستان والعراق، وتعقد المفاوضات مع كوريا الشمالية وإيران، وانسداد كامل في قضية السلام، انتهت إرهاصات البحث في الولايات المتحدة في آخر اجتهاداتها لمواجهة هذا الواقع إلى مفهوم القوة الذكية، ذلك المشروع الذي ترأسه كل ريتشارد أرميتاج Richard L.Armitage صاحب الخبرة العملية في الإدارات السابقة والشخصية الأكاديمية المعروفة جوزيف ناي Joseph Ney الأستاذ في جامعة هارفارد و صاحب كتاب " القوة الناعمة "، ومن ثم تشهد السياسة الخارجية الأمريكية بدفع من مراكز التفكير ، تحولا نحو مشروع القوة الذكية Smart power التي تقوم على الدمج بين مفهومي القوة الناعمة (Soft power) والقوة الصلبة (Hard power)، أما القوة الناعمة فإن بيل كلينتون كان قد دعا إليها في فترة رئاسته، وهي تتمثل في القدرة على تحقيق أهداف محددة باجتذاب الطرف الآخر من خلال استثمار مكانة الولايات المتحدة وجاذبيتها في التأثير، بواسطة الأدوات الدبلوماسية والمساعدات الخارجية، وأما القوة الصلبة التي استخدمها بوش الابن في حروبه الاستباقية وحربه على الإرهاب وهي تتمثل في القوة العسكرية والعقوبات الاقتصادية، وكما قال روبرت جيتس في سياق ترويجه لاستخدام القوة الذكية "إن طبيعة الصراعات الجديدة تحتاج إلى تطوير قدرات المؤسسات الغير عسكرية، ولا يعتبر ذلك عملا خيريا بقدر ما يمثل سياسة خارجية فاعلة " والفاعلية هنا تتحقق بفعل تقوية التحالفات والشراكات التي تتيح لواشنطن مواجهة مصادر الخطر المتعددة، مع الاهتمام بالتنمية على المستوى الدولي، بتطوير برامج المساعدات، والربط بين المصالح الأمريكية وتطلعات الأفراد في كافة أنحاء العالم، وإعادة استثمار الدبلوماسية الشعبية بإنشاء مؤسسات لا تسعى إلى الربح في الخارج، بقدر ما تعمل على خلق روابط بين الأفراد ومضاعفة الاعتماد السنوي لبرنامج "فولبرايت، إنها الدبلوماسية الشعبية إذن التي باتت تأخذ مساحة لابأس بها من نشاط الخارجية الأمريكية إلى جانب الدبلوماسية التقليدية، ولقد تصاعد هذا النوع من النشاط السياسي الرقمي منذ أن أثبت فعاليته خلال ما سمي ب"الثورة الخضراء" في

إيران إلى غاية الاحتجاجات العربية حيث كانت الخارجية الأمريكية حريصة على تأمين واستمرار عمل المواقع الاجتماعية على الشبكة لمستخدميها من الشباب وحركات المعارضة، فتأمين ذلك التواصل وتوجيهه يعد هدفا استراتيجيا للسياسة الخارجية الأمريكية، أما آخر المستجدات في هذا الموضوع فإنها تكمن في إعلان كلينتون عن تخصيص 30 مليون دولار من ميزانية الخارجية لاختراق الحواجز الالكترونية التي يواجهها الشباب ولتدريب مناضلين يعملون على تأمين تبادل المراسلات والتواصل بين أعضاء المجموعات الناشطة والمدونين، من منطلق يقينها بأن التكنولوجيات الجديدة تعمل على تسريع التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تلك الدول، ولقد أودعت ثمانية وستون منظمة دولية ملفاتها للاستفادة من ذلك التدريب، ولذات السبب كان قد فتح مكتب في وزارة الخارجية الأمريكية متخصص فيما بات يسمى ب "دبلوماسية تويتر " حيث تم استخدامه أيام ما سمي بالثورة الخضراء في إيران من خلال تصميم موقع باللغة الفارسية، وكذلك فتح موقع باللغة العربية أيام الاحتجاجات المصرية، ويجري حاليا تصميم مواقع باللغات الروسية والصينية والهندية، وكانت كلينتون قد أكدت في كلمة لها حول شبكات التواصل الاجتماعي في كل من جامعات نيويورك وجورج تاون وطوكيو إصرارها على العمل على تقنين وإدراج حق التواصل عبر الشبكة ومواقعها الاجتماعية كأحد حقوق الانسان المعترف بها، الأمر الذي من شأنه أن يحول دون ممارسة الرقابة عليها وعرقلة تواصلها، حيث تعتبر الخارجية الأمريكية بأن التواصل الشعبي الخارجي حاسم في تحقيق المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة، وتضيف كلينتون في هذا السياق إلى مصفوفة مصطلحات القوة الذكية والصلبة والناعمة مصطلحا جديدا يتمثل في القوة المدنية، الأمر الذي يجعلنا لا نستغرب عندما نشاهد سيدة الدبلوماسية الرقمية تلتقي شخصيات شعبية وتشارك في نشاطات مدنية وبرامج تلفزيونية جماهيرية مثل إطلالتها علينا عبر برنامج "كلام نواعم" في قناة (ام بي سي)، إنها الدبلوماسية الشعبية! وعلى الرغم من أن الكثير تفاجأ من حركات الاحتجاج العربية لكن مراكز وخزانات التفكير وعلى رأسها نخبة من المفكرين والأكادميين لم تستغرب ذلك الحراك، فمنذ بضع سنوات والعالم البريطاني انتوني جيدنز الذي كان الدليل العلمي لتوني بلير يتحدث في نظريته عن الانعكاسية الاجتماعية التي تقضي بأن المجتمعات لا تفقد السيطرة على الواقع وان التفاعلات الاجتماعية ستؤثر على الآليات السياسية التقليدية structuralisation التي تقضي بان المجتمعات المتعلقة بمجال حقوق الإنسان وترسيخ(Alvin et Heidi Toffler, 2010)

الديموقراطية وفي نفس الوقت ظهرت ثلاثية مانويل كاستلس عن مجتمع الشبكات ومؤلفات فريختوف كابرا عن الاتصالات الغير مرئية وزمن التغيير: العلم والمجتمع والثقافة الجديدة، فضلا عن أكثر من عشر مؤلفات للفيلسوف الفرنسي إدغار موران حول التحولات الضمنية المعقدة التي تمر بها المجتمعات الانسانية والمناهج الجديدة المفترض اتباعها لدراستها، واستيعابها ومؤلفات إيليا بريغوجين، حول قوانين الفوضى وعالم المستقبليات ألفين توفلر منذ كتابه صدمة المستقبل إلى غاية آخر كتبه الثروة الثورية، والذي أثار فيه ما يمكن أن يتسبب فيه تعقيد الظواهر من حالات عدم اليقين وعجز عن التنبؤ، الأمر الذي يتطلب اعتماد منهجية جديدة في دراسة الظواهر المعاصرة، فالشباب والإعلام الجديد لا يقف سوى عند التموجات السريعة،

بينما يقف العلماء والخبراء عند سياقها البنيوي والتفاعلي والصيروري الأعمق لقد انتهى العهد الذي كانت الحتمية تفرض على الظواهر طابعا آليا ميكانيكيا أعمى أجهزة الاستخبارات عن امكانيات رصد حالات الانبثاق المفاجئة التي يعرفها ويدركها علماء التعقيد حاليا، الأمر الذي يتطلب إدراج مسلمة التعقيد ضمن مناهج التكوين والتدريس في كليات الشرطة الاستخبارات والكليات العسكرية وكذا العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كما أن المسار النظري التقليدي لعملية صنع القرار الذي يقوم على خصائص الخطية والعقلانية وفقا لمراحل التحضير-القرار-التنفيذ مع الخلط بين ما هو إداري وما هو سياسي لابد أن يعاد النظر في مساره حيث أن ما يجري على أرض الواقع قد يختلف فيه ترتيب تلك الخطوات لأسباب كثيرة ومن ثم فإن العلماء الحاليون من أتباع نسق التعقيد والفوضى والانبثاق والتشعبات يرون بأن المقاربة التقليدية في صنع القرار تقوم على مسار خطي منغلق في حدود المفاهيم التقليدية المؤطرة عقلاني ومعقد لعملية صنع القرار(Antony Giddens, 2001)، وهو الخطأ الذي وقعت فيه الأنظمة العربية، البعيدة عن المخابر العلمية من جهة وعن آخر تطورات مناهج البحوث في رصد وتحليل الظواهر السياسية.

الخاتمة:

في ظل هذه المعطيات يبدو واضحا أن تفسير التفاعلات الشبكية أو الواقعية الفعلية الجارية على مستوى الوطن العربي وقراءة اتجاهات انعكاساتها على الوضع العربي والدولي، يخضع إلى مدى استيعاب التحولات التي تمر بها المنظومة المعرفية وكذا التعامل مع النظام المعرفي الجديد وما يضعه بين أيدينا من أدوات معرفية جديدة تمكننا من التعامل مع مسلمة التعقيد باعتباره تحد وكذا تعددية المناهج والبينمنهاجية والعبرمنهاجية كمقاربات جديدة من شأنها أن تخرجنا من السجون المفاهيمية وما تسببت فيه من انسداد لتضعنا باتجاه فضاءات متفتحة على مختلف المقاربات الجديدة المنتمية الى البراديغم الجديد للعلوم الدقيقة والإنسانية.

قائمة المراجع:

1.Marie-Claude Bartholy, Jean-Pierre Despin, Gerald Grandpierre, La science : Epistémologie générale, éditions Magnard, Paris, 1978.

2.Mansion Suzanne, Etudes Aristotéleciennes, Louvrin, 1984.

3.Pierre Duhem, Le système du monde: histoire des doctrines cosmologiques de Platon a Copernic, Tome1, Hermann, Paris, 1958.

4.Philipp Frank, Philosphy of science, The link between science and philosophy, Dover publication, New York, 1957.

5.Maurice Clavelin, La philosophie naturelle de Galilée, essai sur les origines et la formation de la mécanique classique, éditions Albin Michel, 1996, Paris.

.6FrijtofCapra, La toile de la vie, éditions du Rocher, 2003.

7.Pierre- Simon Laplace, Essai philosophique sur les probabilités présentées comme introduction a la 2ème édition (1814) dont : théorie analytique des probabilités, œuvres Paris : Gauthier-Villars, 1886, vol, VIII, PP,VI-VII.

8.JeanChrestian Smuts, Holism and Evolution, Macmilan&Ldt, London, 1926.

9.Frijtof Capra, Le temps du changement, science, société et nouvelle culture, traduit de l'Américain par Paul Couturiau, Collection : l'Esprit et la Matière, éditions du Rocher, 1990.

10.Jean Louis Destouches, Déterminisme et indéterminisme en physique moderne, dans : problème de philosophie des sciences, Bruxelles, Herman, 1947.

11.Jean Eisenstaedt, Einstein ou Poincaré, pour la science, no 330, Novembre 1999.

12.Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, Editions du Seuil, Avril, 2005.

13.Bertrand Badie, Quand la globalisation fait la différence, Croissance, no 399, 1996.

14.Michel Rocard, Responsabilités du politique face aux complexités ; dans : Déterminismes et complexités, du physique a l'éthique, Paris, La découverte, 2008.

15.Olivier Roy, Echec de l'Islamisme politique, Edition : Le seuil, 2006.

16.Gilles Keppel, Jihad : Expansion et déclin de l'islamisme, Edition : Gallimard, 2000.

17.Philippe Chapeleau, Société militaires privées, enquete sur les soldats sans armées, Editions du Rocher Collection, « L'art de la guerre », 2005.

18.Barry D. Watts. Clausewizian Friction and Future War, Institute for National Strategic Studies, National Defense University, washington, 2004.

19.James N.Roseneau, Turbulence in World politics Theories of Change and Continuity, Princeton New Jersey, Princeton University Press, 1990.

20.Manuel Castells, La société en réseaux, l'ère de l'imformation, Paris, Fayard, 1998.

21.Frijtof Capra, Les Connexions invisibles, Une approche systémique du développement durable, traduit de l'anglais par NikouTridon, Editions du Rocher Jean-Paul Bertrand, 2004.

22.Alvin et Heidi Toffler, La richesse révolutionnaire, Paris, Plon, 2010.

23.Antony Giddens, Sociology,4thEdition, Polity Press in Association, With Blackwell Publishers Ltd, 2001.

La station d'Abha, Arabie Saoudite, entre hausse et baisse thermique 1978-2017

Allaoua Ahmed Ansar

Professeur, Département de géographie .Faculté des sciences humaines, Université roi Khaled .Arabie Saoudite

Abha station, Saudi Arabia, between thermal rise and fall 1978-2017

Allaoua Ahmed Ansar

Professor, Department of Geography. Faculty of Human Sciences, King Khalid University. Saudi Arabia

Résumé: La station d'Abha située au Sud-ouest de l'Arabie Saoudite est tantôt classée parmi les stations ayant connu une hausse thermique tantôt elle est considérée comme affectée par une baisse thermique. Dans cette étude, nous essayons de saisir son évolution thermique au cours de la période 1978-2017.

Le calcul des différents paramètres statistiques et leur traduction graphique sont les outils utilisés pour atteindre ces objectifs.

L'année 1997 sépare deux périodesopposées ; la première marquée par la baisse thermique contrairement à la seconde plus chaude. Toutes les deux se caractérisent par une évolution dite faible.

Mots clés: Abha, Arabie Saoudite, évolution thermique.

محطة أبها، المملكة العربية السعودية، بين التناقص والتزايد الحراري 1978-2017

ملخص: تصنَف محطة أبها الواقعة في الجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية، تارة بتزايد حرارتها وتارة بتناقصها.في هذا البحث، نحاول التأكد من هذا الموضوع باستعمال بيانات الحرارة للفترة 1987-2017. إن حساب بعص المعايير الاحصائية وترجمتها بيانيا هي وسيلتنا لبلوغ هذا الهدف. تعتبر 1997 سنة فاصلة بين تناقص الحرارة الذي شهدته المرحلة الأولى والتزايد الحراري الذي مس المرحلة الثانية.
إن المقارنة بين شقي اتجاه الحرارة يبيَن أن هذه المحطة شهدت توازنا؛ حيث طبعها المستوى الضعيف تناقصا في الفترة الأولى وتزايدا في الثانية.
الكلمات المفتاحية: أبها، المملكة العربية السعودية، اتجاه الحرارة.

Introduction:

Le globe terrestre vit, depuis un demi-siècle, des changements climatiques qui se manifestent par une hausse thermique et une baisse des pluies. La hausse thermique constitue un consensus universel« les températures moyennes terrestres et océaniques, au niveau mondial, calculées sur la période 1905-2005 ont connu une hausse de 0°4 C(GIEC. 2007). Celle-ci est de 0°8 C entre 1951 et 2012 » (GIEC. 2013). Ce constat est affirmé par une panoplie d'étudeset de rencontres scientifiques relatives à plusieurs régions du monde.

En Arabie Saoudite, plusieurs études, rédigées en arabe et en anglais, ont essayé de mettre le point sur ce phénomène mais rares sont celles concrétisées dans la langue de Molière. La problématique présentée par ces études s'intéresse à deux thématiques:

-Générale et relative à l'étude du climat où de certains de ses paramètres notamment les températures et la pluviométrie. Ce courant a prédominé avant l'année 2000.

-Spécifique qui s'est intéressée à l'évolution du climat plus particulièrement les températures. Cette optique est devenue omniprésente après cette date.

La présente étude s'inscrit dans la seconde thématique. Elle essaye de mettre le point sur l'évolution des températures moyennes aux trois échelles temporelles à savoir l'année, la saison et le mois dans la ville d'Abha, située au Sud-ouest de l'Arabie Saoudite dans la province d'Asir.

Donc nous essayons, en utilisant les moyennes thermiques de la période 1978-2017 soit 40 ans d'atteindre plusieurs objectifs essentiels:

-Saisir le sens de l'évolution des températures annuelles, saisonnières et mensuelles.
-Préciser le début de cette évolution.
-Quantifier cette évolution aux trois échelles temporelles.

Ces objectifs traduisent l'intérêt de cette thématique. Car une fois saisie, cette évolution permet à tous ceux qui s'intéressent à ce phénomène de mieux s'adapter et à appréhender ses conséquences.

Pour atteindre ces objectifs, nous avons recours à deux procédés à savoir le traitement statistique et la traduction graphique.

-Le traitement statistique en calculant :
*les différents paramètres de tendance centrale pour dégager la tendance de ce paramètre annuellement, saisonnièrement et mensuellement**(Ansar. A. 2017).**
*Les paramètres de dispersion pour quantifier le sens de cette évolution thermique.

-La traduction graphique dont l'objectif est de visualiser ce phénomène et de bien le comprendre.

Il est évident que pour bien mener à terme cette étude, nous allons commencer, brièvement, la présentation de la station d'étude, du sujet, des données utilisées, terminologie et littérature antérieure.

La station d'Abha, dont les coordonnées géographiques sont de 42°65 N et 18°23 E est située sur le plateau d'Asir à 2090 m d'altitude au Sud-ouest de l'Arabie Saoudite. Physiquement celui-ci est une série de hauts reliefs où les altitudes dépassent souvent 1500 m. le point culminant se situe à Sawda à 3000 m. A l'image de la station de Abha, ce plateau est le plus pluvieux du pays et est le moins chaud; les moyennes pluviométriques annuelles varient entre 84.8 mm et 582.1mm tandis que celles relatives aux températures oscillent entre 23°5 C et 27°7 C.

Pour étudier l'évolution des températures decette station aux échelles annuelle, saisonnière et annuelle nous disposons de données thermiques mensuelles sur une période de quarante ans de 1978 à 2017. Ces données sont fournies par l'Autorité Générale de la Météorologie et de la Protection de L'environnement. La pertinence de celles-ci a fortement contribué à la quantification de l'évolution thermique à Abha.

La littérature relative à ce thème, essentiellement en langue arabe, s'est intéressée au climat de l'Arabie Saoudite en général et à l'évolution des températures en particulier.

En Arabie Saoudite plusieurs études se sont intéressées au climat, d'autres par contre ont essayé de mettre le point sur l'évolution des températures

de ce pays. Nous présentons, en premier lieu, celles dont l'intérêt est accentué sur les études relatives au climat ou à certains paramètres climatiques pour exposer en second lieu celles qui se sont penchées sur l'évolution thermique. Il est certain que la disponibilité et la qualité des données thermiques recueillies auprès de l'Autorité Générale de la Météorologie et de la Protection de L'environnement ont permis à l'aboutissement avec succès de ces travaux.

La première étude s'est intéressée aux régions climatiques et est le fruit d'une analyse en composantes principales en utilisant la méthode Ward. Plusieurs paramètres climatiques, météorologiques et astrologiques, sont pris en considération. D'après cette étude l'Arabie Saoudite est scindée en sept régions climatiques: Riyad, Taif, Abha, Tabuk, Gizan, Djeddah et Madinah (Al-Jerrach. M. 1992).

L'apport de son contemporain Ahmad. B, a été considérable. Il est l'auteur de plusieurs travaux ; nous nous contentons de citer celles où il a étudié les différents paramètres climatiques telles le climat de la Mecque (1992), le climat de l'Arabie Saoudite (1993) et le climat de Taif (1997).

Pour sa part, Kerbe. J est à l'origine de plusieurs études ; nous ne citons que celles qui ont un lien étroit avec le climat de l'Arabie Saoudite et réalisée en langue française; les caractéristiques dynamiques du climat de l'Arabie Saoudite (1987), L'image climatique des mois et saisons de l'Arabie Saoudite (1989), Géographie des types climatiques mensuels en Arabie Saoudite (1988), Contribution à l'Analyse Spatiale de la Continentalité au Début des Saisons en Arabie Saoudite (2014) et La

Continentalité en Arabie saoudite. Evaluation et distribution spatiale (2014).

Plusieurs autres de ses études sont en langue arabe. Certaines se sont penchées sur la dynamique éolienne et les tempêtes de sables (1981et 2006), d'autres ont trait aux caractéristiques synoptiques (2000 et 2003).

La majorité de ces études ci-dessus ont eu lieu avant 2010 et s'inscrivent dans la thématique relative aux caractéristiques générales du climat de l'Arabie Saoudite. Après cette date, nous constatons l'apparition d'un nouveau courant qui s'est spécialisé dans l'évolution climatique en général et celle des températures en particulier. C'est ainsi que plusieurs travaux ont vu le jour. Nous allons les passer en revue par ordre chronologique ; des plus anciennes aux plus récentes.

En Arabie Saoudite, l'étude des températures moyennes annuelles de 23 stationspour la période 1967-1984, montre une hausse thermique de 0°06 C pour l'ensemble des stations exception faite de Maccah où elle est de 1°0 C (Mandour. M.2012). Cependant, nous devons signaler l'hétérogénéité de la période étudiée qui n'a pas la même longueur pour toutes les stations d'où probablement ces différents résultats.

Une seconde étude s'est intéressée au minima thermiques aux stations d'Abha, Al Ahsa, Al-jouf, Gassim, Riyad et Hail durant la période 1983-2011 et a confirmé une hausse de ce paramètre à partir de 1998 (Al-Housban. Y. 2013).

L'étude des températures moyennes annuelles, saisonnières et mensuelles pour la période 1985-2014 à la station de Taif montre une hausse de l'ordre de 0°8 C. En outre la période étudiée est scindée en deux sous-périodes ; la première, antérieure à 1990, est marquée par des valeurs inférieures à la moyenne thermique 1985-2014 tandis que la seconde se

caractérise par des valeurs supérieures à cette moyenne. L'évolution thermique s'organise en cycles. Ceux marqués par la hausse thermique sont plus nombreux et plus longs contrairement à leurs opposés moins nombreux et plus courts (Ansar. A. 2017).

Toujours dans le même contexte, l'étude des moyennes thermiques annuelles relatives à la période 1985-2014, affirme que certaines stations ont connu une hausse thermique telles Maccah, Gizan, Madinah, Djeddah, Yenbo, Bisha, Najran et Gassim contrairement à d'autres qui ont enregistré une baisse thermique comme c'est le cas à Taif, Al Baha, Hail, Tabuk, Khamis Mushait, Guriat, Turaif et Abha (An-Nahel. G. 2017. Al-Misnid. A. 2017).

Dans la province de Asir, l'étude des données thermiques annuelles, saisonnières et mensuelles montre que cette région connait une hausse thermique aux trois échelles temporelles et que 1999 marque le début de ce phénomène (Al-Qahtani. S.2019).

En Irak, le suivi des données thermiques à Basorah entre 1983-2005 affirme une hausse thermique similaire à celle enregistrée à l'échelle mondiale (Al-Dijili. A. 2012).Tandis que la station d'Arbil a connu une franche hausse thermique (Al-Raouandzi. A. 2012).

En Jordanie, la station d'Amman a connu une augmentation thermique de 0°008 C à 0°02 c au cours de la période 1923-1997 (Ghanem. A. 2003).

En Cisjordanie, la hausse thermique est de l'ordre de 0°5 C entre 1996-2009 (Abou Allil. M. 2012).

Le bassin méditerranéen a connu une hausse thermique à partir de 1998 (Tabeaud. M. 1998). Cette réalité est confirmée en Algérie sans pour autant préciser de valeurs (Farah, A. 2014, Gadi. Z. 2013. Khedim Allah. W. 2012. Hadjaj. A. 2009).

En Libye, l'étude des moyennes thermiques mensuelles relatives à la région de Mesratah révèle une hausse thermique de l'ordre de 1°0 C (Aniba. O. 2016) tandis que Syrte a connu, pour la période 1946-2010, une hausse thermique non définie (Salim. A. 2017).

Toutes ces étudesaffirment l'existence d'une hausse thermique en Arabie Saoudite, en Irak, en Jordanie, en Palestine, en Algérie et en Libye. Certaines quantifient sa valeur et son début d'autres prônent l'aspect qualitatif et définissent uniquement le sens de cette évolution thermique.

Cependant, une seule étude à savoir celle publiée par le département de Géographie de la Faculté des sciences sociales au Koweït en 2017 sous le numéro 448 affirme que plusieurs stations, situées en Arabie Saoudite, dont Abha, Hail, Khamis Mushait, Taif, Tabuk, Guriat et Turaif ont connu une régression thermique. Cette réalité est affirmée par deux chercheurs (An-Nahel. G. 2017. Al-Misnid. A. 2017). Cette affirmation nous pousse à réflexion d'autant plus que les stations ayant connu une régression thermique se caractérisent par:

-Situation géographique : Abha, Taif et Khamis Mushait dont situées au Sud-ouest, Tabuk, Guriat et Turaif Nord-ouest et Hail au Nord sur le plateau d'AN-Nafud

-L'altitude : certaines stations ont des altitudes qui dépassent 2000 m (Abha 2090 m, Khamis Mushait 2066 m), 1000 m (Taif 1478 m et Hail 1015m). les moins élevées sont les stations septentrionales Turaif 813 m, Tabuk 778 m, et Guriat 509 m.

-La situation thermique : ces stations ont les moyennes les moins élevées du pays ; Abha 19°0 C, Khamis Mushait 19°8 C, Guriat 20°0 C, Tabuk 22°3 C, Turaif 19°5 C, Taif 23°3 C et Hail 22°8 C (Al-Qahtani. S. 2019).

Evolution thermique annuelle:

Le suivi des moyennes thermiques annuelles à la station d'Abha durant la période 1978-2017 montre que la moyenne thermique annuelle est de 25°6 C. toutefois, elle oscille entre 27°7 C enregistrée en 2017 et 23°5 C en 1992. Est-ce là un indicateur d'une probable évolution climatique ?

Si on se réfère à la moyenne thermique de la période d'étude pour saisir le sens de l'évolution thermique (GIEC. 2007).Nous constatons que 22 valeurs sont supérieures à la moyennetandis que 18 valeurs lui sont inférieures. Autrement dit la hausse thermique a touché 55 % des années tandis que la baisse thermique a marqué 45 %.

La traduction des écarts à la moyenne, calculés pour la période 1978-2017, montre clairement que celle-ci est divisée en deux sous-périodes:

-La première commence en 1978 et s'achève en 1997. Elle se caractérise par des écarts négatifs synonymes de baisse thermique. Ils oscillent entre 0°1 Cen 1988 et 2.1 C en 1992. Certains se distinguent nettement 1°6 C en 1982, 1°3 C en 1983, 1°1 C en 1989… les moins forts sont enregistrés en 1988 (0°1 C), 1987 et 1991 (0°2 C)… cette sous-période est entrecoupée à sa fin, par deux années 1994 et 1996 où les écarts sont positifs. Est-ce là un signe d'un début d'un changement thermique ?

-La seconde débute en 1998 et prend fin en 2017. Elle est marquée par une hausse thermique qui prend de l'ampleur à partir de 2012. Le maximum est enregistré en 2017 (2°1 C). La traduction graphique des écarts positifs fait ressortir deux cycles :

*Le premier, long d'une dizaine d'années, 1998-2007, où les écarts à la moyenne commencent timidement, 0°4 C en 1998, pour passer l'année

suivante à 0°9 C et maintiennent relativement ce niveau de hausse pendant trois années (2000-2002). De 2003 à 2007, les écarts perdent de leur importance et varient entre 0°2 C et 0°4 C. les valeurs des écartsmarquant ce premier cycle sont proportionnellement peu importantes.

*Le second, marqué des valeurs importantes, commence avec 0°7 C en 2008 et s'achève 2007 avec une valeur qui dépasse 2°0 C. A partir de 2012, la valeur des écarts positifs indicateurs de hausse thermique ne fait qu'augmenter.

Si on se réfère aux seuils de réchauffement climatique définis par le GIEC[(1)], la station d'Abha est marquée par le réchauffement faible. En effet tous les écarts positifs ont des valeurs inférieures à 1°8 C exception faite de 2017 qui a enregistré 2°1 C qui la range dans le réchauffement moyen.

Cependant, le GIEC a omis, peut être volontairement, de mettre l'accent sur le refroidissement vécue par cette station avant 1997. Pour pallier à cette insuffisance, nous maintenons ces seuils en inversant le signe algébrique. Ceci nous mène à dire que cette station est qualifiée d'un faible refroidissement exception faite de 1992 qui a enregistré – 2°1 C synonyme d'un refroidissement moyen.

En somme, l'évolution thermique vécue par la station d'Abha se caractérise par:

[1]- ≤ 1°8 C : faible réchauffement.
1°8 C – 2°8 C : réchauffement moyen.
≥ 2°8 C : fort réchauffement.

-La hausse thermique a touchée 55 % des années de la période étudiée contrairement à la baisse qui n'a marqué que 45 %.

-La période d'étude est scindée en deux parties ; la première où le refroidissement est omniprésent contrairement à la seconde dominée par le réchauffement.

-Les deux volets de l'évolution thermique sont qualifiés de faible. Toutefois, quantitativement, la hausse thermique est plus importante (cf. fig. n°1).

Fig. n°1 : Ecarts à la moyenne thermique annuelle en C°.

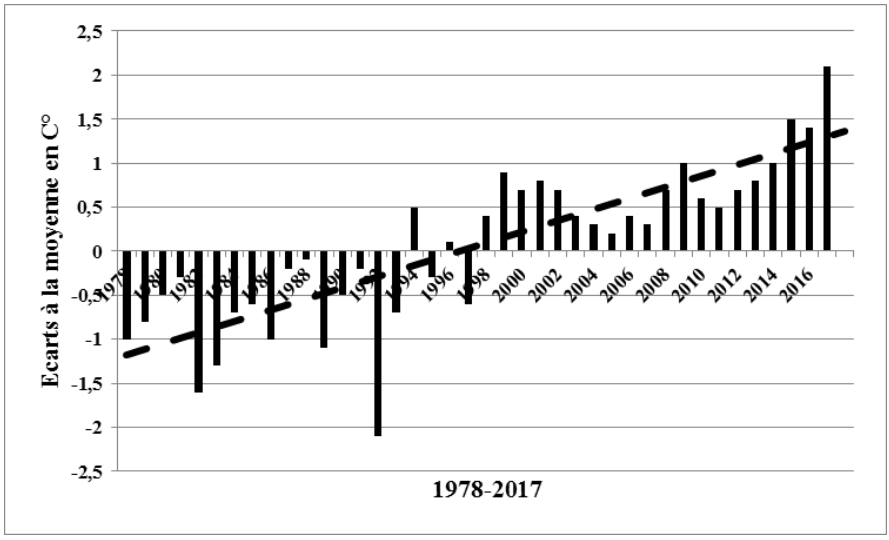

Source : traitement de données

Evolution thermique saisonnière:

En Arabie Saouditepour la période 1978-2017, les moyennes thermiques saisonnières varient de 20°4 C en hiver et 30°6 C en été. Le printemps et l'automne enregistrent respectivement 25° 5 C et 26°0 C. Hormis la

saison hivernale où la moyenne saisonnière est relativement basse, les autres saisons ont des moyennes très proches les unes des autres ; en hiver, les moyennes thermiques oscillent entre 16°9 C en 1992 et 22°1 C en 2017. Celles de l'été varient entre 28° C en 1987 et 33°4 C en 2017. En automne et au printemps les valeurs moyennes sont relativement très proches les unes des autres. 23°9 C en 1992 en automne et 22°8 C en 1983 au printemps pour les maxima et 27°9 C en 2015 au printemps et 28°2 C en 2017 en automne pour les minima.La localisation temporelle des valeurs extrêmes montre que les maxima ont lieu à la fin de la période d'étude (03 fois en 2017 et 01fois en 2015) contrairement aux minima qui sont enregistrées dans les 15 premières années de cette période (02 fois en 1992, 01 fois en 1983 et 01 fois en 1987). Cette localisation est indéniablement un indice révélateur de l'évolution thermique saisonnière que connait cette station.

Pour étudier cette évolution thermique saisonnière nous prônons la même méthode utilisée précédemment à savoir la comparaison des valeurs thermiques saisonnières à la moyenne thermique relative à chaque saison pour la période 1978-2017.Pour l'ensemble des saisons, la hausse thermique a touché 81 saisons soit 50.6 %, tandis que la baisse thermique n'a marqué que 68 saisons soit 42.5 %. Le reste, soit 11 saisons ont été stables. Dans le détail, l'hiver est le plus touché par la hausse thermique contrairement à l'été. Comparée aux autres saisons la stabilité est plutôt rare en hiver (cf. fig. n°2).

Fig. n° 2: Evolution thermique saisonnière

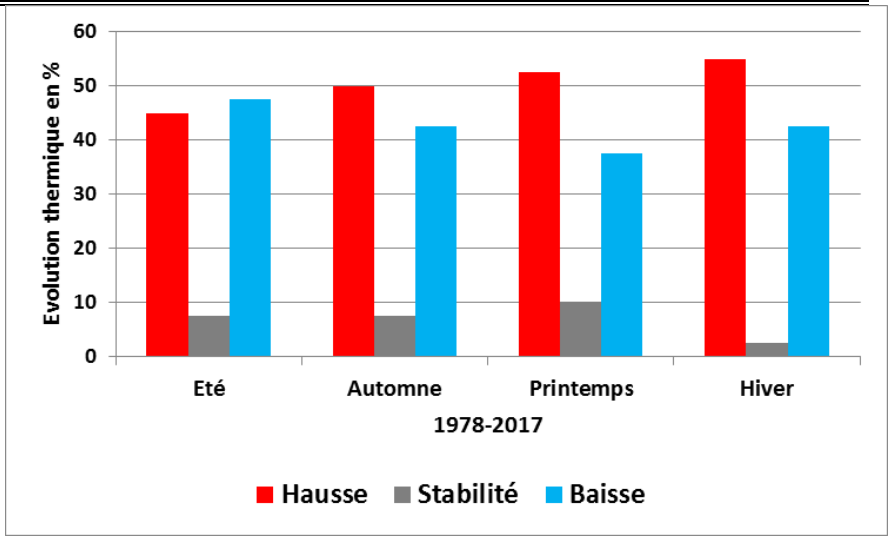

Source : traitement de données

En **hiver**, la hausse thermique a touchée 22 saisons soit 55 % du total, tandis que la baisse thermique n'a marqué que 17 saisons. Une seule saison a été stable. Les écarts à la moyenne relatifs à cette saison varient entre 1°7 C en 2013 et – 3°5 C en 1992. Notons l'importance des écarts négatifs. Au vu des écarts à la moyenne, la période 1978-2017 peut être scindée en deux sous-périodes:

-La première 1978-1993, se manifeste par des écarts négatifs tantôt faibles 1985, 1987, 1988 et tantôt forts 1992, 1982, 1983, 1989.
-La seconde qui commence en 1994 et s'achève en 2017. Elle est plus franche, toutefois, les valeurs des écarts à la moyenne sont plutôt moins accentuées.

La première période ne compte que 15 ans seulement contrairement à la seconde qui dure 25ans. Autrement dit, en hiver la hausse thermique a été précoce et a commencé en 1994.

Au **printemps** la hausse thermique a marqué 21 saisons soit 52.5 % du total tandis que la baisse thermique a touché 15 stations soit 37.5 %. Le nombre de stations stable est de 4. Le plus élevé de toutes les saisons. Les écarts à la moyenne varient de 2°4 C à – 2°7 C. les deux aspects de l'évolution thermique semblent équilibrés. La traduction des écarts à la moyenne relatifs à la période 1978-2017 montre qu'elle est scindée, comme pour l'hiver, en deux sous-périodes :

-La première 1978-1997 soit 19 ans, se caractérise par des écarts négatifs où les valeurs fortes sont en alternance avec celles qui sont moins fortes. Cette sous-période est entrecoupée par quelques écarts positifs (1988, 1991 et 1994) et par quelques saisons stables (1984 et 1996).
-La seconde 1998-2017 soit 21 ans, se caractérise par la dominance des écarts positifs synonyme de hausse thermique et s'organise en trois cycles de durées sensiblement égales ; 1999-2004, 2007-2010 et 2014-2017. Ils sont entrecoupés parfois par des écarts négatifs (2006) et parfois par des saisons stables (2005). Notons que la valeur des écarts positifs est plutôt homogène.

En **été**, la hausse thermique a touché 18 saisons tandis que son opposé a marqué 19 saisons. Un léger avantage pour la baisse thermique. La stabilité a affecté 03 saisons. Les écarts à la moyenne varient de -2°6 C en 1978 et 2°8 C en 2017. Les valeurs extrêmes ont lieu au début et à la fin de la période 1978-2017 et sont sensiblement égales. Le fait marquant pour cette saison est la faiblesse des écarts à la moyenne notamment ceux relatifs à la baisse thermique. En effet, exception faite de trois valeurs, -2°1 C en 1978, - 2°0 C en 1984 et -1°6 C en 1992, toutes les autres valeurs sont inférieures à 0°6 C.

La traduction graphique relative à l'évolution thermique en été montre que la baisse a marqué une très longue période 1978-1988 soit deux décennies. Elle est suivie d'une très courte période 1989-2002 qui a connu une légère hausse thermique. Ensuite intervient une période de cinq ans marqués par une relative stabilité thermique. La hausse thermique commence timidement en 2008 jusqu'en 2013 où elle devient plus franche et prend plus d'ampleur.

En **Automne**, la hausse thermique a marquée 20 saisons contre 17 pour la baisse thermique. L'allure de la courbe relative aux écarts à la moyenne est semblable à celle de l'été. Ils oscillent entre – 2°1 C en 1992 et 2°2 C en 2017. Toutefois, mis à part quelques pics la valeur de ces écarts est relativement faible. Ils marquent la période allant de 1978 à 1997. Elle est suivie d'une dizaine d'années où s'alternent hausse et baisse thermique aux valeurs plutôt moyennes à faibles. A partir de 2011 commence une hausse thermique franche. La confrontation des quatre graphiques illustrant l'évolution thermique saisonnière révèle une analogie entre l'hiver et le printemps d'une part et l'automne et l'été d'autre part. En outre la hausse thermique est précoce en hiver et au printemps en 1999 et tardive en été et en automne en 2009 (cf. fig. n° 3).

Fig. n° 3: Ecarts thermiques saisonniers

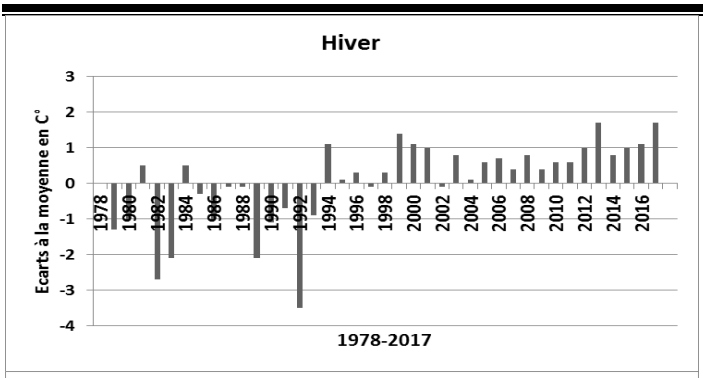
Hiver
Ecarts à la moyenne en C°
3
2
1
0
-1
-2
-3
-4
1978
1980
1982
1984
1986
1988
1990
1992
1994
1996
1998
2000
2002
2004
2006
2008
2010
2012
2014
2016
1978-2017

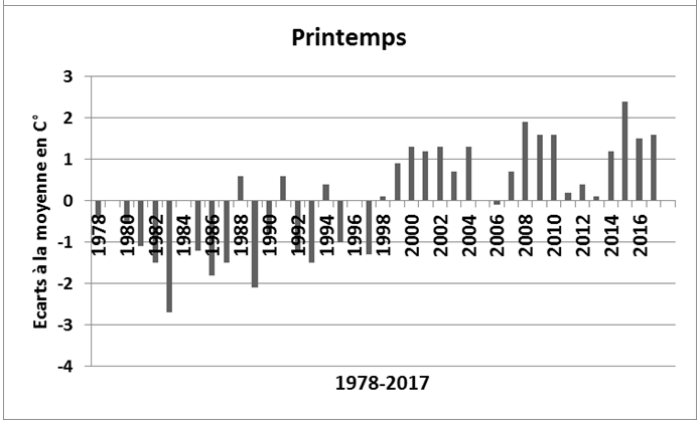
Printemps
Ecarts à la moyenne en C°
3
2
1
0
-1
-2
-3
-4
1978
1980
1982
1984
1986
1988
1990
1992
1994
1996
1998
2000
2002
2004
2006
2008
2010
2012
2014
2016
1978-2017

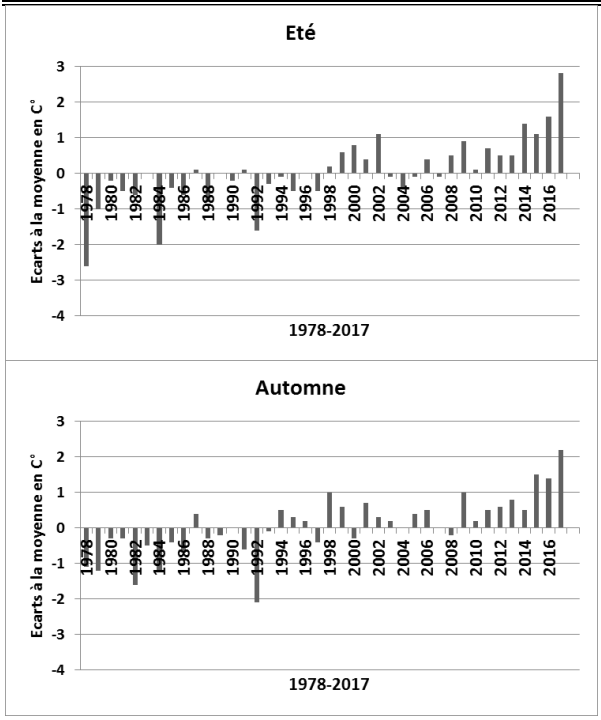

Source : traitement de données

Les degrés de l'évolution thermique saisonnière : En comparant les moyennes thermiques saisonnières de chaque année à la moyenne thermique saisonnière de chaque saison pour la période 1978-2017, nous constatons que 81 saisons sont touchées par la hausse thermique soit 50.6 % tandis que la baisse thermique a marquée 68 saisons soit42.5 %. Le reste des saisons c'est-à-dire 11 ont enregistré une stabilité thermique.

En appliquant les seuils préconisés par le GIEC aux écarts saisonniers, nous remarquonsque 84.3 % soit 135 saisons ont connu une faible évolution thermique avec un net avantage pour la hausse thermique avec 57,0 % contre 42.9 % pour la baisse thermique. L'évolution moyenne a affecté 13 saisons ; 04 pour la hausse thermique qui a touché 02

printemps (2008 et 2015), un été (2007) et un automne (2017) et 09 pour la baisse thermique qui a marquée 03 hivers (1982, 1983 et 1989), 03 printemps (1983, 1986 et 1989), 02 été (1978 et 1984) et 01 automne (1992). Le troisième degré, la forte évolution n'a touché qu'une saison. En effet, l'hiver de l'année 1992 a connu une forte baisse thermique. Quantitativement, la hausse thermique est plus importante comme l'atteste le nombre de saisons touchées par le faible réchauffement. Toutefois, qualitativement la baisse thermique est plus importante en témoins les écarts négatifs qui sont plus accentués (Tab. N°**).

TAB. N°1 : degrés de l'évolution climatique

Réchauffement			Saisons	refroidissement			Stabilité
Fort	Moyen	Faible		Faible	Moyen	Fort	0
0	0	22	Hiver	13	3	1	1
0	2	19	Printemps	12	3	0	4
0	1	17	Eté	17	2	0	3
0	1	19	Automne	16	1	0	3
0	4	77	total	61	9	1	11

Source : traitement de données

Evolution thermique mensuelle:

La distribution temporelle des températures moyennes mensuelles relative à la période 1978-2017 montre que celles-ci varient de 19°6 C en janvier

à 30°9 C en juin. 23°0 C semble diviser l'année en deux sous-périodes ; la première constituée de cinq mois,novembre, décembre, janvier, février et mars où les moyennes thermiques sont inférieures à ce seuil. La seconde qui commence en avril et se termine en octobre se caractérise par des moyennes thermiques supérieures à 23° 0 C.

En se référant à la moyenne thermique mensuelle de la période de chaque mois, nous constatons que 241 mois soit 50.2 % ont enregistré une hausse thermique contre 223 mois soit 16.4 % marqués par une baisse thermique. La stabilité thermique mensuelle n'a marqué que 3.3 %.

La tendance thermique mensuelle montre un léger avantage pour la hausse thermique par rapport à son opposée. En effet, la hausse thermique l'emporte en février, avril, mai, octobre et en novembre soit 05 mois. La baisse thermique est plus importante en janvier, mars, juin et aout soit 04 mois. Juillet, septembre et décembre sont à égalité (cf. fig. n°4).

A l'échelle mensuelle les écarts négatifs à la moyenne, synonyme de baisse thermique sont plus importants et plus étendus que ceux relatifs à la hausse thermique. Les premiers se situent entre -1°9 C et -5°2 C tandis que les seconds varient de 2°0 C et 3°7 C. Février et juillet s'écartent fortement ; - 5°2 C pour le premier et - 4°8 C pour le second. Janvier, mars et avril enregistrent plus de – 3°0 C. mai, juin, aout, novembre et décembre sont au-dessus de – 2° 0 C. seuls septembre et octobre ont des valeurs inférieures à - 2°0 C. Concernant la hausse thermique, les écarts à lamoyenne sont relativement moins accentués. Seuls 04 mois dépassent le seuil de 3°0 C ; janvier 3°7, mars 3°6, février 3°2 et juillet 3°1. Septembre et Octobre enregistrent 2°0 C. le reste des mois ont des écarts positifs qui

oscillent entre 2°0 C et 3°0 C. De par leur amplitude, juillet 8°3 C, février 8°0 C, janvier et mars 7°1 C sont les mois qui enregistrent les moyennes les plus extrêmes. Octobre 4°7 C, novembre 4°8 C et surtout septembre 3°9 C sont les moins variables (cf. fig. n° 5).

Fig. N°4 : Evolution thermique mensuelle

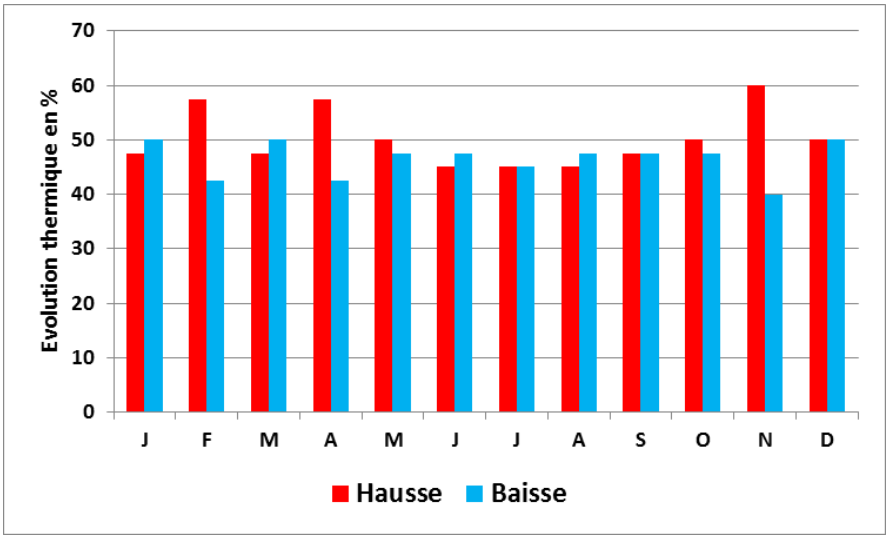

Source : traitement de données

Fig. n° 5 : Ecarts thermiques mensuels

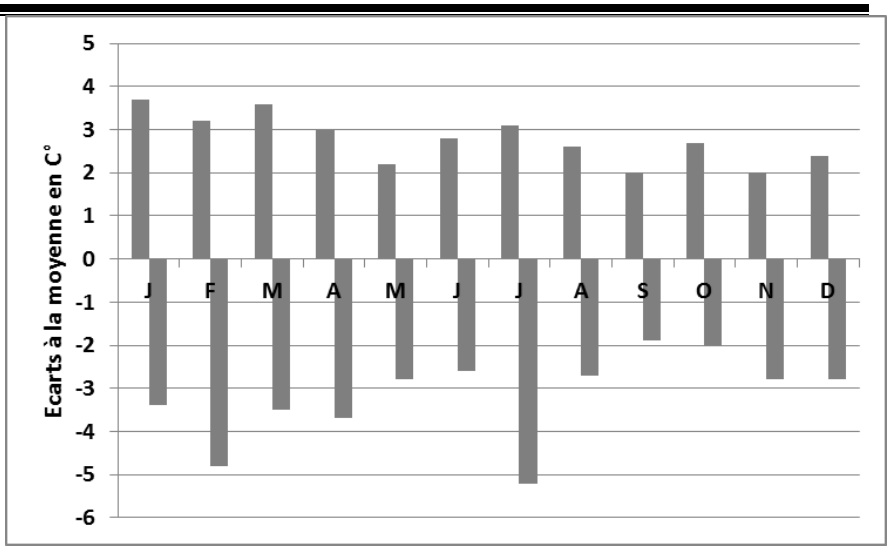

Source : traitement de données

Le traitement des moyennes thermiques mensuelles montre la prédominance du premier degré ou faible réchauffement. En effet, les valeurs inférieures/supérieures à 1°8 C sont très rapprochées ; 210 mois sont marqués par une hausse thermique et 195 mois sont touchés par la baisse thermique. La différence est de 15 mois ce qui représente 3.1 % du total. Le second degré, évolution moyenne, qui représente moins d'1/10 du total, où la hausse marque 5 % contre 3.9 % pour la baisse thermique. Le troisième degré, forte évolution, dont la proportion n'est que de 3.3 % est sensiblement partagé entre les deux volets de l'évolution thermique ; 1.4 % pour la hausse et 1.8 % pour la baisse. Nous constatons que les deux aspects de l'évolution thermique sont sensiblement équilibrés.

Nous essayons de faire un constat relatif aux différents degrés liés à ces deux aspects. Nous commençons par la hausse thermique où la faiblesse

est prédominante. En prenant en considération cette qualité, nous répartissons les 12 mois en trois groupes :

-Novembre marqué 23 fois par ce degré.
-Février, avril, mai, juin, juillet, aout, septembre, octobre et décembre où la faiblesse thermique oscille entre16 et 19fois.
-Janvier et mars qui ne sont touchés que 14 fois par ce degré.

Le réchauffement moyen a été présent 24 fois ; seul juillet a été épargné par ce degré. Janvier et décembre sont les plus touchés avec 04 fois chacun et à degré moindre février, mars et avril 03 fois. Les moins touchés sont juin, aout, septembre, octobre et novembre 01 fois chacun et mai 02 fois.

Le fort réchauffement a été absent en mai, juin, aout, septembre, octobre, novembre et décembre.

Il a marqué janvier, avril et juillet 01 fois chacun en 2017 et février 02 fois en 1999, 2013 et mars 02 fois aussi en 2008 et 2016.

La baisse thermique qui se manifeste, elle aussi en trois degrés, est prédominée par le premier degré à savoir le faible refroidissement où les mois sont scindés en deux groupes :

-Le premier où les mois touchés par ce seuil dépassent 15 fois. il s'agit janvier, mars, mai, juin, juillet, aout, septembre, octobre et décembre.
-Le second où le faible refroidissement est inférieur à 15 fois comme c'est le cas en février, avril et novembre.

Le refroidissement moyen s'est manifesté 19 fois. Exception faite de janvier et juillet, les autres mois sont différemment affectés ; décembre est le plus marqué avec 03 fois, septembre et juin 01 fois chacun tandis que les mois restants ont été touché 02 fois chacun.

Le fort réchauffement s'est déclaré en 09 occasions ; 03 fois en avril 1983, 1986 et1989 et 01 fois en mars 1983 et juillet 1978.

La comparaison de ces données montre que la balance entre la hausse thermique et la baisse thermique est légèrement à l'avantage du réchauffement (cf. Fig. n°6)

Fig. N° 6: degrés de l'évolution thermique

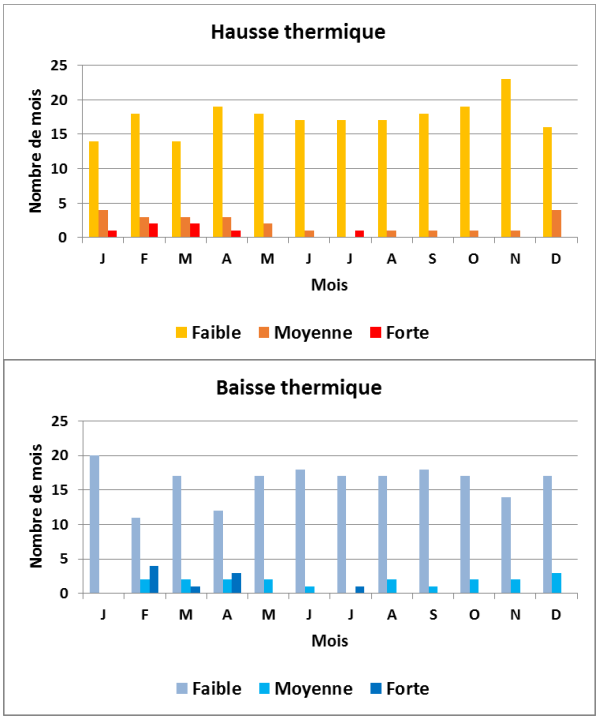

Source : traitement de données

Au terme de cette étude, nous pouvons affirmer que la station d'Abha est marquée par les changements climatiques qui se résument en quelques faits :

-La période étudiée est scindée en deux sous périodes dont la première est affectée par une baisse thermique alors que la seconde se manifeste par une hausse des températures qui a commencé en 1998.
-Cette hausse thermique a touché plus particulièrement la saison hivernale.
-Les deux aspects de l'évolution thermique se caractérisent par leur faiblesse et sont plutôt équilibrés.

Conclusion:

Le suivi et le traitement statistique et graphique des données thermiques pour la période 1978-2017 enregistrées par l'Autorité Générale de la Météorologie et de la Protection de L'environnement à la station d'Abha en Arabie Saoudite a permis de saisir le sens de l'évolution thermique, de préciser le début de cette évolution et de quantifier cette évolution aux trois échelles temporelles annuelle, saisonnière et mensuelle.

Le fait saillant de cette évolution est la division de cette période en deux sous-périodes diamétralement opposées ; la première prédominée par une baisse thermique contrairement à la seconde marquée par une hausse thermique. Ces deux volets se manifestent souvent par leur faiblesse. 1998 semble être le début du réchauffement thermique. Cependant, ce phénomène est précoce en hiver et à un degré moindre au printemps et relativement tardif en été et automne.

Les degrés de l'évolution thermique, baisse et hausse, est relativement équilibrée. Toutefois, si la hausse thermique est plus importante quantitativement, la baisse thermique l'est plus du point de vue qualitatif.

Bibliographie:

-ABOU ALLIL Mohamed Zakaria. 2012. Analyse géographique des températures en Cisjordanie. Magister non publié. L'Université islamique de Gaza. Palestine (en langue arabe).

-AHMED, Badr al-Din Yusuf Muhammad. 1992. Le climat de la Mecque. Série de recherche en sciences sociales (5). Institut de recherche scientifique et de renaissance du patrimoine islamique. Centre de recherche en sciences sociales. Université Umm Al Qura. Arabie Saoudite (en langue arabe).

-AHMED, Badr al-Din Yusuf Muhammad. 1993. Le climat du Royaume d'Arabie saoudite. Département de géographie. Université du Koweït (en langue arabe).

-AHMED, Badr al-Din Yusuf Muhammad. (1997). Le climat de Taif. Série de recherche sociale. Centre de recherche en sciences sociales. Mecque. Université Umm Al Qura. Arabie Saoudite (en langue arabe).

-AL-DIJILI, Ali Mehdi. 2007. Evolution générale des températures et prévision dans la station climatique de Bassora. Revue du Collège d'éducation des sciences humaines. Université de Kufa. Irak (en langue arabe).

-AL-HOUSBAN, Yousri Abdelhakim. 2013. Analyse des tendances des changements de température dans certaines stations du Golfe au cours de la période 1980-2011. Revue des sciences sociales. Comité de publication scientifique. Université du Koweït. Koweït (en langue arabe).

-Al-JERRASH, Muhammad Abdullah. (1992). Régions climatiques en Arabie Saoudite: une application comparative et analyse factorielle des composantes de base. Recherche géographique (en langue arabe).

-AL-MISNID, Abderrahmane. 2017. Évolution des températures au Royaume d'Arabie saoudite par rapport au changement climatique mondial pour la période 1985-2014. Messages géographiques. No 448. Université du Koweït. Faculté des sciences sociales. Département de géographie. Koweït (en langue arabe).

-AL-QAHTANI, S. ANSAR, A. AL-WARAK, Issam. 2019. Impact des changements climatiques sur les températures et les pluies. Institut d'études de recherche. université du roi Khalid (en langue arabe).

-AL-RAOUANDZI, Omar. 2012. Changement climatique dans la ville d'Erbil à travers le suivi des tendances de température. Etude présentée à l'Organisation euro-arabe pour la recherche sur l'environnement et l'eau, Antalya, Turquie, pendant la période du 14/18/2012 (en langue arabe).

-ANIBA, Omar. 2016. L'impact des changements climatiques sur les températures dans la région de Misurata 1981-2010. Faculté des lettres. Université de Siirt. Libye (en langue arabe).

-AN-NAHEL, Ghazi. 2017. Tendances de l'évolution des températures au Royaume d'Arabie saoudite au cours de la période 1985-2014. Magister non publié. Faculté de langue arabe et d'études sociales. Université Al Qassaim. Arabie Saoudite (en langue arabe).

-ANSAR, Allaoua Ahmed. 2017. Guide pratique pou l'utilisation des indices et coefficients climatologiques. Office des Publications Universitaires. Alger. Algérie.

-ANSAR, Allaoua Ahmed. 2017. Evolution des températures à Taif. Arabie Saoudite. Etudes géographiques. No 442. Université du Koweït. Faculté des sciences sociales. Département de géographie. Koweït (en langue arabe).

-Autorité Générale de Météorologie et de Protection de L'environnement. Arabie Saoudite

-FARAH. Abdelhafid Karim. (2013). Changement climatique ou variabilité climatique dans l'Est algérien. Magister non publié. Département de biologie et

écologie. Faculté des sciences de la nature et de la vie. Université de Constantine 1. Algérie.

-GHANEM, Ahmed Ali. 2003. Changement des conditions thermiques et des précipitations à Amman. Jordanie (en langue arabe).

-Groupe d'experts intergouvernemental sur l'évolution du climat. 2001, 2007 et 2013. Rapports annuels sur Le Climat De La Terre. Organisation Mondiale de la Météorologie.

-HADJAJ, Adra. 2009. Tendances des températures dans l'Est algérien. Mémoire d'ingéniorat non publié. Département de l'aménagement du territoire. Faculté des sciences de la terre, de la géographie et de l'aménagement du territoire. Université de Constantine 1.Algérie (en langue arabe).

-KADI, Zakaria. 2013. Les changements climatiques dans la wilaya de Constantine. 2013. Mémoire de Master non publié. Département de l'aménagement du territoire. Faculté des sciences de la terre, de la géographie et de l'aménagement du territoire. Université de Constantine 1.Algérie (en langue arabe).

-KERBE, Jehad. 1981. Les vents de sable et leurs zones d'influence dans le Royaume d'Arabie saoudite - Publications de la cinquième conférence sur les aspects biologiques, Société saoudienne pour les sciences de la vie - Université King Saud (en langue arabe).

-KERBE. Jehad. 1987. Les caractéristiques dynamiques du climat de l'Arabie Saoudite. Revue Géographique de l'Est. Presses universitaires de Nancy. France.

-KERBE. Jehad.1988. Géographie des types climatiques mensuels en Arabie Saoudite. Méditerranée n° 63. Aix-en-Provence. France.

-KERBE. Jehad. 1989. L'image climatique des mois et saisons de l'Arabie Saoudite. Météorologie. Paris. France.

-KERBE, Jehad. 2000. Caractéristiques climatiques des temps de sécheresse dans le Royaume d'Arabie saoudite, lettres géographiques, Société géographique du Koweït, Koweït, numéro 239 (en langue arabe).

-KERBE, Jehad. 2003. Variation spatiale des vents du sud dans le Royaume d'Arabie saoudite, Scientific Publishing Council, Université du Koweït, Journal of Social Sciences, Volume 31, Numéro 1, Koweït (en langue arabe).

-KERBE, Jehad. 2006. Les variations quotidiennes des écarts thermiques de La Mecque par rapport aux moyennes des terres saoudiennes. Publications du neuvième colloque des départements de géographie des universités du Royaume d'Arabie saoudite, Riyad (en langue arabe).

-KERBE. Jehad. 2014. Contribution à l'Analyse Spatiale de la Continentalité au Début des Saisons en Arabie Saoudite. The Egyptian Journal of Environmental Change. Le Caire. Egypte.

-KERBE. Jehad. 2014. La Continentalité en Arabie saoudite. Evaluation et distribution spatiale. Geo-Eco-Trop n° 38. Belgique.

-KHEDIM ALLAH, Wassila. 2012. Tendance du climat dans l'Est algérien. Mémoire d'ingéniorat non publié. Département de l'aménagement du territoire. Faculté des sciences de la terre, de la géographie et de l'aménagement du territoire. Université de Constantine 1.Algérie (en langue arabe).

-MANDOUR, Missad Salama. 2012. Changement des températures de surface en Arabie saoudite. Etudes géographiques. No 380. Université du Koweït. Faculté des sciences sociales. Département de géographie. Koweït (en langue arabe).

-SALIM, Ali. 2017. Tendances générales des températures dans la région de Syrte au cours de la période 1946-2010. Faculté des lettres. Université de Siirt. Libye (en langue arabe).

-TABEAUD. Martine. (1998). La Climatologie Générale. Armand Colin. Paris.

L’inscription de Fès sur la liste du patrimoine mondial

a-t-elle un effet sur son attractivité touristique?

Does the inscription of Fez on the World Heritage List have an effect on its touristic attractiveness?

هل لإدراج مدينة فاس على لائحة التراث العالمي تأثير على جاذبيتها السياحية؟

Abderrahmane OUALI ALAMI
PhD student at the Heritage and Territory Laboratory (PATER)
Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fez – Morocco.
Dr. Sabah SERRHINI
Professor, researcher at the Heritage and Territory Laboratory (PATER)
Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fez – Morocco.

Résumé : La Médina de Fès est la plus ancienne Médina du Maroc, elle fait partie des villes historiques marocaines inscrites sur la liste du patrimoine mondial de L’UNESCO. Cependant, la fréquentation touristique de Fès reste en deçà de sa valeur patrimoniale, quoique le label UNESCO soit un facteur d’attractivité touristique dans la mesure où de nombreux travaux montrent que l’inscription d’un site au patrimoine mondial fonctionne comme une marque de reconnaissance, qui engendre des flux touristiques. A travers un travail de terrain, nous allons montrer que l’inscription de Fès sur la liste de l’UNESCO n’a pas forcément un effet sur son attractivité touristique.
Mots-clés : patrimoine mondial, attractivité, tourisme, médina, Fès.
Abstract: The Medina of Fez is the oldest Medina of Morocco, it is part of the Moroccan historic cities classified as World Heritage by UNESCO. The tourist frequentation of Fez remains below its heritage value, although the UNESCO label is a factor of touristic attractiveness, in the sense that many works show that the inscription of a site in the world heritage list functions as a mark of recognition, which generates tourist flows. Through fieldwork, we will show that the inscription of Fez on the UNESCO list does not necessarily have an effect on its touristic attractiveness.

Keywords: world heritage, attractiveness, tourism, medina, Fez.

ملخص: تعتبر مدينة فاس من أقدم المدن العتيقة بالمغرب، فهي واحدة من بين المدن التاريخية المسجلة على لائحة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو. لكن الإقبال السياحي على هذه المدينة لا يعكس قيمتها التراثية، رغم أن الحصول على علامة تصنيف من طرف اليونسكو يعتبر عاملا للجذب السياحي، كما أن مجموعة من الأبحاث بينت أن إدراج موقع ما على لائحة التراث العالمي يشكل علامة دولية للإعتراف به، مما يضاعف من التدفقات السياحية. انطلاقا من عمل ميداني، سنبين أن تصنيف مدينة فاس بقائمة التراث العالمي لا يؤثر بشكل كبير على جاذبيتها السياحية.

الكلمات المفتاحية: التراث العالمي، الجاذبية، السياحة، مدينة، فاس.

INTRODUCTION

Selon l'OMT[1], le tourisme représente 10% du PIB mondial, 7% du commerce international et 30% des exportations de services, ce qui représente plus que la contribution de l'industrie automobile, de l'industrie pétrolière ou de l'industrie agroalimentaire. Le nombre des touristes a progressé de 4% u niveau mondial au premier semestre 2019, atteignant 1,2 milliard de visiteurs (OMT, 2019). Par ailleurs, il contribue à hauteur de 9 % à l'emploi dans le monde, ce qui représente 274 millions d'emplois. Dans de nombreux pays en développement, il occupe même la première place. Il constitue l'un des facteurs clés du développement, de la prospérité et du bien-être à l'échelle mondiale.

Le tourisme attire l'attention de nombreux pays aussi bien industrialisés qu'en développement, puisqu'il représente une source d'approvisionnement en devises, un élément d'extension du marché intérieur, un facteur de développement des infrastructures, un moyen de résorption du chômage et une industrie qui intéresse plusieurs secteurs de l'économie par ses effets d'entraînement.

Le tourisme est considéré par le Maroc comme une « importante industrie », et ce, depuis les années 60 (HCP, 2007). D'abord, parce qu'il draine des devises et participe à l'équilibre de la balance des paiements, crée des emplois, améliore les revenus et génère des effets multiplicateurs sur le reste des secteurs de l'économie. Ensuite, parce qu'il est perçu comme un moyen de rapprochement entre les peuples et de maintien des relations

[1]L'Organisation Mondiale du Tourisme (OMT) est l'institution des Nations Unies chargé e de la promotion d'un tourisme responsable, durable et accessible à tous.

pacifiques et, sur le plan économique, comme un excellent vecteur d'insertion dans les processus de globalisation.

La Médina de Fès est la plus ancienne médina du Maroc, elle fait partie des villes historiques marocaines classées comme patrimoine mondial de l'UNESCO[2]. Elle compte plus de 3.000 ruelles, elle est dotée de près de 70 km du réseau hydraulique datant du 11ème siècle, elle est entourée de 24 km de murailles et elle est un patrimoine bâti particulièrement riche par des techniques de construction et de décoration développées comportant près de 14.000 bâtisses (dont 11.000 historiques), de différentes typologies et appartenances historiques dont 740 palais et belles demeures de valeur exceptionnelle, 176 mosquées dont l'Université Quaraouiyine, 83 mausolées et zaouïas, 11 medersas et 43 écoles coraniques (ADER, 2014).

La fréquentation touristique de Fès reste en-dessous de sa valeur patrimoniale reconnue au niveau mondial, quoique le label UNESCO soit un facteur d'attractivité touristique dans la mesure où de nombreux travaux montrent que l'inscription d'un site au patrimoine mondial fonctionne comme une marque de reconnaissance, un label universel et reconnaissable qui engendre des flux touristiques.

Avant de présenter les grandes lignes de cette étude, il paraît nécessaire de présenter les principales études qui ont traité la relation entre l'inscription sur la liste du patrimoine mondiale et le tourisme.

Pour Marcotte et Bourdeau l'inscription du Québec à la liste du patrimoine mondial est fort peu utilisée dans l'argumentaire soutenant l'image de cette destination de Québec (Marcotte et Bourdeau, 2003). Selon cette étude, les entrevues en profondeur réalisées avec des gestionnaires d'organisations privées et publiques de l'industrie touristique et l'analyse du contenu du matériel promotionnel sur internet démontrent que le recours à la reconnaissance de la liste du patrimoine mondial n'est pas systématique et s'explique par la perception du caractère abstrait et du manque de connaissance de la signification de cette inscription. Et la relation des organisations touristiques face à

[2] Les médinas de Marrakech, Meknès, Tétouan, Essaouira et Rabat

l'utilisation de l'attribut « Québec, ville du patrimoine mondial » dans la constitution de l'imagerie touristique du Québec apparaît paradoxale. D'une part, tous reconnaissent que l'image globale du Québec la positionne comme une ville historique, mais d'autre part, très peu d'entre eux utilisent ou mentionnent la reconnaissance de cette richesse historique par le biais de la Convention de l'UNESCO.

Marcotte et Bourdeau traitent le sujet d'un autre angle et essayent de répondre à la question suivante : la promotion des sites du patrimoine mondial de l'UNESCO est-elle compatible avec le développement durable ? En tenant compte du fait que l'attractivité des sites est notamment tributaire du caractère exceptionnel des biens du patrimoine mondial, et vu que les responsables des sites du patrimoine sont confrontés à un manque de ressources financières, ils devront trouver de nouvelles sources de revenus. La promotion touristique des sites du patrimoine mondial semble alors inévitable. A cet effet, il est impératif de mieux comprendre ses impacts à court et à long termes sur le développement durable. Et ils pensent que la promotion des sites du patrimoine mondial apparaît compatible avec une approche de développement durable tant et aussi longtemps que la promotion et l'attractivité ne sont pas trop élevées ou sont contrôlées. En fait, tout réside dans la croissance de la fréquentation du site, sans quoi la ressource patrimoniale en sera affectée (Marcotte et Bourdeau, 2010).

L'étude de Florent était centrée sur le label UNESCO en France à Provins, Avignon et Besançon. Son objectif était de vérifier que ce label UNESCO est facteur d'attractivité et qu'il a un impact sur la consommation touristique et, par la suite, de voir comment les acteurs bénéficiant de ce label et l'utilisaient dans leurs communications touristiques (Florent, 2011). En tout état de cause, il a montré qu'elle joue un rôle déterminant dans le processus de décision des touristes. Entre deux destinations possibles, le touriste privilégiera celle qui possède un site UNESCO. Le label est donc indispensable pour les sites peu médiatisés et peu connus, car il dope la fréquentation touristique. Encore faut-il bien communiquer sur lui!

Les conclusions de Gravari-Barbas et Jacquot (2008) montrent qu'il est difficile de cerner l'importance du patrimoine dans le choix des destinations et donc de faire la part des choses, principalement parce que «le patrimoine intervient comme un facteur décisif en termes de décision de déplacement vers tel ou tel espace, quand il est soutenu par d'autres facteurs offrant un bien-être plus général ».

Pour Majdoub (2011), le lien entre inscription et choix de la destination de Sousse est ténu et peu significatif dans son cas d'espèce. Cela est vrai tant sur le plan des motivations des touristes que sur celui de la communication de la destination et de son marketing territorial.

L'objectif de notre communication est de comprendre la relation entre patrimoine et tourisme et particulièrement, entre l'inscription au titre du patrimoine mondial et la promotion touristique d'une destination. Elle pose la question de savoir si le l'inscription de Fès sur la liste du patrimoine mondial de l'UNESCO a un effet sur son attractivité touristique, en s'appuyant sur des résultats issus d'enquêtes de terrain auprès des touristes internationaux la visitant.

La première partie abordera la relation entre patrimoine et tourisme. La deuxième traitera la relation entre l'inscription au titre du patrimoine mondial et la promotion touristique d'une destination. La troisième sera consacrée à la relation que tisse Fès avec l'UNESCO et la quatrième et dernière partie essayera de répondre à la question du rôle de Fès comme patrimoine mondial dans son attractivité touristique.

1 - LA RELATION ENTRE PATRIMOINE ET TOURISME

Avant d'aborder la relation entre patrimoine et tourisme, il est primordial d'abord de définir les deux concepts.

La notion de patrimoine selon l'ICOMOS[3] est un concept vaste qui réunit aussi bien l'environnement naturel que culturel. Il englobe les notions de

[3] International Council on Monuments and Sites (Conseil International des Monuments et Sites)

paysage, d'ensembles historiques, de sites naturels et bâtis aussi bien que les notions de biodiversité, de collections, de pratiques culturelles traditionnelles ou présentes, de connaissance et d'expérimentation. Il rappelle et exprime le long cheminement du développement historique qui constitue l'essence des diverses identités nationales, régionales, indigènes et locales, et fait partie intégrante de la vie moderne. C'est un point de référence dynamique et un instrument positif du développement et des échanges. Le patrimoine particulier et la mémoire collective de chaque lieu et de chaque communauté sont irremplaçables et représentent une base essentielle du développement, à la fois maintenant et pour l'avenir.

Vu auparavant comme un élément d’unité et de fierté nationale, le patrimoine a ainsi évolué pour embrasser d’autres aspects bien plus larges. Il contribue à la prospérité économique, aux idéaux politiques, à la cohésion sociale, à la diversité culturelle (Gravari-Barbas et Jacquot, 2008). Dans la société contemporaine, le recours au patrimoine est de plus en plus utilisé comme une ressource pour de nombreuses raisons. Au service du développement économique et de la promotion des territoires, il a pu être qualifié, de façon polémique selon Hewison (1987) de nouvelle industrie. Le volet patrimonial devient incontournable dans les projets territoriaux, au service de la cohésion territoriale et sociale. Il prend la forme de productions mémorielles plus ou moins institutionnalisées (Rautenberg, 2003). Au service de la promotion touristique, le patrimoine alimente le tourisme culturel mais il participe aussi plus largement à la requalification positive des lieux.

L’Organisation Mondiale du Tourisme définit le tourisme comme « des activités déployées par les personnes au cours de leurs voyages et de leurs séjours dans les lieux situés en dehors de leur environnement habituel[4] pour une période consécutive qui ne dépasse pas une année à des fins de loisirs, pour affaires et autres motifs ». Le terme « activités» doit être compris ici au sens général d’occupations individuelles.

[4]- Les déplacements quotidiens domicile-travail et domicile-étude font partie de l’environnement habituel

- Les déplacements vers une résidence secondaire sont toujours réalisés hors de l’environnement habituel.

Le tourisme, « système d'acteurs, de pratiques et de lieux qui a pour finalité de permettre aux individus de se déplacer pour leur récréation hors de leurs lieux de vie habituels afin d'aller habiter temporairement d'autres lieux» (Knafou et al, 2003) est également l'objet d'une histoire particulière marquée par un triple élargissement des types de tourisme, des populations concernées et des lieux fréquentés.

Le tourisme et le patrimoine représentent des phénomènes distincts et de natures différentes, bien qu'ils soient étroitement liés, voire même parfois complémentaires. Le tourisme contribue à l'enrichissement du patrimoine, à sa mise en valeur, à sa conservation et à sa protection. Il a en effet besoin des ressources patrimoniales pour se développer et subsister dans un lieu donné.

L'étude des liens entre tourisme et patrimoine, du point de vue des interactions et impacts au sens large, a permis la mise en place d'un corpus de travaux, articles et rapports (Gravari-Barbas et Jacquot, 2008). Et l'étude du tourisme et du patrimoine n'est pas constituée en un champ disciplinaire autonome. Aussi relève-t-elle de plusieurs champs du savoir: économie, géographie, histoire, etc. de façon autonome ou interdisciplinaire.

Le Thompson Citations Indices révèle que le mot-clef « patrimoine » (heritage) est le troisième[5] le plus fréquemment associé aux articles traitant du tourisme (Gibson, 2008).

Même si le rapport entre le patrimoine et le tourisme sont difficilement quantifiables, plusieurs tendances et évolutions tendent à démontrer que ces deux secteurs, construits historiquement selon des «philosophies» différentes et faisant intervenir des acteurs ayant des formations, des préoccupations, des sensibilités et des approches divergentes, voire opposées, semblent issus des mêmes phénomènes (Lazzarotti, 2003). Plusieurs études tendent en effet à démontrer que le tourisme est un «producteur de patrimoines», qui fonctionne sur certains territoires comme une véritable «machine à produire voire à inventer du patrimoine», dans le sens d'une mise en valeur systématique et construite d'éléments patrimoniaux à destination des publics touristiques (Ouallet, 2003).

[5]The most common were: environment (26), sustainability (20), heritage (17), globalization (14), landscapes (14), beaches and coasts (13), history (10), ecotourism (7), land use (7), conservation (6), representations of place (6), water (6), consumption (5) and climate change (4).

Il faudrait ajouter à cela l'incidence des images touristiques et le rôle qu'elles jouent dans la production des patrimoines et ceci, dès les origines du tourisme. Il existerait un impact du développement des visites sur la formation d'un patrimoine (Idem). Les touristes eux-mêmes participent au processus de valorisation dans la mesure où ils ne font pas que consommer l'espace, ils le marquent aussi par diverses formes d'appropriations, par leurs représentations, par une projection de sens et de valeurs.

Inversement, la mise en valeur du patrimoine aboutit ou renforce la mise en tourisme des lieux, même si ceci n'est pas fait consciemment par les acteurs du patrimoine (architectes, restaurateurs, experts, ONG, etc.), voire même lorsque les acteurs du patrimoine ont un discours ou des attitudes «anti-tourisme». En effet, leur intervention met aux normes les patrimoines restaurés, réhabilités, etc. qui sont précisément les normes recherchées par les touristes. Dès lors, les travaux récents, notamment de géographes, tendent à revisiter les discours établis sur le rapport entre tourisme et patrimoine qui insistent souvent sur le rôle destructeur des masses touristiques (Gravari-Barbas et Jacquot, 2008).

2- LA RELATION ENTRE L'INSCRIPTION AU TITRE DU PATRIMOINE MONDIAL ET LA PROMOTION TOURISTIQUE D'UNE DESTINATION.

L'avantage prédominant de l'adhésion à la Convention du Patrimoine Mondial est l'appartenance à une communauté internationale qui apprécie et sauvegarde les biens d'importance universelle incarnant un monde d'exemples exceptionnels de la diversité de la culture et de la richesse de la nature (UNIESCO, 2008).

Être partie à la Convention et avoir des sites inscrits sur la liste du patrimoine mondial confère un prestige qui joue souvent un rôle catalyseur dans la sensibilisation à la préservation du patrimoine. Un avantage majeur de la ratification, en particulier pour les pays en développement, est d'avoir accès au Fonds du Patrimoine Mondial[6].

Enfin, l'inscription d'un site sur la liste du patrimoine mondial entraîne une plus grande sensibilisation du public au site et à ses valeurs

exceptionnelles, ce qui renforce les activités touristiques sur le site. Bien planifiées et organisées conformément aux principes du tourisme durable, celles-ci peuvent être une source majeure de fonds pour le site et l'économie locale (UNESCO, 2018).

Tourisme et patrimoine sont souvent associés. La corrélation entre le nombre de sites du patrimoine mondial (selon la définition de l'UNESCO) et les entrées touristiques internationales permet de le vérifier. Cela valide l'hypothèse que patrimoine et tourisme procèdent d'un même système de valeurs, dont la diffusion mondiale est conforme à un seul et même mouvement de mise en ordre d'un monde. (Lazzarotti, 2000)

Ainsi définis et pratiqués, le patrimoine mondial et le tourisme international se révèlent contradictoires, à l'échelle locale l'UNESCO y répond par l'idéologie du «tourisme durable». Dès lors, l'«écotourisme» pour les sites naturels et le «tourisme culturel» pour les autres doivent permettre de concilier l'ouverture des sites et la préservation de leur authenticité ou de leur intégrité par la fixation d'une «capacité de charge touristique». Chaque pays signataire s'est déjà engagé à adopter des lois de conservation (article 4 de la Convention).

Intuitivement et empiriquement, la relation du patrimoine avec le tourisme semblait une hypothèse à explorer prioritairement. Parmi les dix premiers pays par le nombre de leurs sites, sept font partie des dix premiers pays d'accueil des touristes internationaux. En croisant, par pays[7], le nombre de sites (janvier 2000) et celui des entrées touristiques les plus récentes (1994-1995, selon les sources disponibles de l'OMT, on obtient un coefficient de corrélation élevé (r = + 0,75). Les deux réalités ont, en fait, un itinéraire parallèle. Toutes deux émergent avec la première révolution industrielle, à un moment où, en Europe occidentale, s'affirmait la construction des États-Nations. Elles ont en commun, par la suite, de s'élargir à des espaces et à des pratiques de plus en plus larges et trouvent une partie de leur aboutissement dans le tout-tourisme et le tout-patrimoine pour déboucher, parfois, sur une radicalisation des positions et des discours entre un tourisme, source de tous les maux, et le patrimoine, racine de l'identité la plus pure… De fait, on a envie de penser que les

[6]Chaque année, environ un million de dollars EU sont alloués pour aider des Etats parties à identifier, préserver et promouvoir des sites du patrimoine mondial.

[7] N'ont été pris en compte que les 137 États signataires pour lesquels les deux valeurs étaient disponibles.

phénomènes ne font pas bon ménage. Mais il faut rappeler, au préalable, la très grande diversité de leurs relations. Certains sites, en effet, étaient déjà largement touristiques avant une inscription qui n'a fait que confirmer une position. Pour d'autres, en revanche, elle fait partie d'une stratégie de mise en tourisme. Dans la majorité des cas, elle stimule la fréquentation. Aussi, le tourisme est-il souvent mis en avant comme argumentaire de classement. C'est qu'il est, à la fois, source de revenus et de reconnaissance. Comme ni l'UNESCO ni les États les plus pauvres n'ont réellement les moyens de mettre en œuvre la politique de restauration et de conservation qu'ils prônent, on attend des recettes touristiques qu'elles sauvent ce qui peut l'être (Lazzarotti, 2000).

Le patrimoine est un moteur important pour l'attractivité des territoires, mais il n'est pas le seul. Les études montrent que d'autres facteurs entrent en compte, à la fois dans les représentations des touristes potentiels avant le déplacement et dans les pratiques pendant le déplacement touristique (Gravari-Barbas et Jacquot, 2008).

Hervé BARRE, spécialiste du programme tourisme durable au Centre du Patrimoine Mondial de l'UNESCO, résume le dilemme en parlant d'un phénomène, avec une face positive et une face négative : « le tourisme est très paradoxal, c'est à la fois un prédateur et un sauveur du patrimoine…. Le tourisme peut être à la fois la meilleure et la pire des choses pour le patrimoine». «Quand un site est désigné sur la liste, les guides de voyage le recommandent encore plus fermement et les visiteurs affluent. Seul un site bien préservé conserve son attrait, peut faire se déplacer des touristes qui paradoxalement le pervertissent. Les sites n'ont donc jamais été aussi visités et menacés » (Idem).

Plusieurs sites inscrits sur la liste du patrimoine mondial communiquent sur une hausse importante de leur fréquentation suite à l'inscription. Il convient de rappeler que ces discours, souvent promotionnels et destinés à glorifier les efforts des autorités locales qui ont œuvré pour l'inscription, ne sont pas toujours accompagnés de statistiques, que lorsque celles-ci existent. Mais elles ne sont pas toujours fiables et que finalement, même si elles le sont, elles ne peuvent pas être systématiquement interprétées en rapport avec l'inscription au Patrimoine Mondial (Gravari-Barbas et Jacquot, 2008).

Gravari-Barbas et Jacquot (2008) ont conclu que « l'effet UNESCO » est réel et constitue un élément essentiel de la communication touristique des territoires inscrits, traduit de manière très variable en termes de fréquentation. Toutefois, la hausse de la fréquentation est aussi dûe aux efforts que les sites et les responsables locaux effectuent en amont du

classement afin que celui-ci puisse être éligible. La désignation «patrimoine mondial» vient en effet couronner des efforts souvent considérables faits pendant les années qui précèdent la labellisation, qui pourraient, à eux seuls, avoir un impact important sur la fréquentation du site. On pourrait ainsi conclure que l'inscription au patrimoine mondial contribue à faire accepter par les visiteurs le prix fort. Ceci pour deux raisons principales. D'une part, parce que la «mise en tourisme» est accompagnée d'efforts de sensibilisation du public qui permettent de pleinement saisir les besoins de financements des sites en question. D'autre part, parce que le label patrimoine mondial fonctionne à la fois comme une marque et une caution de qualité.

L'emblème du Centre du Patrimoine Mondial a un effet «marque»: «The World Heritage emblem has fund-raising potential that can be used to increase the marketing value of products with which it is associated. It symbolises the Convention, signifies the States Parties' adherence to the Convention, and serves to identify sites inscribed on the World Heritage List» (Pedersen, 2002).

L'impact médiatique est en effet aujourd'hui reconnu et recherché par les gestionnaires des sites, étant donné que celui-ci, au-delà d'aspects identitaires, a des retombées touristiques. Selon Bonnie BURNHAM, president du World Monuments Fund «Countries found out that while they didn't get money from UNESCO, they did get recognition, and recognition results in tourism». Les territoires urbains ayant un patrimoine prestigieux connaissent des fréquentations globales importantes, certes en rapport avec le patrimoine mais, très sensiblement également à un ensemble d'autres facteurs, plus liés à la qualité et à la douceur de la vie (gastronomie, événements culturels, populations accueillantes, clémence du climat, etc.). (Gravari-Barbas et Jacquot, 2008). L'inscription au patrimoine mondial n'est ni une cause nécessaire, ni suffisante pour attirer plusieurs milliers de visiteurs. Mais elle constitue incontestablement un argument important en termes d'image de marque, ce qui représente souvent un très grand atout pour les destinations qui réunissent déjà plusieurs facteurs attractifs. (Idem).

3- FES ET L'UNESCO

La Convention concernant la protection du patrimoine mondial, culturel et naturel a été adoptée par la Conférence Générale de l'UNESCO lors de sa XVII ème session à Paris le 16 novembre 1972. Elle a pour objectif de préserver, pour les générations futures, des témoignages de la nature et de la culture ayant une valeur universelle exceptionnelle. Elle a été ratifiée

par le Maroc lors de la deuxième session du comité intergouvernementale de la protection du patrimoine mondial culturel et naturel tenu en 1978[8] (UNESCO, 1978), Il a été élu membre du Comité du Patrimoine Mondial en 1995 et membre du Bureau du Patrimoine Mondial en 1996 (Ministère de la culture, 2017).

Les États parties à la Convention sont les pays qui ont ratifié la Convention du Patrimoine Mondial. Ils acceptent ainsi d'identifier et de proposer des biens se trouvant sur leur territoire national et susceptibles d'être inscrits sur la liste du patrimoine mondial. Quand un État partie propose un bien pour inscription, il doit donner des détails sur la manière dont le bien est protégé sur le plan juridique et fournir un plan de gestion concernant son entretien. Les États parties doivent protéger les valeurs pour lesquelles leurs biens ont été inscrits sur la liste. Ils sont également encouragés à présenter à l'UNESCO des rapports sur l'état de conservation de ces biens. Selon l’UNESCO 193 Pays ont adhéré à la Convention au 31 janvier 2017(UNESCO, 2018).

La Médina de Fès inscrite en 1981 à liste du patrimoine mondial (ICOMOS, 1981) lors de la cinquième session du Comité du Patrimoine Mondial qui s'est tenue à Sydney en Australie du 26 au 30 octobre 1981. Selon l’UNESCO, la Médina de Fès, par sa valeur universelle exceptionnelle a satisfait deux critères[9] de classement pour figurer sur la liste du patrimoine mondial. D’abord, elle constitue un témoignage vivant d'une cité florissante de l'Occident méditerranéen ayant exercé une influence considérable principalement du XIIe au XVe siècle sur le développement de l'architecture, des arts monumentaux et de l'aménagement urbain, notamment en Afrique du Nord, en Andalousie et

[8] The second session of the Intergovernmental Committee for the Protection of the World Cultural and Natural Heritage was held in Washington from 5 to 8 September 1978.

[9] -Critère (ii) : témoigné d'un échange d'influences considérable pendant une période donnée ou dans une aire culturelle déterminée, sur le développement de l'architecture ou de la technologie, des arts monumentaux, de la planification des villes ou de la création de paysages ;

- Critère (v): être un exemple éminent d'établissement humain traditionnel, de l'utilisation traditionnelle du territoire ou de la mer, qui soit représentatif d'une culture (ou de cultures), ou de l'interaction humaine avec l'environnement, spécialement quand celui-ci est devenu vulnérable sous l'impact d'une mutation irréversible

en Afrique sub-saharienne. Fès Jedid (la Neuve), s'est inspirée du modèle urbain antérieur de Marrakech. Ensuite, elle constitue un exemple éminent d'une ville médiévale créée aux tous premiers siècles de l'islamisation du Maroc et matérialisant un type original d'établissement humain et d'occupation du territoire traditionnel représentatifs de la culture citadine marocaine sur une longue période historique (du IXe au début du XXe siècle). Le parcellaire ancien avec sa haute densité de monuments à caractère religieux, civil et militaire de la Médina sont les témoins de cette culture et le résultat de son interaction avec les diverses couches de peuplement qui ont déterminé la grande variété des formes architecturales et le paysage urbain.

Elle conserve, dans un parcellaire ancien à forte densité monumentale à caractère religieux, civil et militaire, le souvenir de la capitale fondée par la dynastie Idrisside en 808 de notre ère. Elle est considérée comme l'une des villes historiques les plus vastes et les mieux conservées du monde arabo-musulman. Son espace urbain non carrossable y conserve la majorité de ses fonctions et attributions d'origine (UNESCO, 2017). Fès est à la fois une étonnante ville musée et l’une des grandes métropoles islamiques où les diverses couches de peuplement ont déterminé la plus grande variété de formes architecturales et de paysages urbains Elle ne représente pas seulement un patrimoine architectural, archéologique et urbain exceptionnel, mais elle véhicule aussi un mode de vie, des savoir-faire et une culture qui persistent et se renouvellent malgré les divers effets des mutations des sociétés modernes (Idem).

4 - FES COMME PATRIMOINE MONDIAL : QUEL ROLE POUR L’ATTRACTIVITE TOURISTIQUE DE LA VILLE

Le choix des destinations touristiques est un processus complexe surtout dans le conteste de la multiplication des offres de destination. Plusieurs paramètres interviennent dans le processus de choix d’une destination. Une étude américaine, citée par Frochot et Legohérel en 2007, montre que le but du voyage, les partenaires, le temps et le budget disponible, la période de l’année, les tarifs et les sources d’informations sont pris en compte par le touriste pour choisir son lieu de voyage (Florent, 2011).

L’importance donnée au terrain pour asseoir une recherche dans le cadre des sciences humaines et ponctuellement, en géographie humaine n’est plus à démontrer. Il s’agit pour notre étude d’enquête par questionnaire

auprès des touristes internationaux de Fès. L'objectif est de répondre à la question principale de l'étude : l'inscription de Fès sur la liste du patrimoine mondial a-t-elle un effet sur son attractivité touristique? »

Carte N°1 : Circuits touristiques de Fès

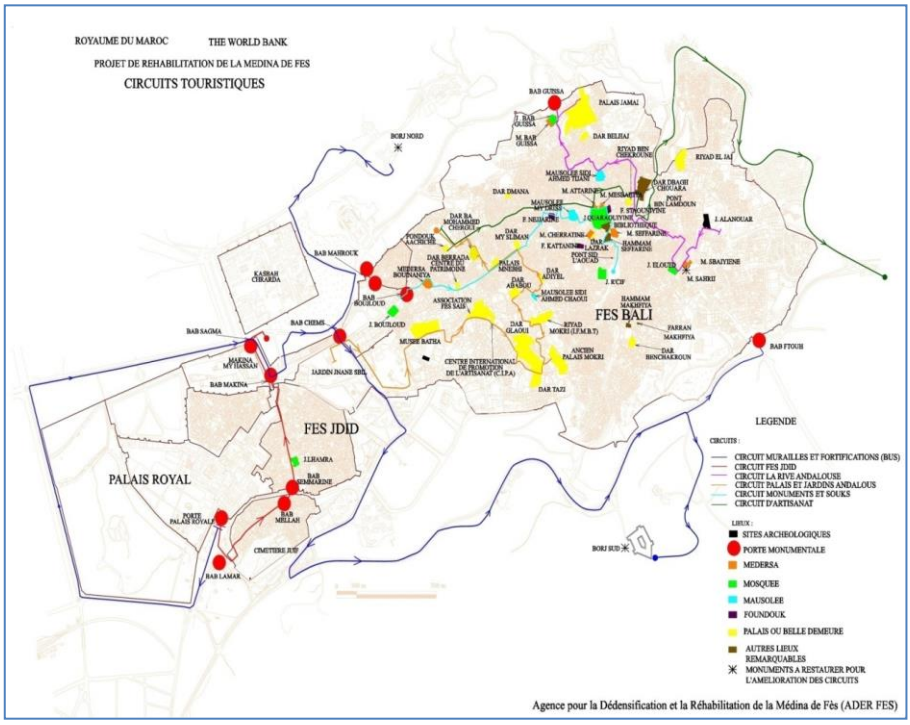

(Source : Ader- Fès, 2015)

L'échantillon de notre enquête est de 500 touristes étrangers visitant Fès, selon la méthode aléatoire des échantillons qui fait en sorte que chaque élément de la population ait une chance égale d'être choisi. Nous avons adopté pour notre questionnaire la technique d'entonnoir, en choisissant un questionnaire allant du général vers le particulier en utilisant le logiciel

Sphinx plus[2]. Ce questionnaire est divisé en deux parties : La première concerne l'identification des touristes visitant Fès. Elle englobe des informations générales sur les touristes que ce soit sur leurs origines, sexe, âge, niveau d'études et catégorie socioprofessionnelle. La deuxième traite des questions de la relation entre inscription sur la liste du patrimoine mondial et attractivité touristique de Fès. Il s'agit de la connaissance ou non des touristes de l'inscription de Fès et autres sites marocains sur la liste du patrimoine mondial de l'UNESCO et de la signification de cette inscription pour eux.

L'enquête a été menée selon le mode d'administration «par enquêtant»[10] qui consiste à poser des questions face à face au répondant et de noter ses réponses, ce qui permet le taux élevé de ceux-ci.

La collecte des informations s'est déroulée sur les lieux de visite de l'ancienne médina (monuments historiques, bazars…), en gare de l'ONCF[11], à l'aéroport de Fès Saïs, dans les hôtels et les maisons d'hôtes. L'enquête a duré une année[12] (2019) afin d'augmenter la représentativité de l'échantillon et la fiabilité des informations collectées.

a. Identification des touristes

Graphe 1. L'origine des touristes par continent

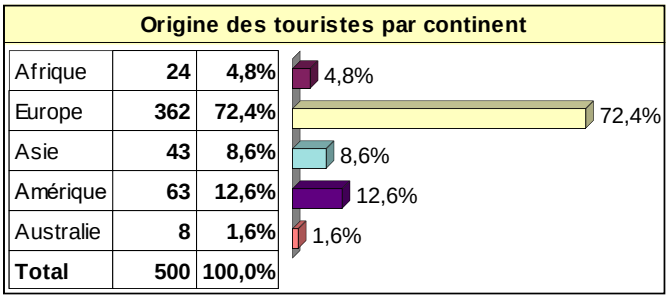

[10] Les autres modes d'administration d'enquête par questionnaire sont : L'Auto-administration (l'enquêté répond seul au questionnaire) - L'envoi postal (qui donne généralement un taux de réponse faible)- le téléphone- l'Internet.

[11] Office National des Chemins de Fer

[12] Pour pouvoir rencontrer des touristes ayant différents objectif, selon l'agenda et programmes culturels et touristiques de la ville (festival de la musique sacrée…)

(Source : Enquête personnelle, 2019)

D'après le graphe 1, nous constatons que 72,4 % des touristes enquêtés proviennent du continent européen, suivis des touristes américains (12,6 %) et des touristes Africains et Australiens (successivement 4,8 % et 1,6 %). La prédominance des touristes européens s'explique par la proximité géographique du Maroc à ses principaux marchés émetteurs des touristes internationaux pour le Maroc, en particulier l'Allemagne, l'Espagne et les Pays-Bas.

Graphe 2. L'origine des touristes par pays

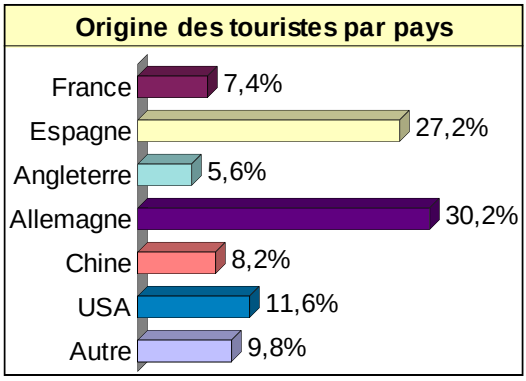

(Source : enquête personnelle, 2019)

Parmi les touristes enquêtés par pays d'origine (graphe1), nous constatons que les Allemands et les Espagnols représentent 57.4 % de l'ensemble des touristes internationaux visitant Fès. En troisième rang viennent les touristes américains (11.6 %), suivis d'autres nationalités représentées essentiellement par les touristes des pays africains (9.8%)[13], et en cinquième position, les touristes chinois qui représentent 8.2% des touristes interrogés. Cette nouvelle dynamique des arrivées Chinois s'explique par la levée des **visas** en juin 2016[14]. L'ex-Ministre du tourisme, Lahcen HADDAD avait déclaré que "le marché chinois est un

[13] Représentés essentiellement par les touristes religieux de la confrérie Tijania qui vient en pèlerinage chaque année à Fès.

[14] Lors d'une visite à Pékin en mai 2016, le roi Mohammed VI a exempté les ressortissants chinois de visa pour visiter le Royaume.

marché important. C'est un marché de 130 millions de touristes. Nous voulons en capter environ 100.000 dans l'immédiat, mais nous voulons, sur le long terme, 5 à 10 ans, en capter un million"(Telquel, 2107). Pour la ville de Fès, plus de 6.500 arrivées des touristes chinois pour plus de 10.000 nuitées au premier semestre 2017[15]. En dernière position, viennent les Français et les Anglais (avec respectivement 7.4% et 5,6%).

Concernant le sexe des enquêtés, les femmes visitant la ville de Fès représentent 54 %, contre 46 % des hommes.

Graphe 3. La distribution des touristes par sexe

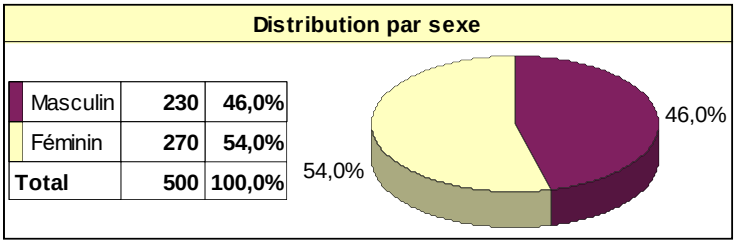

(Source : enquête personnelle, 2019)

L'examen de la composition des touristes visitant Fès par classes d'âge montre une dominance des personnes âgées entre 30 à 45 ans (43.6 %), suivis des visiteurs ayant plus de 60 ans (27.4 %), de ceux ayant entre 46 à 60 ans (15 %), puis de ceux ayant entre 19 à 29 ans (13 %). Enfin, on constate une quasi-absence des visiteurs ayant moins de 18 ans, ce qui peut s'expliquer éventuellement par leur intérêt pour d'autres lieux et activités.

[15] Ibed

Graphe 3. La distribution des touristes par classe d’âge

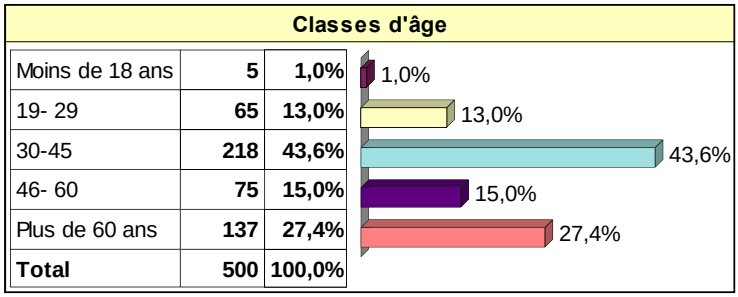

(Source : enquête personnelle, 2019)

Graphe 4 : Niveaux d’étude des touristes

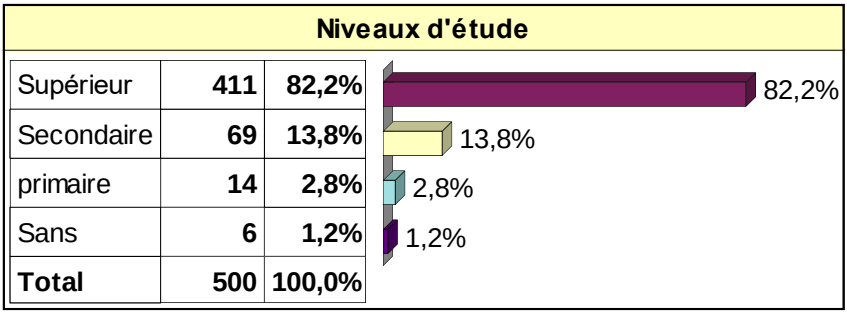

(Source : enquête personnelle, 2019)

Selon le tableau 4 représentant les niveaux d’étude des touristes, nous constatons clairement que les visites de la Médina de Fès sont largement accaparées par les personnes instruites. La portion des personnes enquêtées ayant le niveau supérieur est très forte (82.2 %), suivies de celle des touristes ayant une formation secondaire (13.8 %) et des touristes ayant un niveau d’étude primaire (2.8%).

Graphe 5. Catégorie socio-professionnelle des enquêtés

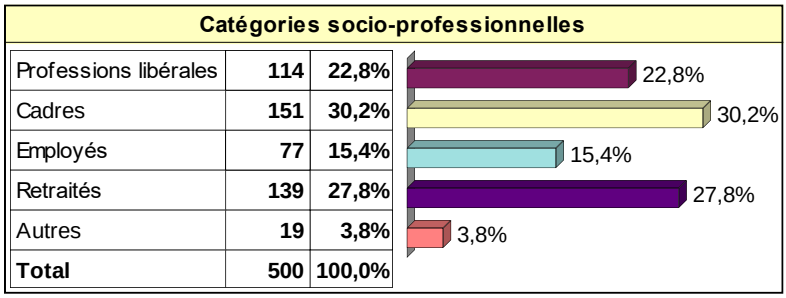

(Source : enquête personnelle, 2019)

Les touristes qui sont des cadres, selon les catégories socio-professionnelles occupent la première position (30.2 %). La deuxième position est constituée des retraités (27.8%), suivie des touristes des professions libérales[16] (22.8%). La quatrième position est représentée par la catégorie des « employés » par (15.4%). Finalement 3.3% seulement de notre échantillon soit 19 touristes, sont des professeurs et des étudiants.

b- Inscription de Fès au patrimoine mondiale et attractivité touristique

Graphe 6. Connaissance de l'inscription de Fès au PM par les enquêtés

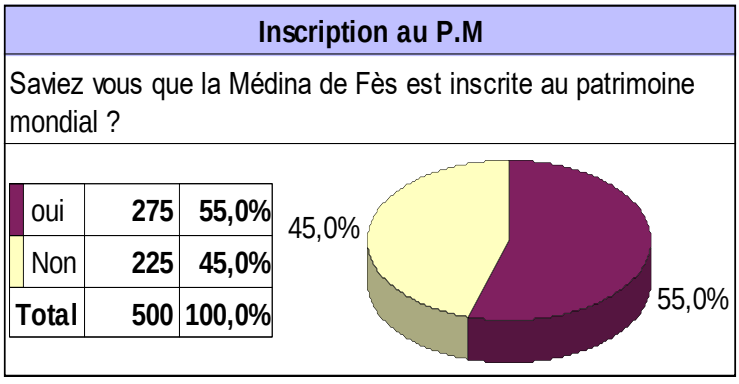

(Source : enquête personnelle, 2019)

[16] Se sont des comptables, des avocats, des médecins et des notaires.

D'après les graphique et tableau ci-dessus, 55% des enquêtés sont au courant que la Médina de Fès est inscrite sur la liste du patrimoine mondial de l'UNESCO (mais plus de 70% d'entre eux ont eu connaissance de ce fait qu'à leur arrivé à Fès), alors que 45% ne le savent même pas.

Graphe7 : Influence du classement de Fès au PM et motivations de la visite

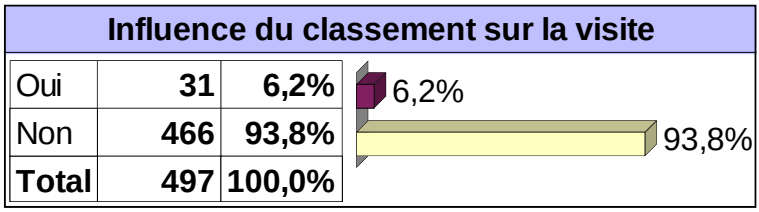

(Source : enquête personnelle, 2019)

L'enquête montre que l'inscription au patrimoine mondial de l'UNESCO ne joue qu'un rôle minime dans les motivations des enquêtés à visiter Fès (6%).

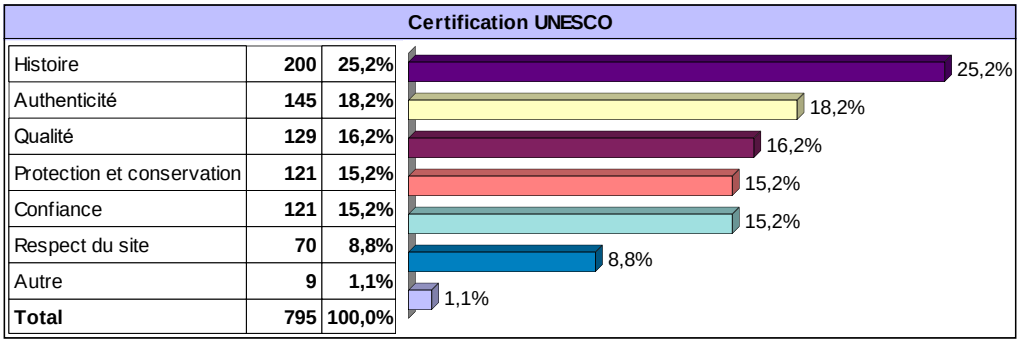

Graphe 8: Signification de la certification UNESCO pour les enquêtés
(Source : enquête personnelle, 2019)

Les significations de la certification UNESCO pour les enquêtés par ordre de priorité décroissant sont: l'histoire, l'authenticité, la qualité du site, la protection et conservation, la confiance et le respect du site.

Parmi les 70 touristes qui ont répondu à la question de la connaissance d'autres sites du patrimoine mondial au Maroc, 52.9% ont cité

Marrakech, 20% Rabat, 8% Essaouira et 9% la ville de Meknès et Ksar Ait Haddou à égalité. Le reste (10%) ont cité d'autres villes non classées.

Tableau1 : Connaissance du classement d'autres sites du Maroc au patrimoine mondiale

Marrakech	52 ,9 %
Rabat	20 %
Essaouira	8%
Ksar Ait Haddou	7%
Meknès	2%
Autres non inscrites	10,1%

(Source : enquête personnelle, 2019)

D'après les résultats de l'enquête, on constate que plus de la moitié des enquêtés sont au courant que la Médina de Fès est inscrite sur la liste du patrimoine mondial de l'UNESCO; mais la majorité d'entre eux ont eu cette connaissance qu'à leurs arrivées à Fès. Aussi, un grand pourcentage de notre échantillon (93,8 %) ont affirmé que l'inscription sur la liste du patrimoine mondial ne joue qu'un rôle minime dans les motivations à visiter Fès.

CONCLUSION

Plusieurs facteurs contribuent à l'attractivité touristique des territoires. Il s'agit, entre autres, de leur patrimoine, de leur gastronomie, de l'accueil de leur population, de leur climat, de leur sécurité, de leurs infrastructures touristiques…

Les monuments et sites patrimoniaux de Fès se répartissent comme suit ; il s'agit de monuments religieux (mosquées, zaouïas, mausolées, medersas), d'utilité publique (fondouk, hammams, fontaines..), de monuments défensifs (remparts, borjs, casbahs..), domestiques (habitations) et de quartiers artisanaux. Ces monuments et sites

touristiques, en plus des moussems et des festivals offrent aux touristes des produits patrimoniaux culturels riches et diversifiés.

Fès est la doyenne des villes musulmanes du Maroc. Son type historique est celui des anciennes métropoles de l’aire andalouse musulmane. Modèle urbain de l’Islam médiéval, elle est actuellement un exemple rare dans le monde musulman qui a relativement conservé sa morphologie architecturale. En fait, aucune autre ville n’exprime mieux que Fès l’histoire du Maroc. Douze siècles d’histoire ininterrompue ont fait d’elle une cité exceptionnelle, et un lieu de mémoire. Sa singularité résulte de son parcours historique honoré en 1981, lorsqu’elle l obtînt le rang de patrimoine mondial de l'UNESCO.

La présente étude a essayé de répondre à la question de la relation entre inscription sur la liste du patrimoine mondial de Fès et son attractivité touristique. En d’autres termes nous voulions savoir si la motivation et le choix de la destination de Fès sont liés à l’inscription au patrimoine mondial.

D’après les résultats du travail du terrain, on a pu relever que l’inscription de Fès au patrimoine mondial de l’UNESCO ne joue qu’un rôle secondaire dans les motivations des enquêtés à visiter Fès.

Étant donné que l’inscription d’un site au patrimoine mondial fonctionne comme une marque de reconnaissance, un label universel et reconnaissable qui engendre des flux touristiques, les acteurs concernés par la promotion touristique sont appelés à utiliser ce label dans leur communication touristique, qui est un véritable facteur d’attractivité touristique.

Liste des références

-ADER Fès, (2014). Projet de réhabilitation de la Médina de Fès: Type d’interventions dans l’habitat menaçant ruine a la Médina de Fès (document administratif, Fès.

-Arthur, P. (2002). Managing Tourism at World Heritage Sites: a Practical Manual for World Heritage Site Managers, UNESCO World Heritage Centre, Paris.
-Gibson, C. (2008). Locating geographies of tourism, Progress in Human Geography, 32 (3), pp. 407–422, Australia.
-Florent, L. (2011). L’utilisation du label UNESCO dans la communication touristique : entre choix et contrainte », Revue de Téoros N° 30 - 2, pp.17-27, Québec.
(URL : http:// teoros.revues.org/1878, consulté le 06 novembre 2019.).

-Gravari-Barbas, M. et Jacquot, S. (2008). Impacts socioéconomiques de l’inscription d’un site sur la liste du Patrimoine Mondial : Une revue de la littérature. Dans Les impacts socio-économiques de l’inscription d’un site sur la liste du patrimoine mondial : trois études. Rémy Prudhomme, R. (dir.), p. 17-74. Paris : Centre du patrimoine mondial de l’UNESCO, Paris
-Hewison, R. (1987). The heritage industry: Britain in a climate of decline, Methuen Methuen Publishing, London.
-International Counsil on Monuments and Sites (ICOMOS). (1981). World heritage list n° 170, Paris.
-Iraki K. (2017). Le Maroc, nouvel eldorado des touristes chinois?, Revue de Telquel, numéro du 11 Août.
-Knafou R. et al. (2003), « tourisme » dans Jacques LEVY et Michel LUSSAULT (dr.), Dictionnaire de géographie et sciences de l’espace et du social, Paris, Belin. 1033 pages.
-Lazzarotti, O. (2003). Tourisme et patrimoine : ad augusta per angustia , Annales de géographie nº 629 (1/2003), France.
-Lazzarotti, O. (2000). Patrimoine et tourisme : un couple de la mondialisation. Mappemonde, vol. 57, n° 1, pp. 12-16, France
-Lionel, P. (2013). L'inscription au patrimoine mondial de l'UNESCO, les promesses d'un label?. Revue internationale et stratégique 2 (n° 90), pp. 127-135. France
-Majdoub, W. (2011). Médina de Sousse : les enjeux de la gestion touristique d’une ville historique inscrite au patrimoine mondial. », Revue de Téoros N° 30 – 2, pp. 47-58, Québec. (http://teoros.revues.org/1893, consulté le 02/10/2019.
-Marcotte P. et Bourdeau L. (2010). La promotion des sites du Patrimoine Mondial de l'UNESCO : Compatible avec le développement durable ?, Management & Avenir (n° 34). pp 270 à 288, Caen, France.
-Marcotte, P. et Bourdeau, L. (2003). Québec, site du patrimoine mondial : *Élément accrocheur de l’image touristique ?*

(http://ernest.hec.ca/video/pedagogie/gestion_des_arts/AIMAC/2003/resources/pdf/C/C25_Marcotte_Bourdeau.pdf, consulté le 23/08/2017).
-Ouallet A. (2003). Perceptions et réutilisations patrimoniales en Afrique, quelques exemples Maliens, in Gravari-Barbas, M. et Guichard-Anguis S. Regards croisés sur le patrimoine à l’aube du XXIe siècle, Presses Universitaires de la Sorbonne, Paris.
-Rautenberg M. (2003). La Rupture patrimoniale, Éditions À la croisée, coll. «Ambiances, ambiance». Bernin, France, 173 pages.
-Royaume du Maroc, HCP, (2007), Prospective Maroc 2030 : Quel Tourisme pour le Maroc ?, Rabat.
- Royaume du Maroc, ministère de la culture, Récupéré du site (http://www.minculture.gov.ma. Consulté le 20/10 /2019).
-UNESCO. (2008). Le Centre du Patrimoine Mondial, Trousse d’information sur le patrimoine mondial, Paris, P: 10.
-UNESCO. (1981). Brève synthèse de la valeur universelle exceptionnelle de Fès Récupéré du site http://.whc.unesco.org/fr/list/170 , dans la partie» (Consulté le 05-12-2019).
-UNESCO. (1978). Décision de ratification de la convention concernant la protection du patrimoine mondial, culturel et naturel par le Maroc, lors de la 2ème session du Comité du patrimoine mondial.
Récupéré du site http://whc.UNESCO.org/fr/decisions/2092 (Consulté le 20/12 /2019).
-UNESCO. (1972). Convention concernant la protection du patrimoine culturel et naturel, Paris. Récupéré du site http://whc.UNESCO.org/archive/convention-fr.pdf. Consulté le 15/09 / 2017.

Critical Reflections on Frost's The Road Not Taken
تأملات ناقدة حول قصيدة فروست 'الطريق الغير مسلوك'

Dr. Yahya Saleh Hasan Dahami – Associate Professor,
English Department, Faculty of Science and Arts Al Mandaq
Al Baha University – KSA
Previously at
Sana'a University – Yemen
د. يحيى صالح حسن دحامي
أستاذ مشارك
قسم اللغة الإنجليزية، كلية العلوم والآداب
جامعة الباحة – المملكة العربية السعودية
سابقاً في
جامعة صنعاء - اليمن

ABSTRACT: Robert Frost's*The Road Not Taken* is an eminent poem about the trip of life. It is an ambiguous piece of poetry that might allow critics to ponder about various choices in life deeply. The ambiguity launches from the interrogation of free will against determination, whether the narrator of the poem chooses to take the route that is off trodden track or merely does so since he does not imagine the route with the curve in it.

The study aims to probe the depth of some important themes of *The Road Not Taken*. The paper starts with a concise introduction to the poet Robert Frost then the researcher moves to analytically and critically explore the scope of three important points. They are the choice, the decision, and the individuality, then to close with critical judgment. In this research, the researcher applies the critical-analytical approach.

Keywords: English Poetry, reassessment, review, Robert Frost, The Road Not Taken

ملخص: قصيدة "الطريق الغير مسلوك" للشاعر روبرت فروست تعتبر من القصائد البارزة والتي تتناول رحلة الحياة، وهي قصيدة غامضة ومن الممكن أن تتيح للنقاد إمعان النظر بعمق حول خيارات متعددة في الحياة، يبدأ الغموض من سؤال استفهامي عن حرية الإرادة في مقابل العزم سوى قيام الراوي باختيار الطريق الغير مأخوذ أو يقوم بذلك بسبب أنه لم يتصور الطريق ذو المنعطف.

تهدف الدراسة إلى سبر غور عدد من المسائل الهامة في قصيدة " الطريق الغير مسلوك"، حيث تبدأ هذه الورقة البحثية بمقدمة موجزة عن الشاعر 'روبرت فروست' ومن ثم ينتقل الباحث لكشف النقاب تحليلاً ونقداً عن المجال لثلاث مسائل هامة، المسائل هي الاختيار والقرار، والفردية، وتختتم الدراسة بتقييم ناقد، ويتبع البحث في هذا البحث المنهج التحليلي الناقد.

الكلمات المفتاحية: إعادة تقييم، إعادة النظر، روبرت فروست، الشعر الإنجليزي، الطريق الغير مسلوك

INTRODUCTION:

Robert Frost (1874-1963) was born in San Francisco; his father died when he was eleven years then his family transferred to Lawrence, Massachusetts, the place in which his grandparents lived. After graduation in 1892, Frost experienced some works and finally served as a reporter in a newspaper. He published a small book of poems on his own payment and clearly contributed to the verse *The Birds Do Thus* which was published in the New York magazine called Independent. In 1897, Frost entered Harvard University but left before finishing the requirements of the degree owing to an attack with tuberculosis as well as the birth of a second child that increased burden on him.

Literature, according to several literary figures, is the profession of an author, either a novelist, a playwright, or a poet. It is a written or recorded work of culture, language, philosophy, or time. Various critics and essayists have diverse thoughts about literature. It is outlined as an imaginative, creative, and inspirational script of standard resourceful value and merit. It is also an original, inspired, or ingenious writing, mainly of documented innovative worth. The Road Not Taken is, so to speak, aninnovative appeal. Frost is a great literary figure in literature in general and poetry in particular. Robert Frost has his opinion on literature in general. "Robert Frost, for instance, imagines that literature is 'performance in words'" (Dahami, 2017a, p. 1).

Frost, in 1912, moved with his family to a smallholding in Buckinghamshire, in which he wrote productively, attempting to perfect his distinctive poetic voice. During this period, he met several literary pioneers such as the poet of innovative literary methods, Ezra Pound, and the young English poet allied with the Georgian poetry movement and prevalent in Britain, Edward Thomas. Frost soon issued his first volume of poetry, *A Boy's Will*, in 1913 that received beholden reviews. Following the triumph of the volume, Frost moved to Gloucestershire and concentrated on publication of his second book titled *North of Boston* that

saw the light in 1914. *North of Boston* contains a number of his most regularly anthologized parts, including *The Death of the Hired Man*, *After Apple-Picking*, and *Mending Wall*.

The American versions of Frost's first two books won acute praise upon publication in America, and in 1917 he started his association with some American universities as a lecturer of nonfiction and poetry. It can be stated that "Poetry uses an elevated and preeminent literary language over everyday language; it is not the speech of the tongue only, but it is the language of the heart, mind, feeling, and the sentiment" (Dahami, 2018). Consequently, he continued writing prolifically for years and received many literary honors along with tributes from the government of the United States and American universities. Frost recited his poems in 1961 at the appointment of President Kennedy as a representative of the United States on some official tasks. His critical status waned for the duration of the latter amount of his career, although he received pronounced popular approbation and praise. The last three collections received fewer passionate reviews but contained numerous pieces recognized as among his paramount accomplishments.

The poem, which was first published in 1916, is one of the most eminent poems ofRobert Frost, in which its final three lines could be his most prominent. *The Road Not Taken,* like various of Frost's verses,is set in a pastoral nature and environment that encourages the narrator and also the reader toward contemplation.

Although Frost said that he wrote the poem as a satirical response to his friend Edward Thomas's inability to make a decision, readers interpreted it in a more metaphysical sense – the poet's describing an incident in the physical world which turned into thoughts that transcended to the world of emotion and of the spirit (Caravantes, 2006, p. 82).

The poem depends on a metaphor where an expedition through life is paralleled to a trip or a ride on the road. Such an "ostensibly simple metaphor is only saying that the traveler came to a place where two roads figuratively diverged and he had to choose one or the other" (Tyagi, 2015). The readers of this poem need to realize that the narrator is obliged to choose a route instead of another.

In the first line of *The Road Not Taken*,"Two roadsdivergedin a yellow wood,"[1] Frost introduces the basics

[1] Frost, Robert. (1994). Poetry for Young People, edited by Gary D. Schmidt. New York: Sterling Publishing Company, Inc. p. 21. [All lines on the poem*The Road Not Taken* are

of his principal metaphor, the deviating and swerving roads. The road is a guide of life in which it is separated like the fork. The roads are in a wood in which the season is the fall where the leaves of trees are yellow. A "road is worn and tended and it is evident it is the road most travelled. The other – overgrown, shaded, and magical" (Bialosky, 2017, p. 4).

Though as for that the passing there
Had worn them really about the same,
And both that morning equally lay
In leaves no step had trodden black. (p. 21)

From the above lines, we might realize that although the poet interrupts the stanza after the tenth line, the dominant idea remains connected with the third stanza which creates a structural association between the portions of the poem. At this point, the narrator states that the routes can be 'really about the same.' Neither route has been traveled recently. Although the narrator's searching for a perfect and strong logical motive to opt for one route over another, the motive is still unapproachable.

1. Choice and Decision

The path that is split into two branches does not have equal directions; it constantly presents a selection to be prepared in poetry and life. The narrator of *The Road Not Taken* is not satisfied with having to make such a selection and tells that he may prefer to use both paths.

> At different times in our lives, come to a crossroad. We might try to look down each path as far as we can, but eventually we have to make a decision; and that decision, whether for good or bad, can make all the difference" (Bayles, 2008, p. 92).

If the narrator will be 'one traveler,' in this case, the situation will be naturally difficult. Such a case raises a logical question of identity. What does the poem imply? The answer is stated even indirectly, the most significant factor to ponder when making a decision is that the path of action preferred should assimilate with the choices that one has made in his past. Readers/critics might understand that the narrator is troubled about being confronted with two routes that lead in dissimilar directions since the wrong decision will lead to privation of reliability. If there were no such thing as free will, the difficulty would not be about which decision to make: the choice would create itself. From the perspective of another reader/critic, that is precisely what would take place.

---

quoted from this source; number of the page will be added to the end of the quotation within parentheses.]

Another reader/critic, confronted with the identical two paths, would recognize without a second thought that one to follow. The narrator of the poem is conscious of the implications of selecting badly and does not see enough changes between the two paths to make one obvious as the obvious decision. However, it is the nature of life that selecting cannot be evaded. The process of choice is similar to Eliot's The Cocktail Party in which "the main theme can be easily realized as the significance of choice. The characters of the play are faced with the importance of making a positive choice" (Dahami, 2017b, p. 94).

Though the routes look similarly attractive, the narrator distinguishes that his adoption or selection at the moment could have an important influence on tomorrow. He makes a choice, hoping that he might be able to go to see his place again, yet appreciating that such a chance is unlikely. *The Road Not Taken* "is a poem about the necessity of choosing that somehow, like its author, never makes a choice itself – that instead repeatedly returns to us to the same enigmatic, leaf-shadowed crossroads" (Orr, 2016, p. 12); "many would view the poem as reflecting Frost's own life journey" (Wooten, 2006, p. 71). The poet envisages himself in the future, informing the account of his life and demanding that his choice to take the route 'less traveled by' – the road limited to other individuals who have used 'has made all the difference.' "It is as if Frost managed, remarkably, to create a poem that endlessly enforces one's own relentless intuition of sameness and difference" (Wilcox, & Barron, 2000, p. 37).

The narrator in the following two lines

And sorry I could not travel both
And be one traveler, long I stood (p. 21)

wants to walk through both roads, but he cannot. He articulates his repentance because of human weaknesses, limitations and imperfections that he/she is obliged to make just one adoption or choice. "When people say they are sorry about not being able to do something, that is a feeling of regret" (Harvey et al. 2010, p. 77). Yet, the adoption is not effortless, since 'long I stood' before reaching a choice. A decision should be taken.

And looked down one as far as I could
To where it bent in the undergrowth; (p. 21)

Featuring in the above lines, the poet thinks hard about what to choose. He scrutinizes the route as best as he can; however, his idea is limited for the reason that the route is bent but sheltered and protected. Such lines specify that although the narrator would like to obtain more material, he is disallowed from doing so on account of the nature of his milieu. The narrator is not on a real road but a split in the path of his life. He can only

realize part of the path; subsequently, he cannot actually forecast the future.

Then took the other, as just as fair,
And having perhaps the better claim,
Because it was grassy and wanted wear; (p. 21)

In the lines mentioned above, the narrator appears to designate that the second route is a more appealing choice for the reason that no one has taken it recently. The narrator tries to choose between two futures in which they seem to be different but possibly equally good. Nevertheless, he gives the impression to feel indecisive, since he also defines the route equally 'just as fair' as the first rather than more reasonable. However, the narrator appears to be uncertain when he explains that it is 'perhaps'; "and still the fact that he took the road less travelled" (Bode, & Dietrich, 2013, p. 24). In addition to that, the road is untrodden because it is 'grassy.'

The narrator in these lines

Oh, I kept the first for another day!
Yet knowing how way leads on to way,
I doubted if I should ever come back. (p. 21)

makes his choice, trying to encourage and convince himself that he is going to satisfy his wish at the end to travel both routes, but simultaneously confessing that such a wish is unrealistic. "The speaker is doubtful he will ever return to the same spot because … one cannot turn away from the way of truth without losing knowledge of the truth in a morass of false opinion" (Altman, 2014, p. 45). Perceives the exclamation mark after the thirteenth line, the reader/critic realizes that such a punctuation mark expresses delight and exhilaration. Still, that exhilaration is quickly weakened by his declaration in the next lines.

In the following lines of the last fourth stanza,

I shall be telling this with a sigh
Somewhere ages and ages hence:
Two roads diverged in a wood, and I—
I took the one less traveled by,
And that has made all the difference. (p. 21)

the tone noticeably changes. It is the only stanza that starts with a new statement that indicates a stronger pause from the preceding ideas. The narrator envisages himself in the coming tomorrow, debating and arguing on his life. What he proposes in such a situation appears to oppose what he has mentioned previously. "We may well focus on the last two lines almost to the exclusion of the rest: The speaker has chosen an individual,

uncommon way of life. But this reading leaves us with some troublesome questions about internal consistency" (Potter, 1980, p. 52).

The poet tells his readers and critics in the eminent final lines that he selected 'the road less traveled by,' accordingly indicating that he tracked an unconnected, adventurous method of life, possibly at some hazard or charge to himself. "The traveler choosing the road less traveled suggests his quest and adventurous spirit. The 'wood' is a symbol of this world in which each task has two alternatives. The traveler, the man, is confused about what he should choose" (Chauhan, 2012, p. 137)? Repeatedly the last three lines are used to designate the life of Frost and more normally, to illustrate anyone who has shattered with tradition and move off on a lonely autonomous course of action. For acute readers, such final lines are principally striking because they give the impression to be a succinct and eloquent outline of the meaning of the poem.

> In the last stanza, as the perceiving "I" makes the choice, Frost divides the speaker's yearning ego into two distinct parts. The "I" at the end of the line and the "I" at the beginning of the next line represent the two conceptual options that the poet longs to unify (Hass, 2002, p. 14).

In the future, as it seems at the end of the poem, the narrator claims that the routes were dissimilar from each other and that he audaciously did not select the traditional path. Possibly he believes this in the future; possibly, he only desires that he may choose 'the one less traveled by.'

The only mode to move toward such a problem, the poem suggests, is to examine all of the minutiae until something makes one route more significant than the other. The alteration may be slight, nearly imperceptible, but it longs for being there. In this circumstance, the narrator of the poem contemplates both sides cautiously and is released to whatever which can make a change. For the most portion, the two paths are found to be identical as we see in the sixth line 'just as fair,' and in the tenth line, we compare with 'really about the same'; the case is similar in the eleventh line; where we find 'both ... equally, lay'.

The only alteration is that someone has been overgrown with meadow from not being used, and, on such a foundation, the narrator follows it. There is no suggestion that this minor discrepancy is the indication that the narrator was in search of or that he feels that the right decision has been made. Quite the reverse, the narrator believes that his decision may appear the wrong choice 'ages and ages hence.' It is mistaken to say that selecting such a particular path was the most significant thing, but it

might be the point that a decision has been made at all 'that has made all the difference.'

2. Individuality

The poet "chooses the "Road less travelled by" as an assertion of his having an independent mind" (Chandra, 2013). On the superficial indication, the poem appears to be encouraging critics as well as the readers to go along the path 'less travelled by' in life, a not-very-subtle image for existing life as a singular and selecting independence for its own sake at the time every other contemplation comes up equivalent. There is proof that makes this clarification rational. The dominant situation is that a person has to decide on one route or the other without concession—an absolutist state that is similar to the way that ethical problems are often expressed. The tone of *The Road Not Taken* is another pointer that a significant decision is being prepared with careful, cautious concentration. It is rational for the learner to assume that this is what the meaning is intended to be since so much is actually devoted to the choice and the less travelled path is the selected one.

Our poet lived the majority of his life in smallholdings and escaped city life. Though it is not social in content, *The Road Not Taken* raises inquiries about freedom, uniqueness and individuality. The narrator of *The Road Not Taken* is not sure that individuality is the correct route to choose. The less travelled path is said to have a better privilege possibly. The narrator anticipates that when he checks on such adoption with the profit of increased experience, he will sigh. If this is a testament to individuality, it is a moderately flimsy one. The narrator of the poem does not rejoice individualism but agrees to it. "The poem both is and isn't about individualism, and it both is and isn't about rationalization" (Orr, 2016, p. 12).

The Road Not Taken has ingratiated itself to generations of readers/critics as a witness of an independent inspiration and belief to inspire the individual who absconds the protection of the gathering and strikes out into the unidentified since its preliminary publication in 1916. Frost's dominant subject of the individual, indicating the particular course in the nonexistence of physical or rational evidence, is too adjacent to the backbone of spiritual belief for most learners to suspect Frost's betrayal.

3. Critical Judgement

The poem seems to reinforce the approach which many readers bring to poetry, contemplating that poetry is just convoluted language unreasonably masking plain account or declaration. Poetry, for Frost in particular, and generally "has acquired new receptivity and developed

new metrical forms" (Dahami, 2015). The imagery of the two paths in *The Road Not Taken* is applied to any amount of situations in life. Consequently, the researchers might not identify a specific meaning as that one which the poet had in mind and heart.

It is stimulating to observe that in 1916, when it was composed, alterations of great significance were taking place, both in the social demand of the whole world as well as in the life of the author himself. There are numerous ways where the sort of decision offered in the poem would have had connotation for the poet and his readers and listeners.The manufacturing uprising in the late 1800s brought about developments and progress in travel and transportation, which led to spreads in intercontinental trade. Such uprising or revolution became difficult for any nation, particularly growing commercial powers like America to stay aloof.

The VictorianpoetRobertFrost lived in England accompanied by his family early in his career from 1912 until 1915. When they went back home, England was by this time involved in conflicts. The principal query of the poem mirrors the positions taken by the two nations the poet had lived in. England joined other nations in war, while America struggled to continue isolated. Every side had an upright case to achieve for its particular position. England had been involved in numerous conflicts on the continent for long epochs, and several conflicts in North America, Africa, Australia and other countries in defense of the English colonies. By the passage of time, various agreements and alliances assisted to end wars with its strange modern name (cold), but as a result of them, England had to contribute in a new fight, even ones that did not openly threaten the land of Britain.

The Road Not Taken is centered on the relationship between the person and society. It raises queries about whether a person ought to do things to follow thegrassy untraveled route or to be part of the majority. In 1916, particularly this query was exposed to an argument, due to the increasing impersonal control of commercial progress. Such progress was the leading social power in the nineteenth century, especially its last half. The Civil War, for instance, fought from 1861 to 1865, is normally evoked as a fight for civil liberties. Still, most historians have faith that the motive the two sides had for such diverse opinions of bondage was a consequence of every area's different financial base.

The South was essentially agricultural, with huge plantations where cash crops are increased on a large measure that was tended by slave labor. As factories mount, families traveled to cities to find jobs, and immigrants

traveled from other states for the same motive. The modern city residents were not self-reliant but were estimated as cogs in the wheels of an enormous machine. By the year 1916, poets, artists, thinkers, and philosophers were enquiring about the depersonalizing consequences of urbanism as well as they showed in their writings their worries which urbanism, in their opinion, had changed the nature of human attention and thinking.

Critics are less reliable in evaluating *The Road Not Taken* success though they tend to approve the thematic concerns of it. Some critics suggest that the path is a metaphorical image for the life of the poet and that the decision the narrator makes here 'leads deeper into the wood' that though the woods hold beneficial privacy, enforce stern segregation, segregation endured not without charge. Frost "has been transferring vice-versa from England to America. Figuratively speaking, Frost uses metaphor as a representation of his life in both countries. He compared these countries into roads which primarily determine his fate of living" (Candilas, 2017). Some others agree that *The Road Not Taken* illustrates a tendency of Robert Frost to write about pure moments of direct realization that can be private. The narrator can attain insight only due to solitude and segregation from others.

Other critics suggest that the poet in this poem recognizes that life is not free but has restrictions; he involves himself in an emotional notion that the reader possibly will be dissimilar from what he has been. The public reader could be attracted to the poem for the reason that its notions and designs are at present so acquainted and since a lot of people desire romantic notions than realistic ideas.

The Road Not Taken encompasses some positive characteristics; Frost has been a more gifted man and might have perceived that the dilemma of the mystical drifter was avoidable. He might have estimated it in the light of a more wide-ranging perception and also, he might have composed a grander poem. This poem is great to the extent that it goes; the misfortune is that the poem does not succeed in a big way or get to the top enough. The poem is unfinished and it puts the burden of critical aptitude on the learner or listener who is supposed to put up with the poet.

Robert Frost as a poet, is so at ease with expressions, so masterful in generating an undoubted reality, as well as too expert at presenting situations which normally went unobserved that he was unproductive at creating his idea ironically when he attempted in the poem. Critics and learners might tend to accept anything Frost writes as being produced from genuine inspiration which directed a great part of his production. In

this poem, Frost attempted his hand at wearing weak and abortive thought in the dress of nobility; he stressed on a source of inspiration.

Robert Frost's standing for aptly interpreting the common man and his general ability and talent in employing language has promoted misreading of the ironic nature of *The Road Not Taken*. Several critics "see the irony in that the narrator cannot possibly know how one of the roads was the least travelled by" (Bjelland, 2016, p. 27). Irony is regularly employed in poetry to create a point indirectly via donating a seeming meaning, which can be the opposite of the real intended meaning in a poem. Poets and literary pioneers find such a method most creative in activating researchers and scholars to think. Irony is also defined as the distinction between an actual situation and the means it is shown in expressions that reveal more certainties than a direct, simple description; that is, the researchers are invited for a preview behind the scenes of the mind.

Biographical interpretations make it obvious that the poet did not mean the message of his poem to be taken at face assessment and significance that the poet engraved the poem under study as a satire of a friend of him. The incompetence of the narrator of the poem to settle contentedly upon a sequence of action then to follow it just looking ahead 'with a sigh' could be a clear pointer that *The Road Not Taken* states to thoughts and notions that are more appropriate to the poet. The satire was not so apparent when he sent a print of the verse to his friend, though. Frost had to clarify to his friend that he himself was the theme of the poem. The simple end and unsuitably complicated thought process that directs to it, which Frost supposed would make the comicality of his piece clear, are controlled by such gentle delicacy and grace that the concluding product rings more of certainty than of jest.

The power of *The Road Not Taken* would come from the reality that it tells, irrespective of the situations from which it grew. In pondering the poem, we have to query whether researchers who are uninformed of Frost's personality or intentions can be anticipated to identify irony autonomously from work alone. The two paths are pronounced as standing 'just as fair,' but the actual following line articulates that one owns 'a better claim.' The voice of the narrator pronounces that he 'kept the first for another day,' and instantly states that he would possibly never rush back to it. However, the inconsistencies of the world are the occupation of solemn poetry and not essentially pointers that the poet who points them out is being dishonest about his philosophies and dogmas.

The presentation of this verse does not donate a heroic status on the less toured path. The narrator of the poem articulates only that he has

unwillingly made a choice. As a deficiency or lack of any evidence about the outcome, the difference basically specifies that the poet feels his decision to go precise or go vague was monumental.

In endeavoring to depict a comic nature in which its sentiments are improperly hesitant and then unexpectedly triumphant, the poet's weakness seemingly was when he was excessively a good poet. The utility of language in *The Road Not Taken* is too dexterous, very glowing with deep melancholy. Frost's humanity was renowned, not by critics only but by threatening judges. *The Road Not Taken* is more sophisticated and more intricate than the popular considerate of it might designate; the poem is perceptive, analytical, subtle, and deeply apprehensive with human inspiration.

Frost has made a decision, one path in preference to another, and that the selection will have a noteworthy bearing on the progression of his life. "Frost's teaching at Amherst should likewise be seen as a move to the outside, to some road not taken by the academics around him" (Pritchard, 1993, p. 128). A symbol is likely approximately definite as something which means further than what it is. The definite fact that a symbol could be too rich in connotations requires that critics use the utmost tact in its explanation. "The poem The Road Not Taken is a symbolic poem" (Jatav, 2016, p. 136).

Robert Frost's poem, for example, concerns a choice constructed between two ways by a person hiking in the forests. He would like to discover both ways. He informs perhaps himself that he will discover one way then return and search for the other; however, he discerns that he almost certainly is unable to do his task. By the last stanza, nevertheless, critics/readers might realize that the poem deals with something more than the selection of tracks in a wood. For the selection would be comparatively unimportant, whereas this selection the poet believes, is one that creates a great change in the life; also, is one that he recalls with a lament 'ages and ages hence'. Critics/readers then might understand his selection of a way as a symbol for any selection in life between options, which seem almost equally beautiful but results by the passage of years in a large change in the type of knowledge somebody knows.

Metaphors, Images, and symbols are sometimes not easy to distinguish, but they are shades for each other. In general, however, the figurative expression in a metaphor refers to something other than what it is; an image refers only to what it is, and a symbol refers to what it is and more. A symbol operates literally and figuratively simultaneously. If you might say, 'a strong cat stole the box at the garden,' you are not talking about a

cat of any kind and hence using a metaphor. If you might tell us that a hairy white cat was chafing its back against a grey garden fence, you are talking just about a cat and a fence of the garden, and consequently presenting an image.

However, if you might say, 'a teacher can never teach a young cat a new trick,' in such a way you are not talking only about cats but about existing beings of any type. Therefore, you are talking symbolically and figuratively. Images, when they are merged in metaphors or symbols, they do not cease to be called images. When the readers discuss the splendid qualities of the poem *The Road Not Taken*, they might refer to the two leaf-strewn ways or tracks in the yellow forest as an image; When they discuss the importance of the poem, critics/readers might talk about the tracks as symbols.

Symbols are the richest and all together with the most problematic of poetic figures. Symbols' richness and trouble arise from its imprecision. While the poet may identify the connotation of a symbol to something properly definite and specific, more frequently, the symbol is thus general in its sense that it can propose a great diversity of specific meanings. The concept of choice in the poem concerns a choice in life, but it is not clear what kind of choice is. Was it a choice of residence? A choice of a comrade? A choice of vocation? It can be all, some of them, or none.

Ordinary readers might not determine what precise choice the poet possesses in his thought. It is somehow enough if the readers perceive in the poem an expression of remorse that the potentials of life knowledge are so extremely limited. The narrator in *The Road Not Taken* would have enjoyed discovering the two roads, but he could discover just one. The person with a desire and passion for life constantly desires the realms of knowledge, which he had to forego, whether content or discontent with the choices he has produced or chose. The poem *The Road Not Taken* proposes some more meanings for the reason that the symbol is an opulent one. It confirms a belief in the likelihood of choice.

It states something on the nature of choice and how every choice tightens the assortment of possible impending choices, so that critics/readers make their lives as they go, both without restrictions choosing and without being determined by previous choices. However, not a philosophical poem, *The Road Not Taken* implicitly comments on the problem of free will and determination and designates the poet's private position. The poem is able to do all such things, concretely and efficiently, by its implication of an operative symbol.

It is worth mentioning that symbols vary in the degree of connection and meaning specified and mentioned by their poets. In this poem, the poet Frost forces his readers and listeners to explain the choice of the two routes symbolically by the degree of significance he provides it in the final stanza. On occasion, many poets are greatly specific in classifying and recognizing symbols in their poems. And on some other occasions, they do not recognize them at all.

CONCLUSION

Looking at the piece mentioned above of poetry of Robert Frost, *The Road Not Taken*, it can be plainly reasserting that the poem is flooded with logical philosophy. *The Road Not Taken* now and again shows Frost's philosophy on the concepts of choice as well as individuality. Robert Frost was engraved in the heart of modern criticism owing to his erudition in addition to his sensible philosophy, as reflected in his poetry, especially *The Road Not Taken*.

The paper has discussed some observations of Frost's *The Road Not Taken* in which the poet lets his ideal and ideas fall to promote his belief. The poem reveals an assessment of concepts such as selection and verdict, individuality and appreciation. The poet argues with themes having a social insinuation that is related to the social perception around him. To close, Frost in *The Road Not Taken* has mostly pictured real presentation of choice in life. He has truthfully explored the issues of selection, verdict, and individuality.

REFERENCES:

-Altman, J. (2014). Behind his father's saying: Robert Frost's wisdom tradition (Order No. 3631682). Available from ProQuest Dissertations & Theses Global. (1566477590). Retrieved on September 1, 2018, from https://search-proquest
com.sdl.idm.oclc.org/docview/1566477590?accountid=142908

-Bayles, S. (2008). The Greatest Commands. USA: Xulon Press.

-Bialosky, J. (2017). Poetry Will Save Your Life: A Memoir. New York and other cities: ATRIA Books.

-Bjelland, A. W. (2016). The Road Not Taken: Poetry and Personal Insight in the EFL Classroom and Beyond, Master Thesis. University of Agder, Norway.

-Bode, C. & Dietrich, R. (2013). Future Narratives: Theory, Poetics and Media-Historical Moment. Berlin/Boston: Walter de Gruyter GmbH.

-Candilas, K. S. (2017). Indecisiveness in "The Road Not Taken" by Robert Frost: An Expressive Critical Analysis. Asia Pacific Journal of Education, Arts and Sciences, Vol. 4 No. 4, 82-85.
-Caravantes, P. (2006). Deep Woods: the story of Robert Frost. North Carolina: Morgan Reynolds Publishing.
-Chandra, A. (2013). Dynamics of human relationships in selected poems of Robert Frost. Ph.D. Thesis. The IIS University, Jaipur India. Retrieved on September 3, 2018 from http://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/20160/8/08_chapter%203.pdf
-Chauhan, S. (2012). Symbolism in the poetry of Robert Frost. Ph.D. Thesis. V. B. S. Purvanchal University. India.
-Dahami, Y. S. H. (2018). Poetry and the Acquisition of Terminology in English as a Foreign Language, International Journal of English Research, 4(5); pp. 04-09.
-Dahami, Y. S. H. (2017a). Introduction to English Literature, Germany: Noor Publishers.
-Dahami, Y. S. H. (2017b). Revival of Poetic Drama: T. S. Eliot's Contribution to the Genre, Germany: Noor Publishing.
-Dahami, Y. S. H. (2015). The Contribution of Arab Muslims to the Provencal Lyrical Poetry: The Troubadours in the Twelfth Century, Journal of Arts, King Saud Univ., Riyadh: Vol. 27(1); pp. 1-19.
-Frost, R. (1994). Poetry for Young People, edited by Gary D. Schmidt. New York: Sterling Publishing Company, Inc.
-Harvey, F. S., Morris, S. C., & Klein, V. (2010). Reading for Meaning. Virginia: ASCD Publications.
-Hass, R. B. (2002). Going by Contraries: Robert Frost's Conflict with Science. Charlottesville and London: University Press of Virginia.
-Jatav, G. S. (2016). Robert Frost's Response to Pragmatic Philosophy: A Study of His Poetry. Ph.D. Thesis. Jiwaji University Gwalior. India.
-Orr, D. (2016). The Road Not Taken: Finding America in the Poem Everyone Loves and Almost Everyone Gets Wrong, New York: Penguin Books.
-Potter, J. L. (1980). Robert Frost Handbook. USA: The Pennsylvania State University Press.
-Pritchard, W. H. (1993). Frost: A Literary Life Reconsidered. (2nd Ed.) Amherst: University of Massachusetts Press.
-Tyagi, A. (2015). An Analysis of Robert Frost's Poem: The Road Not Taken. Veda's Journal of English Language and Literature- JOELL, 2(4), 66-68.

-Wilcox, E. J. & Barron, J. N. (2000). Roads Not Taken: Rereading Robert Frost, University of Missouri Press, retrieved on 2018-09-01 from http://ebookcentral.proquest.com/lib/bahahuniv-ebooks/detail.action?docID=3570671

-Wooten, S. M. (2006). Robert Frost: The Life of America's Poet. NJ: Enslow Publishers, Inc.

Democratic Arabic Center chaiman:

Ammar Sharaan

Editor-in-chief:

Dr. Bahri Saber

Mohamed Lamine debaghine Sétif 2 University

Democratic Arabic Center for
Strategic,Political and Economic Studies

Berlin- Germany

Journal of social sciences

International, scientific refereed Journal

Legal deposit V.R33616

ISSN 2568-6739